الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ و علم الآثار

شعبـــة التاريـــخ

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي

بعنـــــوان

النظم الإسلامية في الأندلس
316 - 422 هـ / 929 -1031 م
الكتابة نموذجا

إعداد الطالب : إشراف الأستاذ .د : مبخوت بودواية

رزقـــي عبد الرحمـــــن

أعضاء لجنة المناقشـــــة

– أ.د. عبد الحميد حاجيات	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
– أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
– د. شعيب مقنونيف	أستاذ محاضر أ	جامعة تلمسان	عضوا
– د.نصر الدين بن داود	أستاذ محاضر ب	جامعة تلمسان	عضوا

السنة الجامعية : 1431 – 1432 هـ / 2010 -2011 م

شكـــر و عرفـان

من واجب الإعتراف بالجميل أتقدم بالشكر و الامتنان إلى الأستاذ الدكتور **مبخوت بودواية** الذي منحني الكثير من وقته فجزاه الله خيرا

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على توجيهاتهم ونصائحهم القيمة و إلى جميع الأساتذة الذين أشرفوا على تأطيرنا خلال الفترة النظرية ، و إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد

مقدمـــــــــة

تعتبر النظم الإدارية و ما يرتبط بها من تشريعات و أحكام ، إحدى أهم المظاهر الحضارية لما توفره من الاستقرار و السلم و التطور و الازدهار ، ومما لا شك فيه أن التفوق السياسي و العسكري لأي دولة متعلق بقوة نظامها و مدى تطور وانضباط مؤسساتها الإدارية المختلفة على مختلف الأصعدة ، المدنية والعسكرية ، و إن من أهم تلك المؤسسات الإدارية في الدولة الإسلامية ما يصطلح عليه بنظام الكتابة ، أو ما يسمى في ه ذا العصر ما يعرف بعلم التوثيق ، ذلك أنه لا بد من الاتصال بين مؤسسات الدولة المختلفة و التنسيق بين ولاياتها ، فالخليفة في حاجة ماسة إلى من يقوم بانفاذ أوامره إلى مختلف الجهات ، ويشرف على مكاتباته إلى مختلف الملوك و السلاطين المجاورين لنفوذه وسلطانه.

لذلك عمل الأمويون في الأندلس على وضع أسس قواعد الأطر التنظيمية والسعي إلى تطويرها وتجذرها من أجل حكم و إدارة البلاد ، ذات المفارقات الكبرى التي أفرزها تعايش مجتمع مختلف الأجناس ، نتج عنه آليات لعلاقات تميزت في كثير من الأحيان بالمرونة و التشابك . و من هذا المنطلق استقطبت الكتابة مجال انشغالات و عناية الدولة الأموية بالأندلس استعملتها كأداة محركة ووسيلة من وسائل الاتصال المباشر ، التي لا يمكن الاستغناء عنها ، لأن الوثائق المكتوبة عموما و المراسلات الرسمية خصوصا لها قيمتها بما تقدمه من أدلة وإثباتات مادية ، لا سيم ا في مجال العلاقات الإدارية من أجل تسيير و توجيه دواليب مؤسسات نظم الحكم و إدارتها.

من خلال موضوع المذكرة و الموسوم بـــــ " النظم الإسلامية في الأندلس 316–422 هـــ /929–1031 م – الكتابة نموذجا أي خلال القرن الرابع إلى غاية القرن الخامس الهجري ، العاشر و الربع الأول من الحادي عشر الميلادي

سوف أعرف بالكتابة و أبرزها كمظهر من مظاهر كيان حضارة الأمويين بالأندلس الإسلامية ووجه من وجوهها لأنها تمثل جزء من كل النظم الأندلسية التي كان لها دورها الهام في ترتيب و انسجام شؤون الدولة الأموية في جميع المجالات.

بناءا على هذا الأساس تم اختياري لدراسة هذا الموضوع ، إذ كان جل اهتمامي موجه نحو دراسة عصر الخلافة الأموية لأن هذا العصر مثل بحق فاصل تاريخي مهم بما تميز به من رقي حضاري و نضج سياسي تفردت به الأندلس في غرب العالم الإسلامي في القرون الوسطى ، مما زاد في قناعتي نحو الدراسات الحضارية ، نظرا لأهمية قضايا التنظيم و المؤسسات الإدارية.

إن دراسة خطة الكتابة تستوجب منا تسليط الضوء على بنيات هذه الخطة كمؤسسة إدارية بأبعادها السياسية و الحضارية المختلفة ، و لذلك فهي تعتبر من الموضوعات المهمة ، لأنه من خلالها نتمكن من معرفة حقيقة الأحداث السياسية و الفكرية و الحضارية خصوصا.

لقد كان الدافع وراء اهتمامي بهذا الموضوع هو أن الكثير من المصادر التاريخية الأندلسية تضم في طياتها الكثير من نصوص الكتابات السلطانية ، كما كانت مرتبطة في غالب الأحيان بتراجم أصحابها الكتاب الذين عايشوا مراحل قوة وضعف الدولة الأموية في الأندلس .

و لعل ما يشد الانتباه هو قدرة أولئك الكتاب البارعين على المزاوجة بين بلاغة و رصانة التعبير وإدارة السلطة الحاكمة.

و يمكن حصر بواعث أخرى إضافية زادت من ارتباطي بهذا الموضوع تتلخص في : أن نظام الكتابة السلطانية برصيده التوثيقي يقدم لنا صورة حقيقية

عن الأوضاع السياسية والإدارية و الاجتماعية ، و الاقتصادية ، الفكرية والعقائدية.

و لعل مما زاد في تصميمي على مواصلة البحث في هذا الموضوع أن جانب النظم الإدارية لم يلق العناية الكافية من لدن الباحثين في الدراسات الخاصة بتاريخ و حضارة الأندلس ، إذا ما قورن بالجوانب السياسية و العسكرية . في حين لا يمكننا أن نغفل أهمية تلك المبادرات المتخصصة في الت أريخ للنظم الإسلامية في القرون الوسطى ، حيث تناولت موضوع الكتابة و ال كتاب ، ضمن السياق العام لمظاهر نظام الدواوين ، و كان ديوان الإنشاء أو ديوان الرسائل ، الذي كانت تتم فيه المكاتبات الرسمية إحدى مؤسسات النظم الإدارية العامة وأبرز مظاهرها الحضارية.

سأذكر البعض من هذه الدراسات على سبيل المثال و التي سوف يرد ذكرها مفصلا في قائمة المصادر و المراجع ، لعل أبرزها:

- تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان و الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لأدم ميتز و الإسلام و الحضارة العربية لمحمد كرد علي و تاريخ العرب لفيليب حتي و دولة الإسلام

في الأندلس العصر الأول – الخلافة الأموية لمحمد عبد الله عنان والنظم الإسلامية نشأتها و تطورها لصبحي صالح و دراسات في النظم الإسلامية لغازي الشمري.

لقد اهتمت البحوث العلمية الخاصة بتاريخ الأندلس بهذا الموضوع و كان من بينها البحث القيم لسالم عبد الله الخلف حول نظم حكم الأمويين و رسومهم في الأندلس ، و التي تناول فيها معظم الخطط السلطانية التي سارت عليها شؤون

الدولة الأموية و كذا الرسوم السائدة فيها و كانت خطة الكتابة من بين الخطط التى تعرض لها هذا الباحث غير أنها كانت مختصرة وعامة.

غير أن هذا لا يعني أن ميدان تاريخ النظم الإدارية في الأندلس قد استوفى حقه ، و من هذا القبيل ارتأيت أن يكون نطاق بحثي ضمن النظم الإدارية وتحديدا حول الكتابة و الكتاب ، مساهمة مني متواضعة إلى جانب تلك الدراسات والإسهامات التي سبقتني إلى البحث في هذا الموضوع .

وقد وضعت نصب عيني مجموعة من التساؤلات و الفرضيات شكلت جوهر إشكالية البحث و التي أحاول الإجابة عنها أو إثباتها من خلال صفحات مذكرة الماجستير هذه و هي :

– ما هي الأوضاع التي نشأت فيها الكتابة السلطانية في بلاد الأندلس ؟ و هل كان لبني أمية دور في تطورها و بلورة معالمها كمؤسسة إدارية لها مكانتها ضمن تقاليد سياسة الأمويين و نظم حكمهم في الأندلس ؟ و كيف كان التنظيم الإداري لها ، وحال الكتاب عندهم ؟ و ما هي المراسيم التي تعارف عليها الكتاب في تحرير المراسيم الديوانية ؟ و ما هي أنواع الكتابات الرسمية التي اشتهرت عند الأمويين في الأندلس ؟ و هل استطاعت الكتابة السلطانية مواكبة النقلة الحضارية التي أفرزتها المتغيرات السياسية و الحضارية لعصر الإمارة والخلافة الأموية بالأندلس ؟ و كيف ؟ ماهي الشواهد الدالة التي عكست علاقة هذه المتغيرات على بنية الخطاب السلطاني و نسيجه الفني ؟

لا شك أن الإحاطة بعناصر هذه الإشكالية و محاولة الإجابة عنها ، ما هي إلا مقاربة لأهم محاور موضوع الرسالة.

و من خلال تلك التساؤلات ، يمكن تحديد أهمية هذا الموضوع الذي سعيت من خلاله تسليط الضوء على الكتابة السلطانية في عصر الإمارة و الخلافة الأموية في الأندلس ، و دورها في قولبة الأطر التنظيمية والإدارية ، و ما نتج عنها من تطورات في جانب المؤسسات الإدارية و رسومها و استجابتها في توظيف أنماط مستحدثة من أصناف الكتابة السلطانية ، شملت بموضوعاتها مساحة كبيرة من المجالات تتعلق بحياة الناس الخاصة و العامة.

لذلك فأهمية الموضوع لا تكمن في نوعيته أو طبيعة الإشكالية التي يطرحها و إنما تكمن أيضا في كونه يبرز لنا إحدى المجالات الهامة في التاريخ الحضاري

للأنظمة الإدارية في بلاد الأندلس، و كيف تم توظيفه من أجل خدمة الدولة و الرعية ضمن رصيد التفاعلات والتطورات التي لامست ميادين مختلفة بما في ذلك الإجراءات الإدارية .

تجب الإشارة إلى مسألة مهمة و هي أن موضوع المذكرة قد اقتصر على دراسة الكتابة السلطانية ، أي كتابة الأمراء و الخلفاء الناتجة عنهم أو عن ديوان الكتابة العليا لدولتهم فقط ، دون غيرهم.

إن أهداف هذه الدراسة يمكن حصرها فيما يلي :

أ –محاولة إبراز قواعد النظم الحضارية المتطورة للكتابة السلطانية و رسومها كمظهر من مظاهر مؤسسات الحكم و الإدارة.

ب –تحديد البعد الاستراتيجي لوظيفة الكتابة السلطانية كأداة حية هادفة فاعلة وفعالة أثرت و تأثرت بالقضايا المحلية و الإقليمية و كذا العالمية في مسار تاريخ الأندلس الخاص و العام لعصر الخلافة الأموية.

و قد قسمت ووزعت المادة العلمية وفق خطة علمية بين مقدمة و فصل تمهيدي وثلاث فصول أخرى ، كل فصل بدوره يتفرع إلى محاور و عناصر وأخيرا خاتمة لخصت فيها أهم نتائج الدراسة.

إن الفصل التمهيدي عنونته بـــ " الجذور التاريخية للكتابة السلطانية في عصر الإمارة في الأندلس (138–316 هـــ / 756 –929 هـــ) " إذ لا بد منه كمدخل تاريخي لموضوع هذه الدراسة ، و اشتمل على محورين ، الأول يتناول دلالة مصطلح الكتابة السلطانية و أدواتها و هذا المحور بدوره تفرع إلى عنصرين الأول يتناول الجاني النظري لمصطلح الكتابة السلطانية ، و عملت على رصد و بناء معنى هذا التعريف من خلال التفسيرات المختلفة التي تطرقت لها المصادر الأدبية التراثية ، و كذلك بعض الدراسات الحديثة .

أما العنصر الثاني منه ، فخصصته للتعريف بأدوات الكتابة التي لها علاقة مباشرة بالكتابة السلطانية مباشرة و أكسبتها الأبهة و مفاخر المراتب و الألقاب السلطانية ورسومها.

و في المحور الثاني ، فقد تعرضت فيه بصفة عامة إلى أوضاع نشأة الكتابة السلطانية وعوامل تطورها في عصر الإمارة الأموية بالأندلس ، و من خلال عناصره الثلاثة ، تناولت في الأول منه الاهتمام بالكتابة السلطانية إبان الصدر الأول من عصر الإمارة ، أما العنصر الثاني تمثل بالخصوص في إبراز الإصلاحات الإدارية الخاصة ببلورة الملامح الإدارية للكتابة السلطانية ، إذ من نتيجتها ميلاد منصب رسم " كاتب السلطان " ، أي الكاتب الخاص للخليفة ، أما العنصر الثالث منه ، وضحت فيه سياسة أمراء بني أمية في اصطناع بيوتات الكتابة السلطانية و جعل خطتها متوارثة في أسر بعينها.

إن الفصل الأول هو بعنوان " الكتابة السلطانية و رسومها في عصر الإمارة الأموية بالأندلس (138 –316 هـ / 756–9299 م) " وقد قسمته إلى محورين : الأول يتناول التعريف بالدواوين المساعدة للكتابة السلطانية و هو بدوره يتفرع إلى عنصرين ، الأول منه تناول فيه التعريف بديوان الرسائل (أو الإنشاء) ، ويسمى رئيس هذا الديوان في الأندلس بصاحب الكتابة العليا .

و تطرقت في العنصر الثاني إلى ديوان البريد الذي تتصل به المراسلات الرسمية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، و نظرا لأهميته البالغة اعتنيت بالتعريف بمصلحة هذا الديوان و صاحبه ، و ركزت على جانب المهام وصلاحياته ، دون أن أهمل العناية الفائقة التي خصها حكام بني أمية لهذه المؤسسة ، بما قاموا به من تعبئة إدارية ووسائل مختلفة برية و بحرية ، سخرت من أجل خدمة ديوان البريد رغم تكلفتها الباهظة.

و كان المحور الثاني من هذا الفصل قد خصص للتعريف برسوم الكتابة السلطانية و ألقابها ، و بدوره انقسم إلى ثلاث عناصر ، الأول خصصته للشروط المترتبة بتعيين كاتب الحاكم ، أما العنصر الثاني فأفردته لرسوم هذا الكاتب ، في حين تناولت ضمن العنصر الثالث الحديث عن الرسوم و خصائص الكتابة الرسمية ، و من خلال ذلك أبرزت مدى أثر المتغيرات السياسية و الحضارية التي ظهرت وتحققت خصوصا في عصر الأمير عبد الرحمن الناصر بن معاوية بن هشام على تلك الرسوم.

أما الفصل الثاني بعنوان " مظاهر تطور صيغ و أنماط الكتابة في عصر الخلافة بالأندلس " و قد قسمته إلى عدة عناصر ، و كان جل اهتمامي منصبا على النص الرسمي لإبراز قدرة الكتاب على مواكبة التطور حسب حاجات الدولة وقضايا شؤونها كنتيجة طردية للتطور الذي أعقب النقلة النوعية في حضارة

الأندلس لهذا العصر ، فحاولت أن اظهر وجوه التقليد و التجديد من خلال أنماط جديدة في الكتابة لعصر الإمارة ، مراعيا في ذلك الملامح و الخصائص الأسلوبية و الأشكال الفنية الجديدة المستخدمة في أنواع النثر السلطاني في عصر الخلافة .

إن الفصل الثالث من المذكرة و الذي هو بعنوان " نماذج من موضوعات الكتابة الرسمية " فوزعته على عدة محاور فرعية ، فتناولت بالوصف و التحليل لمختلف مجالات قضايا الكتابة وأدوارها في عصر الخلافة من خلال أغراض موضوعاتها التي اكتنفت العديد من الشؤون ذات الصلة الوثيقة بانشغالات الدولة واهتماماتها ، و في نفس الوقت و بالموازاة عملت على استجلاء ا لقيمة التوثيقية للنصوص ، مراعيا في ذلك أهم محطاتها التاريخية التي اتسمت بملامح و سمات البيئة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية الأندلسية ، و كذلك العلاقات الخارجية التي طبعت عصر الخلافة و انعكست بشكل واضح على رفق الخطاب الرسمي ، و كانت الخاتمة عبارة عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث في هذا الموضوع.

عرض و تحليل و نقد المصادر المعتمدة في هذا البحث :

لقد ارتكز هذا البحث على دعامة متينة من المصادر و المراجع التي كانت غنية بمادة علمية مختلفة ومتنوعة ، و هي موزعة على مصادر تاريخية و أدبية وجغرافية مطبوعة و مخطوطة.

أولا : مصادر التاريخ العام :

1- كتاب " تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية القرطبي (ت367 هـ / 977 م) أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ، تناول ابن القوطية في كتابه هذا تاريخ الأندلس من الفتح إلى أواخر إمارة " الأمير عبد الله بن محمد " أي إلى سنة

299هـ /912 م ،و لقد أفادني خاصة في الإطلاع على بعض المحاورات التي تمت بين الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني ووزيره التي أظهرت بوضوح سياسة الأمويين في اصطناع بيوتات الكتابة السلطانية وتخصيصها في أسر بعينها يطمئنون إليها ، كما تناول بعض الرسوم والألقاب المتعلقة بخطتها.

2 -كتاب " المقتبس من أنباء أهل الأندلس " لأبي مروان بن حيان بن خلف (ت 469 هـ /1076 م) و قد اعتمدت عليه في كل الرسالة تقريبا.

القطعة الأولى : السفر الثاني من كتاب المقتبس و قد حفلت بمادة غزيرة شملت أحداث إمارة " الحكم بن هشام " المعروف بالربضي من سنة (180-206 هـ / 796 – 822 م) ، ثم جزء من إمارة ابنه عبد الرحمن بن الحكم الأوسط من سنة (206-238 هـ /822 -860 م) أي أن هذه القطعة مهمة جدا لأنها تغطي فترة من تاريخ الأندلس تمتد إلى حوالي 88 سنة أي ما بين أواخر القرن الثاني الهجري و أواخر القرن الثالث الموافق للقرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، و الأهم من ذلك أنها تتطرق إلى فترة حافلة بالأحداث السياسية و معالم القواعد الحضارية رغم الثورات والانتفاضات وحركات التمرد التي عكرت صفو استقرار عصر الإمارة الأموية و هي في عز ازدهارها ، و قد استفدت من هذه القطعة أيما استفادة حيث شملت بداية حكم الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي عرفت البلاد في عهده ازدهارا كبيرا في معالم حضارتها ، و ظهر ذلك جليا في مظاهر الفخامة و الأ بهة التي افردها للخطط الكبرى في الخدمة السلطانية ، و استقرار الرسوم والنظم الإدارية.

كما ضمت هذه القطعة بعض النصوص ، خاصة الكتاب الذي بعثه الأمير الحكم الربضي إلى الأفاق عندما قضى على ثورة الربض التي كادت أن تؤدي بعرشه.

و كذا نص جواب الكتاب الذي بعثه الأمير عبد الرحمن الأوسط للإمبراطور البيزنطي الذي طلب وده و صداقته.

القطعة الثانية و تبدأ من سنة 232 –267 هـ / 846 – 880 م ، وتتناول ست سنوات من حكم الأمير عبد الرحمن الأوسط و معظم سنوات عهد ابنه الأمير محمد ، و قد أفادتني هذه القطعة بما احتوته من مادة علمية مهمة ، ومن خلالها توصلت إلى معرفة كيفية ظهور رسم كاتب الخليفة ، كما اطلعت على الإصلاحات الإدارية التي قام بها الأمير عبد الرحمن الأوسط في تنظيم الخطط في دواليب الحكم و أجهزته.

القطعة الثالثة : " المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، و تناولت عهد الأمير عبد الله الأموي (275 – 300 هـ /888 –912 م) ، في هذا المصدر ترد الإشارة إلى أن أشهر من تولى الكتابة في الدولة الأموية على الإطلاق هو الخليفة عبد الرحمن الناصر ، فقد اختبره جده الأمير عبد الله بن محمد عندما أمره أن يكتب كتابا لأحد عماله بأمر هام و يبدو أن عبد الرحمن (الثالث) قد أصاب بغية جده ، الذي لم يخف سروره بنبوغ حفيده ، فاتخذه كاتبا لسره.

القطعة الرابعة : " المقتبس لابن حيان القرطبي " الجزء الخامس تحقيق بيدرو شالميتا و آخرين ، تحقيق بيدرو شالميتا و آخرين ، تشمل عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر " و تبدأ من سنة 300 – 330 هـ /912 – 931 م و قد اعتمدت عليها في تبيان الأسلوب الإداري الذي سلكه عبد الرحمن الناصر والذي اعتمد فيه على السلطة المركزية المطلقة ، و يتضح ذلك من خلال التغيرات الوزارية بما فيها خطة الوزارة وا لكتابة العليا ، و قد احتوت على نص الرسالة التي بعث بها عبد الرحمن الناصر إلى الأفاق للتشهير و التنكيل بأتباع ابن مرة وفضح عقيدته ، و كانت من إنشاء كاتبه عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي.

القطعة الخامسة : المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن علي و تتناول هذه القطعة أحداث خمس سنوات كاملة من خلافة الحكم المستنصر بالله و تبدأ من (360– 364 هـــ / 970 – 975 م) و من خلال هذا المصدر المهم اطلعت على الكثير من الرسوم و كذلك على العديد من نصوص كتب الخليفة المستنصر بالله في مختلف المجالات.

1 – كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب " لأبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي ، (كان حيا عام 712 هـ /1312 م) ويعتبر كتابه ذا قيمة تاريخية كبرى و مصدرا أساسيا لتاريخ المغرب والأندلس ، فلقد شملت أجزاء هذا الكتاب فترة من تاريخ هذه المنطقة من الفتح إلى غاية 667 هـ /1268 م ، اعتمد في أخباره على العديد من المصادر المفقودة و من هنا تكمن أهميته التاريخية ، و قد غطت المادة العلمية في الجزء الثاني و بعض من الجزء الثالث ، نسبة كبيرة من جوانب الرسالة لما تضمنته من معلومات ذات صلة بمعظم فصول الموضوع ، على الرغم م ن الكتاب غلب عليه السرد التاريخي للأحداث السياسية و العسكرية ، إلا أنه تضمن معلومات مهمة عن النظم و كذا الرسوم المتعلقة بكتابة الدولة و كذا العديد من النصوص الرسمية التي أفادتني كثيرا ، حيث انفرد بخبر توزيع أعمال خدمة الكتابة السلطانية على أربعة مصالح إدارية بموجب إصلاحات الخليفة عبد الرحمن الناصر لسنة 344 هـــ /955 م.

2 –كتاب " أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الا حتلام من ملوك الإسلام و ما يتعلق ذلك من كلام " للوزير لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب (ت سنة 776 هـــ /1374 م) ، كان له حضور قوي في الحياة السياسية بمركزه حتى لقب بذي الوزارتين ، الأمر الذي أتاح له فرصة الإطلاع

على الوثائق و المراسلات الرسمية المحف وظة بقصر الحمراء في غرناطة فاعتمدها في كتبه التاريخية.

ينقسم هذا المصدر إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول : يتناول تاريخ المشرق العربي ابتداءا من سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم حتى عصر المماليك.

القسم الثاني : و هو خاص بتاريخ الأندلس ، و قد أفادني جدا من حيث النصوص السلطانية ، خاصة نص احتفال الخليفة المستنصر بالله ببيعة هشام المؤيد وليا للعهد ، كما سجل ما قام به الحاجب المنصور بن أبي عامر بالخليفة هشام و الحجر عليه ، حيث ذكر فيه العديد من رجالات الدولة وأعيانها الذين سجلوا شهادتهم للبيعة في السجل الخاص ، و أورد مجموعة من النصوص تخص زمن حكم الخليفة " هشام المؤيد بالله " للأسرة العامرية ، كنص منح الألقاب السلطانية الذي خص به الحاجب عبد الملك المظفر و نص البيعة لعبد الرحمن شنجول كولي للعهد.

1 –كتاب ترجمان العبر ، و ديوان المبتدأ و الخبر فـي أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون (ت سنة 808 هـ / 1406 م) ، إن هذا المصدر المهم يقع في سبعة مجلدات ، الأول منها هو المقدمة التي تناولت تاريخ العمران و الحضارة في الأندلس و بلاد المغرب الإسلامي بصفة خاصة و ا لعالم الإسلامي بصورة عامة ، احتوى على معلومات قيمة في مختلف المجالات : العمران و الجغرافية و الطب والصناعات والفلسفة والتاريخ . و لقد استفدت جدا من المقدمة و خاصة ما تعلق بالخطط السلطانية ، كالخلافة و الوزارة و الحجابة و الوزارة و نظم الحكم في المشرق و المغرب والأندلس ، أما الجزء الرابع منه فقد أفاد البحث كثيرا ، حيث تناول تاريخ الدولة الأموية بالأندلس و تعرض إلى أحداث مهمة خلال هذه الفترة.

2 – كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (765 – 821 هـ / 1355 –1418 م) ، و هو مصدر موسوعي في النظم الإسلامية حيث تعرض إلى الدواوين و الكتاب و كل ما يحتاج إليه الكاتب من أدوات و أمور علمية و عملية و صفة المكاتبات الرسمية و الألقاب والتجليات وهيئة دواوين الإنشاء و تقسيم الوظائف والرتب ، كما تطرق إلى الخلافة الإسلامية و شروطها و رسومها و من كان خليفة من الأمويين والعباسين والأندلسيين و الفاطميين .

و تعرض إلى ديوان البريد فعرفه لغة و اصطلاحا ، وتطرق إلى نظام البريد ومهامه بالتفصيل و التحليل الدقيق ، لأنه عمل كاتبا في ديوان الإنشاء في عصر المماليك بمصر فجاءت معلوماته دقيقة و مستفيضة.

إن كتاب " صبح الأعشى " هو مصدر مهم في النظم الإسلامية و للعديد من الوثائق المهمة ، بالإضافة إلى التاريخ و السير و اللغة و الأدب و الفقه و التفسير و الحديث و شرح الأمثال و الحكم العربية ، يقع في أربعة عشر جزءا مطبوعا ، و قد قسم المؤلف كتابه و بوبه و نسقه بطريقة خاصة ، إذ جعله على مقدمة وعشر مقالات و خاتمة.

3 – كتاب " رونق التحبير في حكم السياسة و التدبير " لأبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن محمد بن سماك العاملي الأندلسي ، يرجح انه عاش ما بين (النصف الثاني من القرن الثامن و جزءا القرن التاسع الهجريين ما يوافق النصف الثاني من القرن الرابع عشر و جزءا من القرن الخامس عشر الميلاديين) ، وهو من تلامذة لسان الدين ابن الخطيب النابهين و كبار مثقفي الأندلس ، عمل بديوان الإنشاء ، حيث كان يعمل أبوه و استمر يعمل في دوائر السلطة في ظل حكم بني الأحمر بغرناطة النصرية مدة طويلة من الزمن ، مما

أهلته لاكتساب مكانة علمية و إدارية هامة مثلما صرح به في مقدمة هذا الكتاب " و جمع العبد الآن في هذا الموضوع ، من السياسات المستحسنة ما استفاده ببابهم الكريم (ملوك بني نصر) منذ ثلاث و ثلاثين سنة اتصل إلى معرفة ذلك بالحنكة و التجريب ، والممارسة والتدريب فلخص معانيه ، وقرب أبوابه أحسن التقريب ليخف النظر فيه على من تأمله ، و يلغي قوانينه مستوفاة ومكملة ، توشحت من الحسن في أبهى المضارب و الأبواب ، و انحصرت في جملة من الأبواب بلغت عدتها إلى الأربعين " يعتبر موضوع كتاب " رونق التحبير في حكم السياسة و التدبير " من موضوعات أدب التهذيب السلطاني ، و الذي يختص بفنون السياسة و آداب الحكم ، كان القصد منه تربية الأمراء وإرشاد من يخدمهم ، و لقد جعل ابن السماك كتابه الذي بناه على أربعين بابا في حال الملك و ما يتطلبه من أعوان و آليات ، وفصل القول فيما يقتضيه من ضوابط و تقاليد و إنشاء مؤسسات الدولة ، وأساليب تسييرها في حالة السلم والحرب ، و ما ينبغي أن يتبع رجال الدولة مع الحكام من سلوك و اشتمل على العديد من الوصايا والنصائح و القواعد السياسية و الأخلاقية التي يستوجب التقيد بها لأجل تسيير المملكة واستقرار السلطة و دوامها ، و ضع هذا الكتاب من أجل السلطان محمد المستعين أبو عبد الله محمد الغني بالله ، الذي اعتلى سدة الحكم سنة 797 هـ / 1394.

إن أهمية هذا المصدر تكمن في كونه يشكل المرجعية المحلية ، إذ أن ابن السماك العاملي اعتمد في جمع مادة كتابه على رصيد متنوع تقاطع فيه خلاصة التراث العربي و الفارسي و اليوناني ، و لقد أفادني كثيرا رغم اقتضاب واختصار أبوابه ، فقد توزعت معلوماته على أهم محاور فصول الرسالة ، مثل باب اختيار كاتب السلطان ، و الخط و الأقلام و رسوم الكتابة في باب اختيار السفراء والملوك.

8 – كتاب " ذكر بلاد الأندلس " ، لقد جمع المؤلف المجهول بين الجغرافية و التاريخ تقليدا لسنة كثير من الجغرافيين و المؤرخين الأندلسيين ، إذ استهله بذكر جغرافية الأندلس ، ثم تعرض لأخبار مدينة قرطبة و سائر المدن الأندلسية ، و تناول إلى جانب ذلك تاريخ الأمراء و الخلفاء من بني أمية في الأندلس و ملوك دول الطوائف ، و بناء على هذا المصدر استخرجت الجدول الخاص بعبارات نقوش الأختام لخلفاء بني أمية في الأندلس ، و قد انفرد المؤلف عن سائر المؤرخين بذكره لخبر إلغاء الحاجب المنصور بن أبي عامر خاتم الخليفة هشام ، و لذلك سمي بالمؤيد بالله ، و اقتصاره على خاتمه.

9 –كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب للمقري التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م) ، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة ضخمة عن تاريخ و حضارة الأندلس ، حقق فيه المقري التعريف بتاريخ الأندلس و جغرافيتها و آدابها و رجالها ، إضافة إلى التعريف بوزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، يقع الكتاب في ثماني مجلدات ، ويعد مصدرا لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ الأندلس ، و قد ضمنه المؤلف معلومات نادرا ما تجدها في كتاب غيره . و لأن عصر الكاتب تأخر إلى القرن الحادي عشر الهجري ، فقد سمح له أن يواصل الكتابة عن تاريخ الأندلس بعد النكبة التي أصابتها و سكانها من العرب المسلمين ، وبهذا استطاع أن ينقل نصوصا كثيرة ودقيقة عن المراحل المتأخرة من تاريخ هذه البلاد من مصادر مفقودة لحد الآن ، و من خلاله ترجمت للعديد من الشخصيات التاريخية ، و قد تطرق إلى خطة الكتابة بايجاز شديد.

ثانيا : كتب التراجم و الطبقات :

1 –كتاب " تاريخ علماء الأندلس " لابن الفرضي (قتل عام 403 هـ /1012 م) ، و هو مصدر خاص بالتراجم على شاكلة المعاجم ، جمع فيه مجموعة من الشخصيات العلمية كالفقهاء ، و الرواة ، و المحدثين وعلماء الدين ، و اللغويين و الشعراء الذين عاشوا في الأندلس أو استوطنوها أو من رحل عنها إلى بلاد أخرى .و يحتوي الكتاب على مادة تاريخية غنية ، أفادت الباحث في الترجمة للخلفاء الأمويين في الأندلس والعديد من الأعلام ، بما فيها الكتاب والوزراء.

2 – كتاب " جمهرة أنساب العرب " لابن حزم القرطبي (ت 456 هـ / 1063 م) و هو من كتاب الأندلس المشهورين بمعارفه و معلوماته الموسوعية ، صاحب التصانيف الكثيرة المتنوعة ، كان أبوه أحمد وزيرا للحاجب المنصور بن أبي عامر ، و يعتبر هذا المصدر من كتب الأنساب المهمة ، و قد وظفته في التعريف بأصول بعض الأسر التي اختصت بالكتابة في ديوان الإنشاء أو لدى الخلفاء الأمويين.

3 – كتاب " جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس " للحميدي (ت في بغداد سنة 488 هـ / 1095 م) ، ولد الكاتب في قرطبة ثم استقر بميورقة ، كان من طلاب ابن حزم الأندلسي ، ثم رحل إلى العراق و مات ببغداد .

و كان لاستقراره في العراق أثر في تكوينه العلمي حيث احتك بالمراكز العلمية ، و هو من كتب التراجم المهمة و خاصة من رجال الحديث من الأندلسيين ، و هو الغرض الذي ألف من أجله ، و اهتم إلى جانب ذلك بتاريخ الأندلس من بداية الفتح الإسلامي مرورا ببعض الشخصيات المهمة من الكتاب و الولاة والوزراء في عصري الإمارة والخلافة إلى غاية منتصف القرن الخامس الهجري

، و جاءت تراجمه على حروف المعجم ، و قد استعنت به في الترجمة لبعض الرموز الإدارية والسياسية ، وساعدني في التعرف على أحوال الأندلس السياسية و الثقافية والمذهبية.

4 –كتاب " مطمح الأنفس و م سرح التأنس في ملح أهل الأندلس " للفتح بن خاقان الغرناطي (ت 529 هـ / 1134 م) و يعرف بكتاب " تاريخ الوزراء و الكتاب و الشعراء في الأندلس " قسم كتابه هذا إلى ثلاثة أقسام ، استخدمت القسم الأول حيث يترجم لعدة شخصيات باعتبار وظائفهم السياسية ومهامهم الإدارية ، و ما اشتهر عنهم من فنون العلم و الآداب ، فلقد خصص أبوابا للوزراء و الكتاب و القضاة . استعنت به في التعريف ببعض وجوه وزراء الكتابة مثل الحاجب المصحفي و الكاتب الوزير للدولة العامرية عبد الملك الجزيري.

5 كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام الشنتريني (ت حوالي 542 هـ / 1147 م) و هو في أربعة مجلدات ، كل قسم يتناول تاريخ أحد أقاليم الأندلس و أمرائه و شعرائه لأنه وضعه حسب التقسيمات الجغرافية الإقليمية للأندلس.

القسم الأول ، خصصه لقرطب ة و ما جاورها من بلاد وسط الأندلس ، والقسم الثاني تعرض فيه لاشبيلية و ضواحيها ، في حين تناول القسم الثالث بلنسية و ما جاورها في حين خصص القسم الرابع للغرباء الوافدين على الأندلس.

و لأن ابن بسام الشنتريني أديبا ، فقد اعتمد بشكل كبير على عمدة مؤرخي الأندلس ابن حيان في كتابه المتين ، فحفظ الشيء الكثير من هذا التراث التاريخي المفقود ، و قد استفدت كثيرا من هذا المصدر المهم في تراجم الخلفاء وكتاب السلاطين في فترة الفتنة ، و أورد الكاتب مجموعة من النصوص السلطانية

المهمة التي انفرد بها : كالكتاب السلطاني لأهل الخدمة ، الذي وضح فيه التقيد برسوم الكتابة الرسمية بالإضافة إلى بعض المعلومات التاريخية الدقيقة و التراجم التي احتواها ديوانه.

6- كتاب " الحلة السيراء " لابن الابار القضاعي (ت 658هـ / 1260م) و يعتبر الكاتب أحد أكبر مؤلفي كتب التراجم ، و هو مؤرخ دقيق ، يكتب معتمدا على ما في يده من وثائق كانت على جانب كبير من الأهمية ، هذا المصدر هو عبارة عن كتاب تراجم لمشاهير أمراء و أعلام السياسة والحرب وكبار رجال الأندلس و بلاد المغرب ، يتناول تاريخ البلاد منذ الفتح إلى متصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، و قد انفرد بالعديد من الروايات التي لا نجدها في مصدر آخر ، و من خلاله تعرفنا على صاحب ديوان الكتابة العليا في الكتابة السلطانية و كيف يختم الرسائل بخاتم الخليفة – في ديوان الرسائل بباب السدة ثم يوزعها على ولاة الأقاليم في الدولة الأموية ، و من خ لاله عرفنا أنه كانت تجمع في الأندلس للكاتب الوزير مجموعة من الخطط السلطانية.

يقع هذا المصدر المهم في جزأين و يتناول تاريخ المنطقة منذ المائة الأولى للهجرة إلى المائة السابعة ، و قد استعنت به في الترجمة للخلفاء الأمويين وكتابهم في عصري الإمارة و الخلافة.

كتاب " إعتاب الكتاب " لذات المؤلف ، يحتوي هذا الكتاب على ترجمة خمسة و سبعين كاتبا مشهورا ، حيث كانوا مضرب الأمثال عن حلم السلاطين والخلفاء و استعطاف الكتاب لينالوا العفو عن أخطائهم و الصفح عن ذنوبهم.

و قد قام بتقسيم كتابه إلى قسمين خصص القسم الأول للمشار قة و القسم الثاني لبلاد المغرب و الأندلس ، إلا أننا نجد شيئا من التداخل و عدم الدقة

والضبط في هذا التقسيم ، فترجم لبعض المشارقة في القسم الثاني و العكس صحيح.

إن " اعتاب الكتاب " يعتبر مصدرا تاريخيا مهما كشف عن حياة عدد من الكتاب والوزراء في المغرب و المشرق ، كما تطرق إلى معلومات قيمة عن حياة شخصيات سياسية و علمية كان لها دور في الانجازات الحضارية ، و أشار الكتاب كذلك إلى عدد من النظم و التقاليد التي كانت متبعة في تنظيم الدواوين ، منها مثلا أنه عرض صورة (حية) لانجاز توقيع في ديوان الكتابة العليا أيام الحاجب المنصور العامري.

كتاب " المغرب في حلي المغرب " لابن سعيد المغربي (ت 685 هـ/1268 م) و المؤلف من بيت علم و نباهة ، اشتهر أفراده بالعلم و الأدب والتاريخ ، و قد دون أفراد هذه الأسرة ، و الكاتب آخرهم تاريخ الأندلس على مدى مئة عام.

إن العنوان الكامل للكتاب ه و " فلك الارب المحيط بحلي لسان العرب " وينقسم إلى كتابين كبيرين " المغرب في حلي المغرب " و " المشرق في حلي المشرق " أما الأول فانه يؤرخ للمغرب و الأندلس خلال الفترة (529–640 هـ / 1135–1243 م) تضمن جزئين حيث ترجم لشخصيات بارزة في الأندلس حتى نهاية عصر الموحدين ، و من خلاله اطلعت على الحادثة التي جعلت من ابن سعيد الزجالي – مؤسس بيت الكتابة السلطانية بالأندلس – وكيف أصبح كاتبا خاصا بالأمير عبد الرحمن الاوسط ، و على إثرها انشيء رسم كاتب السلطان .

ثالثا : كتب الجغرافية

كتاب " الروض المعطار في خبر الأقطار " لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت 723 هـ /1323 م) و هو عبارة عن معجم جغرافي مرتب على حسب حروف المعجم ، و بالإضافة إلى مادته الجغرافية و التي تخص المدن والكور ، تعرض إلى عدد كبير من الأحداث التاريخية الدقيقة كمسألة نقل الحاجب أبي عامر دواوينه إلى مدينة الزاهرة ، و ضم بين دفتيه بعض النصوص السلطانية كالنص الذي بعثه الوالي عبد العزيز بن نصير لملك تدمير ، و كذلك الحوار الذي دار بين الخليفة عبد الرحمن الناصر و منذر بن سعديد البلوطي ، والتعريف بكاتب الحاجب المنصور بن أبي عامر بن دراج القسطلي و إيراد أبيات من شعره ، ومن هنا يتبين بوضوح أهمية هذا المصدر لموضوع الرسالة.

و قد اعتمدت على مجموعة من المراجع و الدراسات العربية و كذا الأجنبية بالإضافة إلى هذه المصادر التي أفادتني كثيرا و لعل من أهمها :

1 – دولة الإسلام في الأندلس (عصر الخلافة و الدولة العامرية) ، العصر الأول – القسم الثاني للباحث المؤرخ عبد الله عنان ، و قد تضمن الفصل الأخير من هذا الكتاب الجانب الحضاري ، و تطرق إلى النظم في عصر الخلافة ، إلا أنه لم يفصل في مؤسسات الحكم و إدارتها وبخاصة خطة الكتابة.

2 –" نظم حكم الأمويين و رسومهم في الأندلس " لسالم عبد الله الخلف ، حيث قدم مادة علمية دسمة و متنوعة و موزعة بين الأحداث التاريخية والحضارية ، فعرف بالخطط و رسومها و كانت خطة الكتابة وديوان البريد من ضمنها ، و بالرغم من أنها كانت موجزة ، إلا أنها ساعدتني في فهم بعض الأمور الدقيقة.

3 – " قرطبةفي العصر الإسلامي .تاريخ و حضارة " لأحمد فكري ، تعرض الباحث إلى التعريف بمدينة قرطبة من الجوانب التاريخية والحضارية ، كما أشار إلى الأبحاث الأثرية المتعلقة بهذه المدينة و قد خصص جزءا من كتابه للتعريف بقصر الخلافة – القصر الكبير– الذي ظل مقرا للحكم في عهود مختلفة من تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، و فيه تتواجد مجالس الديوان السلطاني وديوان الرسائل ، حيث يقع في القسم الشرقي من القصر ، و تعرض إلى الخطط الكبرى الهامة كخطة الرسائل ، و أشار إلى مراسيم التعيين و الاختبار و التركيز على بعض الأسر للخدمة لدى الخليفة ، إلا أن ما يلاحظ على الدراسة أنها كانت مختصرة في المعلومات و التي في غالب الأحيان لا تتجاوز الفقرة أوالفقرتين.

إن المصادر و المراجع الأدبية الأندلسية كان لها حضور في هذه الرسالة وقد أفادتني كثيرا وكان في مقدمتها كتاب إحسان عباس " تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة " و كتاب احمد هيكل " الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة " ، و قد أفادتني الدراستان في معالجة نصوص المكاتبات السلطانية ، والتطور التاريخي لاتجاهاتها الأدبية و الفنية و أهم مؤثرات المدارس الأسلوبية المشرقية التي ساهمت بشكل أو بآخر في بلورة أنساق صيغ موضوعات الخطاب السلطاني .

و قد أفاد البحث من الدراسة القيمة لعلي بن محمد " النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، مضامينه و أشكاله " .

و تأتي في مقدمة الدراسات الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية دراسة المستشرق الفرنسي ليفي بروفن سرال Elivi provencal حول " تاريخ اسبانيا الإسلامية histoire de l’Espagne musulmane " و قد أفادت البحث كثيرا و بخاصة الجزء الثالث منها ، حيث تناول صاحبها جوانب من حضارة الأندلس

وبشكل موسع عن عصر الخلافة بحيث تضمن التنظيم الإداري ، فتعرض إلى ديوان البريد و ديوان الكتابة ، و مظاهر رسومها ، وكان الجانب المهم في هذا الكتاب أنه اعتمد كليا على مصادر التاريخ الإسلامي.

لقد وظفت في هذه الدراسة مجموعة من المناهج نظرا لطبيعة الموضوع ، كالمنهج السردي التاريخي الشائع الاستعمال لدى المؤرخين ، إذ جمعت النصوص المتعلقة بعصر الخلافة و قمت بفحصها و ترتيبها زمنيا ، وعملت على تفسيرها وتفكيك محتوياتها و ربط قرائنها بواسطة المنهج التحليلي الذي يتخطى الجانب الشكلي من المكاتبات السلطانية إلى مستوى العمق و الدقة ، وساعدني في ذلك المنهج الحفري (الاركيولوجي) أي حفر ا لمادة العلمية لإزالة الغموض الذي يكتنف بعض الحقائق الواردة في النصوص ، و ذلك من خلال محاورة النص ومساءلته .

إضافة إلى ذلك استعنت بالمنهج المقارن للمطابقة و استخلاص ما هو خاص و ما هو مشترك عام من حيث الاختلاف و التشابه بين مختلف النظم في المشرق والأندلس ، لأن هذه البلاد كانت عبارة عن همزة وصل بين العالمين العربي الإسلامي و الغربي ، و ملتقى العالم الإسلامي و العالم الغربي الأوربي المسيحي ، و لقد اكسبها هذا التقاطع خصائص التميز و التفرد في الكثير من مظاهر حضارتها ، كما زاوجت بين منهج المقارنة و الإسقاط لأجل شرح و توضيح بعض المعلومات التي هي في العادة غير متوفرة في المصادر التاريخية المحلية للأندلس ، هذا و من الجدير بالملاحظة أني اعتمدت كثيرا على هذا المنهج ووظفته في كثير من الأحيان على النظم الإدارية المشرقية ، لأن مثيلاتها في الأندلس اشتركت معها شكلا و مضمونا ضمن قواسم روافد الموروث الحضاري الإسلامي بصفة خاصة .

أما المنهج الوصفي فقد استعملته عند تناولي للمظاهر الحضارية لخطة الكتابة وما يلحق بها أو يستلزمها من وسائل مادية و رسوم و تقاليد و التي لا يكتمل رسمها المعرفي إلا عن طريق الوصف .

لقد واجهتني مجموعة من الصعوبات مختلفة العوامل و الأسباب ، انعكست بشكل أو بآخر على المسار الطبيعي للبحث ، منها ما يرجع لطبيعة الموضوع كونه يتناول النظم الإدارية في القرون الوسطى و التي غالبا ما يكتنفها بعض الغموض و الالتباس و كذلك صعوبة التحكم في بعض المصطلحات الخاصة بالنظم الإدارية لخطة الكتابة السلطانية التي انفردت بها بلاد الأندلس ، و ذلك في غياب المصادر و الدراسات المتخصصة الدقيقة عن تاريخ المؤسسات للخطط (النظم) و إدارتها ، و على الرغم من ان المصادر الأندلسية تزخر و تجود بالعديد من أسماء الخطط السلطانية ، لكنها في مقابل ذلك تكاد تكون خالية من أي إشارة للنظام الإداري لتلك الخطط.

أضف إلى ذلك ، عدم استطاعتي الحصول على بعض المصادر المهمة مثل كتاب الحميدي " تسهيل السبيل في تعليم الترسيل " و كتاب أبـي القاسم محمد الكلاعي " إحكام صنعة الكلام " وكتاب أمين الدين أبو القاسم (ابن منجب الصيرفي) " القانون في ديوان الرسائل " و كتاب " طبقات الكتاب " لابن هشام النحوي المعروف بالافشين.

ومن الصعوبات التي واجهتني كذلك أن نصوص الرسائل السلطانية كانت موزعة في بطون المصادر بصورة غير منتظمة و غير مصنفة أرشيفيا ، لأن طبيعة الموضوع ارتكزت بالأساس على نصوص الوثائق الرسمية الصادرة عن ديوان الكتابة العليا للخليفة ، كما أن غياب دور المحفوظات الأرشيفية لمعالجة هذا

الموضوع ، يطرح إشكال الأمانة العلمية في نقل النص الأصلي لهذه الكتابات وبخاصة إذا ما كانت تخص الجانب السلطاني ، لأن المادة التوثيقية لهذه النصوص ، جمعتها كلها من المصادر التاريخية و الأدبية و الجغرافية ، و هي بالتالي كانت عرضة للتحريف من قبل كتابها حسب الميول و الأهواء والانتماءات الدينية والمذهبية و السياسية ، و كان لتعدد الطبعات المختلفة التحقيق أن جعل بعض النصوص تعرف الاضطراب ، بل و السقط و التصحيف و التحريف أحيانا ، أضف إلى ذلك كثرة الإعلام التي احتوتها تلك النصوص مما تطلب مني بذل الجهد الكبير و تحمل المعاناة سعيا للتعريف بهم و ت رجمتهم ، مما انعكس على وقت انجاز الرسالة و اتجاهها ، ناهيك عن التنقل بين المكتبات الوطنية لكل من مدينة تلمسان ، وهران ، قسنطينة ، باتنة ، معسكر و الجزائر العاصمة ، حيث اطلعت على العديد من المخطوطات ، كل ذلك من أجل جمع المادة العلمية للبحث.

و في الختام لا يسعني إلا أن أوجه أسمى آيات الشكر و العرفان و التقدير للأستاذ المشرف الدكتور مبخوت بودو اية ، الذي أشرف على هذا البحث ، لما قدمه لي من كتب و ملاحظات دقيقة و إرشادات سديدة ، عبر أحاديثه الشفوية أوتعليقاته الكتابية ، فجزاه الهوخير الجزاء و جعلها في ميزان حسنا ته إنشاء الله ، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إعداد هذا البحث وزودني بالكتب والمعلومات و التوجيهات.

أخيرا لا بد من الاعتراف بأن الخوض في مثل هذه الموضوعات الصعبة لا يسلم من نقص و بالتالي سيكون لجلسة المناقشة دور في تصويب ما فاتنا لتحقيق الفائدة المرجوة ، لكي يكون البحث في أجمل صورة ، و لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه مسبقا بالشكر و الامتنان الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة على جهدهم و صبرهم لقراءة و تصويب و تقويم الرسالة.

الفصل التمهيدي

1 -مفهوم و تعريف مصطلح الكتابة و أدواتها

2 -الأدوات

3 -أشهر الأسر في الكتابة السلطانية

1. مفهوم و تعريف مصطلح الكتابة و أدواتها :

الكتابة * وسيلة اتخذها الإنسان لينقل إلى من سواه ما لديه من أفكار ومعارف ، و الاهتداء إليها كان أبرز مظاهر الحضارة السومرية التي سادت العالم القديم . لقد كانت الشعوب القديمة تحترم الكتابة وأضفت إليها صفة الألوهية و قد استها [1] وجعلت منها أداتها الرسمية التي دونت بها تشريعاتها العقائدية ونظمها السياسية و الإدارية . و تبقى الكتابة من أعظم ما أنتجه الفكر الإنساني ، فباختراعها يمكن أن نؤرخ لبداية تاريخه الحقيقي [2] ، كما كان ثورة حضارية [3] ارتقت بالانسان إلى مستويات عالية اختزلت بها مجازات التعبير الثقافي في المجتمعات البشرية التي منحتها الهوية و القومية.

---

*الكتابة **في اللغة** ، من كتب ، و كتبه ، بمعنى خطه ، و الكتاب اسم لما كتب مجموعا . الامام أبو بكر بن محمد الصولي : أدب الكتاب ، شرح و تعليق أحمد حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1994 ، ص 114 ، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب المحيط ، قدمه العلامة الشيخ العلايلي ، دراسات العرب ، بيروت ، د ت ، ج 2، ص 118 ، لأنه يجمع الحروف ، و سميت الكتيبة ، كتيبة لأنها تجمع الجيش ، شهاب الدين أحمد النوري : نهاية الارب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، د ت ، ج 7 ، ص1.

jacgues Glassner : sumer , comment est née l'écriture , science et vie , Hors série N° 219 , juin ,2002, France ,PP 22-28 Bordas Encyclopédie , Histoire Universelle le Monde antigue , T4 , Ed G.L.1968 , paris , p 32.

G.Contenan : la civilisation phénicienne , Ed.payot, paris , 1949,p,21.

محمد صغير غالم : التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1979 ص ص 18–32.

دافيد ديرنجر : متحف الابجديات ، ترجمة عبد المنعم الصاوي ، مجلة اليونسكو ، العدد 60 ، السنة 1962 ، ص 8.

(1)دافيد ديرنجر ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(2)محمد رجب فضل الله.عمليات الكتابة الوظيفية و تطبيقها و تعليمها و تقويمها ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 2003 ، ص 1.

(3)دافيد ديرنجر : المرجع السابق ، ص 6.

أ . دلالة المصطلح :

أثبتت الدراسات المتعلقة بتاريخ الكتابة و أهمها الابيغرافيا * Epygraphy والباليوغرافيا ** Paléography أن الكتابة العربية هي نتاج خبرة معرفية تراكمية في النسق الحضاري ، و ما الأسواق الموسمية كسوق عكاظ في الحجاز و سوق المربد في البصرة و المعلقات إلا شكلا يعكس أنماط الثقافة التواصلية والواقع المعاش.

لابد من الإشارة هنا إلى أن الدعوة الإسلامية كانت في محيط متعلم ، وكانت منتشرة ألفاظ كالقلم ، الكتابة ، العلم ، الدراسة ، بل ك انت ثمة أجواء ملائمة وبطانة معرفية حاضنة للرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، و من نافلة القول أن يعتبر أهل قريش أمة أمية *، إن العمق الفكري

---

* الابيغرافيا : هو علم فك رموز الكتابات القديمة ، المرجع نفسه ، ص 8.

** الباليوغرافيا : هو علم قراءة و تفسير النصوص القديمة المنقوشة على الأجسام غير الصلبة كالجلود و أوراق البردي و الورق ، و الأقمشة و الشمع . دافيد ديرنجر ، المرجع السابق ، ص 8.

لقد أحدثت دراسات الابيغرافيا ثورة في معارف العالم ، كما أدت إلى اكتشاف حضارات بأسرها و تنظيم معارفها حتى كونت وحدة متكاملة . أما دراسات الباليوغرافيا ، فكانت ذات أهمية عظمى لدراسة التاريخ القديم و تاريخ العصور الوسطى ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

* حسب ما جاء في القرآن في سورة الجمعة :" هُوَ ألذّي بَعَثَ فِيْ الأُمِيينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيهِم آيَاتِهِ وَ يُزَكِيهِمْ وَ يُعَلِمُهُمْ الكِتَابَ وَ الحِكْمَة وَ إنْ كَانُوا مِنْ قَبْل لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ " الآية 2.قال القرطبي : " قال ابن عباس : الأميون هم العرب كلهم ، من كتب منهم ومن لم يكتب ، لانهم لم يكونوا أهل الكتاب " ، وليس اللفظة الامية صلة بالأمية التي تعني الجهل بالقراءة و الكتابة " القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة 1949،ج 18 ، ص 91 ، بخصوص فكرة الأمية عند عرب قريش ، ينظر الشيخ محمد الحضري ، محاضرات في تاريخ الأمة الإسلامية ، بيروت 2001 ، ج 1، ص48.

والأسلوب البليغ الذي جاءت به الآيات القرآنية ، يعني أن هناك من يفهمها ويحمل رسالتها.

و لقد علا شأن الكتابة بالإسلام ، حيث وردت في القرآن الكريم في آيات كثيرة ومتعددة ، حيث وصف الله عز و جل ملائكته بقوله " و إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ "[1] . الأمر الذي جعل صناعة الكتابة ** (العلم المحيط) كما يسميها اليونانيون [2]، و الكتابة السلطانية *** هي إحدى أنواع صناعة الكتابة التي نالت اهتماما واسعا من لدن اللغويين و العلماء ، على أن العديد من الدراسات التي تناولتها كانت دقيقة و محددة ، و البعض الآخر كانت واسعة فضفاضة يصعب التحكم في دقة شموليتها ، و سوف أحاول أن احدد بشكل من هجي معنى مصطلح الكتابة السلطانية عند المتقدمين و المتأخرين على حد سواء و من زوايا مختلفة ، و يأتي كتاب صبح الأعشى للقلقشندي في طليعة كتب المتقدمين التي درست هذا النوع من الصناعة دراسة شاملة ، فلقد أدرجها ضمن الكتابة الديوانية قائلا ، " وصار لصناعة الإنشاء إسمان : خاص يستعمله أهل الديوان و يتلفظون

---

(1) سورة الانفطار ، الآيتين 10 ،11.

** صناعة الكتابة : تعني صناعة الكتابة المعاني و الالفاظ .عبد الواحد حسن الشيخ : صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الاثير ، مكتبة القاهرة ، ط 1 ، 1999 ، ص 43 وتكسب صاحبها عقلا و عن طريقها تحصل ملكة الانتقال من الأدلة الى المدلولات ، وهي ملكة تفيد كمال العقل و مزيد فطنة .ابن الازرق : بدائع السلك في طبائع الملك .تحقيق علي سامي النشار ، بغداد 1977 ، ص 333 ، أما الامير عبد القادر الجزائري فيضيف قائلا : " و من المعلوم ان البيان بيانا ن اثنان : بيان اللسان و بيان البنان " ذكرى العاقل و تنبيه الغافل.مكتبة ارشيف ولاية قسنطينة برقم 200 ، ص 112–113 .

1 محمد مسعود جبران : فنون النثر الادبي في آثار لسان الدين بن الخطيب (المضامين والخصائص الاسلوبية)، دار المدار الاسلامي ، بنغازي ، ط 1 ، 2004 ، ج 2 ، ص 404.

*** السلطاني : نسبة الى السلطان و هو من القاب الملوك فيقال المقام الشريف العالي السلطاني ، القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر ، الطبعة الأميرية ، ج 6، ص 15. في بداية الدعوة الاسلامية استخدمت الرسائل فالرسول صلى الله عليه و سلم كان يراسل الملوك و الامراء وزعماء القبائل يدعوهم للدخول في الاسلام و توحيد الخالق عز و جل ، و استخدم مجموعة من الصحابة كانوا يكتبون بين يديه.

الجهشياري : الوزراء و الكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابي اري و آخرون ، القاهرة ط 2 ، 1980 ،ص 12 ، القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 40 ، و كذلك كان الامر في عهد الخلفاء الراشدين.

به و هو كتاب الإنشاء ، و عام يتلفظ به عامة الناس ، و هو التوقيع *" [1]

و في سياق تعريفه أضاف بأن كاتب الإنشاء يعمل على تأليف الكلام وتعريف المعاني من المكاتبات و الولايات ، و المناشير والاقطاعات و الهدى والأمانات والإيمان و غيرها [2] .فكتابة الإنشاء هي إذا الكتابة السلطانية لأنها تختص بمكاتبات شؤون السلطة و نظام حكمها ، ويؤيد رأيه أبو الهلال العسكري حيث قال " أما الكتابة فعليها مدار السلطان " [3].

---

* التوقيع " يقال وقعت في الشيء أوقع توقيعا و كتاب موقع فيه ، و رجل موقع ، الصولي : المصدر السابق ،ص 137. و هي من خطط الكتابة ، وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجلس حكمه و يو قع بعبارات موجزة بليغة على القصص المرفوعة للفصل فيها. ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ن ط 1 ، 1993 ، ص 193 . وقد سموا الشكاوى و الظلامات بالقصص لما تحكي من قصة الشاكي و ظلامته ، و سموها بالرقاع تشبيها لها برقاع الثياب.و كان جعفر البرمكي ، وزير الرشيد ، اشتهر بتوقيعاته التي امتازت بدقة الأسلوب و العمق في المعني و الإعجاز في الإيجاز و الإحاطة بالغرض.مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ، موضوعاته و فنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت 1974،ص 382. فقد كان يوقع بين يدي الرشيد و يرمي بالقصة إلى صاحبها للوقوف فيها على أساليب البلاغة و فنونها حتى قيل أنها كانت تباع بدينا ر ، ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 193.

(1) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 52.

(2)المصدر نفسه ، ج 1 ، ص ص 51 – 54.

(3) أبو الهلال العسكري : كتاب الصناعتين ، الكتابة و الشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1971 ، ص 142.

و حين عالج ابن خلدون موضوع الكتابة في مقدمة كتابه العبر ، فانه وضعها في إطار الديوان مع ما يوافق تطور هذه الوظيفة الإدارية في النظم الإسلامية حسب متطلبات و حاجات السلطان [1] أما عن أسلوب و بلاغة الكتابة السلطانية فلها ما يميزها ، فهذا الحميدي صاحب كتاب " تسهيل السبيل إلى تعليم الترسيل " فرق بين الرسائل الرسمية الأدبية ، إذ جعلها في ثلاث أقسام منها " سلطانية لا هزل فيها ، اخوانية تنقسم إلى جد و هزل ، و رقيق و هي رسائل المتغزلين و هي غزل محض"[2].

و في هذا الصدد توجه ابن خلدون بالنقد لكتاب السلاطين في عصره لاستخدامهم الأساليب الشعرية لأنها تجمع في غالب الأحيان بين الجد والهزل ، وهذا مذموم حسب رأيه ، لأنه يتعارض مع أسلوب خطاب الجمهور عن الملوك ، الذي يجب أن يكون بالترغيب و الترهيب ، و المحمود في المكاتبات السلطانية أسلوب الترسيل ليطابق مقتضى الحال[3].

قد يكون ابن خلدون مصيبا في هذا إذ يتعلق الأمر بحالة خاصة بعينها وبكاتب معين ، و لا يمكن تعميم ذلك على كل الكتاب ، لأن بعضهم يستخدم هذا

---

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 192 . ينظر ، ابن الأحمر إسماعيل ، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 1 ، 1967 ، ص ص 152 –153.

(2) انظر ، الظاهر محمد توات : أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن .ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 ، ص ص 82 –83.

(3) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 487 ، و ينظر أن ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص ص 152 – 153.

الأسلوب برضا السلطان أو الخليفة أو الوزير.

على كل حال إن رأي ابن خلدون يتفق مع ما ذهب إليه الحميدي ، و عن مكانة الكتابة يمكن الاستشهاد بالوصف الذي ذكره أبو منجب الصيرفي " الكتابة الجليلة قدرا ، السامية ذكرا ، الرفيعة شأنا ، العليا مكانا ، التي هي كتابة حضرة الملوك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدول "[1].

و قد بالغ القلقشندي في المكانة التي تحتلها الكتابة من حيث المركز حيث جعلها بعد الخلافة لأن بها تستقيم أمور السياسة و الحكم[2] ، فقد يصدق هذا الأمر على عصر من العصور ، أو فترة حكم أحد الخلفاء و السلاطين، و لكن ليس دائما ، وعلى كل حال هذه هي وجهة نظره و نحن نحترمها.

إن الدراسات الحديثة أولت كذلك اهتماما للكتابة السلطانية ، فعبد الحميدة جيدة يقسم الكتابة حسب موضوعاتها و طبيعتها الثقافية و العلمية ، لأن كل شكل من أشكالها له قواعد و قوانين و قاموس لغوي من حيث الأسلوب و الصياغة [3] . وحسب رأيه الكتابة نوعان : النوع الفني الإبداعي الذاتي الذي لا يخضع لقوانين ، و الآخر كتابة رسمية و ظيفية تلبي حاجات مؤسسات الدولة ، و هي كتابة قائمة

---

(1) ابن الصيرفي : قانون ديوان الرسائل : نقلا عن محمد زغلول سلام : الادب في العصر الفاطمي ، الكتابة و الكتاب ، منشأ المعارف بالاسكندرية ، 1995 ، ص 380.

(2) القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 37.

(3) جيدة عبد الحميد ، صناعة الكتابة عند العرب ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1998 ، ص 129.

على المباشرة و قطعية الدلالة [1] ، أضاف أنها تقريرية إعلامية [2].

أما المؤرخ الجزائري عطاء الله دهينة فقد وضع مضامين الكتابة السلطانية التي تتمثل في تبليغ المعلومات و ضبط العلاقات و ترتيب المؤسسات الإدارية وتنظيم الحكم ، و بذلك فهي تشتمل كل المراسلات و الوثائق ذات الطابع الرسمي ، و كذا مكاتبات ضبط العلاقات الخارجية أي الدبلوماسية [3]

في حين أن الباحث علي بن محمد فيدرجها ضمن النثر الديواني و يعرفها قائلا " هو كل إنشاء ذي طابع رسمي يصدر عن احدى مصالح الدولة المركزية بهدف تبليغ المعلومات ، أو ضبط علاقات الحكم من داخل البلاد أو خارجها " [4].

و في السياق ذاته تناول الطاهر محمد توات معنى الكتابة السلطانية ، وذكر أن هذه الرسائل لها شقان : الأول موضوعي تنظيمي إداري يعتني بالشؤون العامة والخاصة لدولة ما ، و الثاني أدبي خالص في استخدام القواعد الفنية و ما يتعين من أساليب البلاغة و البيان لانتقاء فصيح الألفاظ لكي توافق مقتضى الحال [5] ، أما أحمد الشائب فيكتب : " هي ما تصدر عن الدواوين الخاصة بشؤون الدولة ومصالحها ، تيسيرا للعمل و تثبيتا للنظام العام ، و يغلب على هذا النوع

---

(1) المرجع نفسه ، ص 111.

(2) نفسه ، ص 117.

(3)Atallah dhina : les états de L’occident Musulmans (aux XIII eme , XV et XVI eme siecle , institutions gouvernementales et administratives , OPU , Alger , ENAL , 1984 , pp,136 -151.

(4) النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، مضامينه و أشكاله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1990 ، ج 1 ، ص 213.

(5) الطاهر محمد توات : المرجع السابق ، ص 165.

من الكتابة الدقة و السهولة في التعبير و التقيد بالمصطلحات الحكومية و الفنية [1].

و نخلص إلى أن مجمل هذه التعريفات من المتقدمين و المتأخرين من الكتاب حول معنى و ماهية الكتابة السلطانية بصفة عامة كشكل دلال ي، و عليه فوجه تقاطع هذه الآراء تثبت أن الكتابة السلطانية هي كتابة صادرة عن الخلفاء والسلاطين ، موجهة بالأساس إلى التبليغ و الإعلام بهدف ضبط علاقات السلطة المركزية ووضع ترتيبات إدارة نظام حكمها.

وكانت الكتابة محل عناية خاصة يظهر ذلك من خلال مظاهر الرسوم التي أحيطت بها ، و يمكن اعتبار الوليد بن عبد الملك * الخليفة الأموي أول من كتب من الخلفاء في طوامير **، و انه أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير " قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ " [2] ، و أمر بأن تعظم كتبه و يحلل الخط الذي يكاتب

---

(1) محمد مسعود جبران ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 103.

* الوليد بن عبد الملك .خليفة أموي ، تولى الحكم من سنة 86 حتى سنة 96 ، كان جبارا ظالما ، قال عمر بن عبد العزيز – و كان الوليد بالشام ، و الحجاج بالعراق ، وعثمان بن جبارة بالحجاز ، و قرة بن شريك بمصر – امتلأت الأرض و الله جورا. السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، دار المعرفة بيروت ، 1996 ، ص 197.

** الطومار: صحيفة أو ورقة ملفوفة و لا يكتب على ورقة الطومار إلا بقلم الطومار ، وهو خط مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير و هو أصل كوفي و به كتبت مصاحف المدينة الأولى .عفيف بهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي و الخطاطين ، بيروت ، ط 1 ، 1995 ، ص 96.

(2) سورة الإخلاص ، الآية 1.

به و كان يقول " تكون كتبي و الكتب إلي خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض " [1] ، و هذا تمييزا لنفسه عن بقية الرعية أو من سبقه من الخلفاء ، ليعطي الأمر الكثير من أبهة الملوك.

وقد وضع عبد الحميد الكاتب * (رسالة إلى الكتاب) يبين فيها مكانة الكتابة لدى الكتاب أنفسهم وإبراز أهميتها الأدبية و السياسية و كذا الأخلاقية ، ومما جاء فيها " فجعلكم معشر الكتاب في أشرفها صناعة ... بكم ينتظم الملك ، وتستقيم للملوك أمورهم و بتدبيركم و سياستكم يصلح الله سلطانهم و يجتمع فيهم ، و تعمر بلادهم ... فموقعكم منهم موقع أسماعهم التي يسمعون بها ، وأبصارهم التي بها يبصرون ، وألسنتهم التي بها ينطقون ، و أيديهم التي بها يبطشون "[2].

لقد وضع عبد الحميد الكاتب من خلال هذه الرسالة م نهجية الأطر القيمية لصناعة الكتابة السلطانية وقواعد آدابها السلوكية و الأخلاقية فأصبحت بذلك بمثابة

---

(1) الجهشياري ، المصدر السابق ، ص 74.

* هو عبد الحميد بن يحي (ت سنة 132 هـ) ، أشهر كتاب العصر الاموي ، أصله من الانبار في العراق ، التحق بديوان الرسائل في عهد هشام بن عبد الملك ، ثم تقلد رئاسة ديوان الرسائل في عهد مروان بن محمد آخر خليفة أموي ، بقي مخلصا له حتى قتل على يد العباسيين ، الاصطخري ، المسالك و الممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، وزارة الثقافة ، القاهرة 1961 ، ص 88 ، ابن خلكان : " و فيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان " تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د ت ، م 1 ، ص 307 ، احمد زكي صفوت : جمهرة رسائل العرب ، العصر العباسي الاول ن القاهرة ، ط 1 ، 1937 ، ج 2 ، ص 543.

(2) الجهشياري ، المصدر السابق ، ص 74.

قانون مرجعي لصناعتها [1] و أشار القلقشندي في الفصل الذي عقده لآداب الكتاب الخلقية فقال : " أصل هذه الآداب الذي ترجع إليه ، و ينبوعها الذي انفجرت منه ، رسالة عبد الحميد بن يحي الكاتب ، التي كتبها إلى الكتاب يوصيهم فيها " [2].

و قد خصصت للكتابة مجموعة من المؤلفات منها كتاب مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي، جاء في مقدمته " و بعد ، هذه إشارات يسيرة و عبارات قصيرة ، وضعتها للمكاتبات ، و هذبتها بالمراسلات ، والتي يحتاج إليها أصحاب أرباب الفضائل ، خصوصا من ك ان ابتلي بكثرة الرسائل ، أو خدم الملوك و الحكام ، لاسيما أرباب الأقلام " [3] و لابد من الإشارة هنا إلى أدوات الكتابة و التي بفضلها يتم إخراج النص السلطاني و تبليغه.

---

(1)احمد زكي صفوت ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 543.

(2) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 1 ،ص 85.

(3) بديع الانشاء و الصفات في المك اتبات و المراسلات ، مخطوطة رقم 1901 ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، ورقة رقم 1.

ب.الأدوات :

لقد أصبحت الكتابة إحدى مستلزمات الدولة ، و تطورت أدواتها بتطور المراحل التاريخية التي مرت بها، فهي في ظل صدر الإسلام و الخلافة الراشدة تختلف عما قبل ذلك ، و في العصر الأموي أصبحت مكاتباهم على البردي [1] ، وكان يعمل منه القرطاس و كانت أحسن ما كتب فيه، و لقد كثر استعمال القراطيس إلى درجة أنها ضاقت بها رفوف دواوين الخلفاء [2] ، و عوض بالورق الذي كتبت فيه رسائل السلطان و صكوكه ، و استعمله الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية و العلمية [3] انتقلت صناعة الورق من العراق نحو الشام ثم إلى مصر و القيروان ، ثم انتشرت في بلاد الأندلس ، فاشتهرت بعض المدن بصناعته منها مدينة شاطبة على وجه الخصوص ، إذ كان يعمل الكاغد (الورق) الجيد فيها ، و منها إلى سائر مدن الأندلس [4] ، كما انتشرت صناعة الورق في مدن كطليطلة ، وبلنسية وعن طريق هذه المدن انتقلت صناعة الورق إلى أوربا[5].

ولعل القلم يأتي في مقدمة الأدوات التي تستعمل للكتابة، فلقد استعمله العرب في كتاباتهم قبل الإسلام، وأورد القرآن الكريم في أول ما نزل على رسوله

---

(1) عبد الستار الحلوجي ، المرجع السابق ،ص 25.

(2) الطبري . تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت ، ج 8 ،ص 544.

(3) ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 334.

(4) الحموي . معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1984 ، ج 3 ، ص 253.
(5) جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 251.

الكريم صلى الله عليه و آله وسلم قول الله عز و جل " إِقْرَأْ وَ رَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الذِي عَلَّمَ بِالقَلَمْ " [1] و اعتنى الكتاب والخطاطون بهذه الأداة و خصوها بعناية بالغة ، ويأتي في مقدمتهم أبو حيان التوحيدي الذي وضع لها مواصفات دقيقة في اختياره حيث كتب يقول : " و خير الأقلام ما استمكن نضجه في جرمه ، و جف ماؤه في قشرته ، وقطع بعد القاء بزره ، و صلب شحمه و ثقل حجمه ... و القلم المحرف يكون الخط به أضعف وأحلى ، و المستوى أقوى و أصفى و المتوسط بينهما يجمع أحد حاليهما ، و ما كان في رأسه طول فهو يعين اليد الخفيفة على سرعة الكتابة ، و ما قصر بخلافه " [2].

و تناول ابن مقلة * كذلك كيفية اختيار و تحضير الأقلام فكتب يقول " خير الأقلام ما كان امتلاؤه بين غلظ السبابة إلى الخنصر، و هذا وصف لسائر أنواع الأقلام على اختلافها [3] ، و كانت للقلم تسميات مختلفة حسب تدرجه في مراتب

---

(1) سورة العلق ، الآية 3 – 4.
(2) التوحيدي : رسالة في علم الكتابة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 ، ، ص 7.

* ابن مقلة : هو أبو علي محمد بن علي بن مقلة (272 – 328 هـ / 884 – 939 م) ، الكاتب و الخطاط المشهور ، أديب و شاعر ، أوحد الدنيا في كتابة قلم الرقاع والتوقيعات .استوزره المقتدر العباسي سنة 316 هـ و القاهر بالله و الراضي بالله ، فأمره أن يكتب كتابفيه مثالب القاهر و يقرأ على الناس ، ثم وشي به فقطع يده اليمنى فصار يكتب

باليسرى ، مات في السجن ، السيوطي ، المصدر السابق ، ص 339 ، عفيف البهنسي ، المرجع السابق ، ص4.

(3) ابن مقلة ، علي : رسالة ميزان الخط ، نقلا عن المرجع نفسه ، ص ن من المقدمة.

الخطط السلطانية ، وحسب اختصاصات المصالح الإدارية للدولة ، فالقلم الرئاسي تحرر به كتب الخليفة أو السلطان ، و قد خصص لهم قلم جليل يعرف بالطومار[2]، أما المكاتبة من الوزراء إلى العمال فبقلم الثلث ، و من الوزراء إلى السلطان بقلم المؤامرات ، أما قلم الرفاع صغير الثلث فيكتب به على الرقاع والحوائج و الظلامات ، و قلم الحلية وغبار الحلية و يسمى كذلك قلم السجلات تكتب به الأئمة ، أما قلم الاشرية فقد خصص للأمور التي تتعلق بعتق العبيد وشراء الأراضي و الديار[3].

و لقد حظي القلم بالألقاب الفخرية المرتبطة بالمراتب السلطانية في الأندلس ، فأطلقوا على رئيس ديوان الكتابة العليا أي خطة الكتابة ، لقب " صاحب قلم بني أمية العظيم " أو صاحب قلم بني أمية الأعلى [4] كما صنعت البلاغة للقلم أعلى المراتب و أخطرها ، و من أجله عقدت المناظرات الأدبية بينه و بين السيف.

في حين أن الدواة تعتبر أم آلات المكاتبة ، وصفها القرآن الكريم " بالنون " [5] وكانت تتخذ من أجود العيدان و أرفعها ثمنا مثل الأبنوس [6] ، لكي لا يتغير

---

(2) ابن النديم ، الفهرست ، المصدر السابق ، ص 70.

(3) نفس المصدر ، ص 72.

(4) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص 96.

(5) سورة القلم : الآية 1.

(6) خشب من شجرة يقال لها الشيز ، و هذه الشجرة خشبها أسود و متين يصنع منه القصاع و غيرها.ابن منظور ، المصدر السابق ، مجلد 8 ، ص 174.

لون المواد ، و تحلى بالذهب خاصة إذا كانت لكاتب سلطان أو وزير[1] ، وكانت تمسح بالطيب من قبل الكاتب لأنهم يكتبون اسم اله عز وجل و رسوله عليه الصلاة و السلام و اسم أمير المؤمنين [2].

و القلم يستمد من الدواة المداد الذي هو " ركن من أركان الكتابة " [3] وللخط مكانة في الكتابة فهو عبارة عن رسوم و أشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة ، بذلك احتل المرتبة الثانية في الدلالة اللغوية ، و قيل " الخط لسان اليد " [4] ولابن البواب * قصيدة في صناعة الخط جاء مطلعها :

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَحْرِيرِ وَيَرُومُ حُسْنَ الخَطِ وَ التَصْوِيرِ [5]

---

(1) الصولي : المصدر السابق ، ص 89.القلقشندي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 478 ، عفيف اليهنسي ، المرجع السابق ،ص 138.

(2) القلقشندي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 480.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 473.

(4) ابن سماك العاملي ، المصدر السابق ، ص 50.

* ابن البواب : علي بن هلال ، توفي سنة 413 هـ / 1022 م.خطاط بغدادي ، كان شاعرا و كاتبا ، عمل بتزويق البيوت ، ثم انتقل إلى رسم و تهذيب ختمات المصاحف ، فرسخ ما كان ابن مقلة قد أبدعه خاصة قلم النسخ و قلم التوقيعات ، و ابدع في الرقاع والوشي برد الحواشي ، و عدل غا لب الأقلام التي وضعها ابن مقلة و جعلها أكثر طلاوة

وبهجة ، كتب ابن البواب 64 مصحفا و تخرج من مدرسته العديد من الخطاطين .يوجد مصحف واحد بخطه في دبلن.عفيف البهندسي ، المرجع السابق ، ص ص 3،4.

(5) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 332 – 333.

ولقد عرف تميز الخط الأندلسي أو القرطبي المتطور عن الخط القيرواني المغربي ، خاصة في عصر الخلافة بالتنوع في أشكاله . و من الخطاطين الأندلسيين ابن مفصل المالقي ، كتب سبعين مصحفا كاملا ، و لم يكتب غير آيات الذكر الحكيم [1] ، كما اشتهرت مدينة بلنسية بمدرسة خاصة للخطاطين.

إن الكتابة السلطانية مثلت وسيلة و غاية في آن واحد ، فلقد وظفت كأداة لأجل تبليغ قرارات السلطة المركزية و كغاية من أجل التراتيب الإدارية لنظام الحكم ، الأمر الذي جعلها تساير الفتوحات الإسلامية ، و ستكون بلاد الأندلس إحدى محطاتها التي ستعرف على أرضها التطور و الاستقلالية في ذاتها ، و لعب الأمويين في الأندلس في عصر الإمارة الدور المهم في ضبط و بناء أسس نظامها و تبلور معالمها الحضارية ، كما سيظهر ذلك فيما يأتي.

2- الكتابة السلطانية في الأندلس في عهد الإمارة الأموية (138 – 316 هـ / 756 – 929 م) : لم تعرف بلاد الأندلس في فترة حكم الولاة (92 – 138 هـ / 711 – 756 م) الاستقرار السياسي و التنظيم الإداري المستقر والمنتظم [2] " وعدم تأثل * الأحوال " [3] مما انعكس على وضعية الكتابة

---

(1) عفيف البهنسي ، المرجع السابق ، ص4.

(2) حسين مؤنس .فجر الأندلس ، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الاموية .دار العصر الحديث و دار المناهل ، بيروت ، ط 1 ، 2002 ، ص 642 -643.

* تأثل : معناه تأصل و ثبت و تجمع و عظم ، يقال شرف الاثيل ، أي أصيل .المعجم الوجيز الميسر ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، 1993 ، ص 15.

(3) المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 1 ، ص 198.

السلطانية التي كانت في بدايتها ، ليست لها تقاليد مرسومة أو قواعد محكمة ، ومن عوامل تطور الكتابة في عصر الإمارة :

أ. دور الأمير عبد الرحمن الداخل في تطور الكتابة بالأندلس :

بويع الأمير عبد الرحمن بالإمارة في يوم الجمعة 10 ذي الحجة سنة 138 هـ /756 م كأول أمير أموي على البلاد ، و بذلك وضع حدا لعصر الولاة و أذن بميلاد عصر جديد في تاريخ الأندلس ، و قد بادر الأمير فور استلامه مهام سلطته بالقضاء على حركة العلاء بن مغيث ، الذي كان قد بعث به الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور من افريقية إلى الأندلس للقضاء على الإمارة الأموية بالأندلس [1] و كانت ردة فعل الأمير على تهديد دولته قوية و معبرة جدا ، إذ بعث بكتاب سلطاني فريد من نوعه و من توقيعه ، حيث أرسل إلى أبي جعفر المنصور و هو في الحج برأس صاحب الحركة إلى جانب آذان أصحابه و هي مقطوعة مرفقة بأسمائهم [2] مما جعل المنصور يطلق على هذا الأمير لقب صقر قريش[3] "

---

(1) ابن القوطية .المصدر السابق، ص 54 –55.

(2) مجهول : أخبار مجموعة (ذكر فتح الاندلس) تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري.القاهرة ن دار الكتاب اللبناني ، 1989 ، ص 108 ، بن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين و آخرون ، القاهرة 1961 ، ج 4 ، ص488 ، ابن

السماك العاملي ، الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة ، دراسة و تحقيق ، محمود علي مكي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2004 ، ص 127.

(3) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 11.

دون غيره من رجالات العرب " [1] ، لأنه الوحيد الذي عبر البحر و دخل بلاد العجم بمفرده ، فمصرها و أسس لها الدواوين و أقام لها الملك [2].

بعد القضاء على الحركات التمردية و الفتن و الاضطرابات الداخلية سارع هذا الأمير إلى تأسيس الدولة و ترسيخ قواعدها الإدارية و العسكرية . فوثق رسوم نظام إدارته على الكيفية التي كانت سائدة في الدولة الأموية في الشام . وقد جمع أكثر من كاتب في بلاط الدولة في بداية حكمه بناء على مقتضيات الظروف التي تمر بها الإمارة ، و بناء على الحاجة الملحة لذلك ،" فالكاتب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر " [3].

وقد كتب للأمير عبد الرحمن في بداية حكمه و توليه أمر قرطبة كل من خالد بن يزيد و أمية بن زيد ، و يبدو من خلال المصادر التاريخية ان الأندلس لم يكن فيها في هذه الفترة العدد الكبير من الكتاب الذين يحسنون كتابة الرسائل السلطانية ، ويورد ابن الآبار نصا معبرا جدا عن هذه الحالة حيث أشار إلى أن خالد بن يزيد عندما استأذن بالخروج إلى المشرق أمر الأمير عبد الرحمن الداخل أمية بن يزيد بالكتابة لتسريح خالد لكن هذا الأخير تحامى بين يدي خالد و قال " معلمي وولي الإحسان قبلي يكون أول شيء يجري له على يدي الكتاب بخروجه

---

(1) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس . القاهرة ، ط2 ، 1986 ، ص 204.

(2) مجهول : أخبار مجموعة ، المصدر السابق ، ص 108 ، ابن السماك العاملي ، المصدر السابق ، ص 127 – 128.
(3)ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 192.

عن أهله و ماله ، و امتنع عن ذلك ، فأمر حينها الأمير عبد الرحمن خالدا بالكتابة لنفسه فكتب لعامل الجزيرة الخضراء " أما بعد ، أخرجنا خالدا بقضه وقضيضه ، فإنها الراحة له و الراحة منه ، و السلام " [1] ، لزم أمية بن يزيد كتابة الأمير عبد الرحمن الداخل و ارتفعت مكانته لغاية وفاته سنة 154 هـ/771 م [2].

كما استخدم الخاتم ليختم به على الرسائل و الأوامر الصادرة عن الأمير أوالخليفة فيما بعد [3] و كان نقش خاتم الأمير عبد الرحمن الداخل عبارة " عبد الرحمن بقضاء الله راض " [4] للرسائل و الصكوك الصادرة عنه [5] ، فاتبعه في ذلك عقبه ، و يطلق على متولي نقش عباراتها في الأندلس " صاحب الخاتم" و كان حسن التوقيعات ، منها توقيع لأحد العصاة جاء فيه " أما بعد : فدعني من معاريض المعاذير و التعسف عن جادة الطريق ، لتمدن يدا إلى الطاعة و الاعتصام بحبل الجماعة ، أو لأزوين بنانها عن وصف المعصية نكالا بما قدمت يداك و ما الله بظلام للعبيد "[6] .

---

(1) ابن الآبار : أعتاب الكتاب ، المصدر السابق ، ص71.
(2) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 58.
(3) سالم الخلف : نظم حكم الأمويين و رسومهم في الأندلس ، ج 1 ، ص 186.

(4) ابن عذاري.المصدر السابق ن ج 2 ، ص 48.أما خاتمه الخاص فكان يحمل عبارة " بالله يستعين عبد الرحمن و يعتصم " مجهول : المصدر السابق ، تحقيق لويس مولينا ن ج 1، ص 110.

(5) نفس المصدر السابق ، تحقيق لويس مولينا ، ج 1 ، ص 110.

(6)ابن عذاري ، ج 2 ، ص 58.

و في توقيع أجاب به رجلا شكى إليه فقره : "قد سمعنا مقالتك و قضينا حاجتك ...و إذا ألم بك خطب أو حز بك أمر فارفعه إلينا في رقعه"[1] ، من خلال هذا النص نستشف بأن الأمير عبد الرحمن يحث على استعمال المكاتبة حسب النظام الإداري كما جاء في العبارة " فأرفعه الينا في رقعة " .

أما كتابه الذي أصدره سنة 140 هـ /758 م لنصارى قشتاله فجاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب أمان الملك العظيم عبد الرحمن ، للبطارقة * والرهبان ... و شهد على نفسه ان عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب و عشرة آلاف رطل من الفضة ..." [2] رغم أن الأرقام التي وردت أعلاه قد يكون فيها شيء من المبالغة ، إلا أنه يدل على أن الأمير استطاع ان يخضع نصارى قشتالة فترة طويلة من الزمن.

ب. الإجراءات الإدارية في عهد عبد الرحمن الأوسط :

لقد اشتهر الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) 206 – 238 هـ /822 – 852 م باهتمامه بالشؤون الإدارية [3] و قد اجرى إصلاحات كبيرة في هذا المجال ، حيث قام بفصل الخطط بعضها عن بعض و توزيع سلطاتها على مجموعة من المسؤولين ، من الوزراء و الكتاب ، ورفع من شأنهم بدرجة كبيرة [4] ، كما رفع رواتبهم الشهرية الى ثلاثمائة دينار و خمسين دينار بالوزانة**"[5].

(1) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي الطويل ن دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 2003 ، ج 3 ن ص 357 ، وورد هذا النص لدى المقري في نفح الطيب مع بعض الاختلافات البسيطة ، المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 38.

* البطريق : هو رئيس الملة في الدين المسيحي ، ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص 184 – 185 ن و البطريق يترأس كذلك المجلس الاعلى للكنيسة ، اي الاكليروس ، و داخل هذا المجلس تتوزع الوظائف حسب السلم المعروف.

(2) محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية و الاداري ة في الاندلس و شمالي افريقيا.دراسة و نصوص.مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3 ، 1986 ، ص 134.

(3) احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي و الاندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت 1972 ، ص 358 ، محمود علي مكي : تاريخ الاندلس السياسي، دراسة شاملة (92 – 897 هـ /711 – 1492 م) من كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس.تأليف سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 2 ، 1999 ، ج 1 ، ص 76.

(4) ابن حيان : السفر الثاني من كتاب المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي ، ص ص 288 – 289 ،296.

** – الوازنة : وزن الدرهم القرطبي هو 36 حبة كما ان درهم الكيل يزن دائما 50 حبة و 2/5 حبة شعير متوسط .اعطى ابن القطان المفتاح لفهم الدرهم الدخلي " الذي اذا زدت عليه خمسة كان كيلا و اذا انقصت منه 2/5 كان دخلا ، و يسمى دخلا بادخاله عليه خمسية الناقصين من الكيل فصار كيلا بهذه المداخيل " ، الوازنة الاندلسية تساوي درهم و نصف درهم .أبو العباس احمد العزفي السبتي : اثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار و الدرهم و الصاع و المد .تخريج و دراسة : محمد الشريف . منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي 1999 ، ص 94 – 95.

(5) ابن حيان، المصدر السابق ، ص 196 ، ابن عذاري نص بيانه " بأن أرزاقهم كانت ثلاثمائة دينار ، ج 2 ، ص 80 .

و اتخذ الأمير كاتبا خاصا به يدعى محمد بن سعيد الزجالي [1] ، و بعد هذا نظاما جديدا في الكتابة ، إذ لم يسبق للأمويين قبله ان اتخذوا كتابا خاصين بهم ، و أطلق عليه لقب قلم بني أمية الأعلى و كاتبهم العظيم ، كما نال لقب الوزير ، واتخذ الأمير عبد الرحمن الأوسط لوزرائه كاتبا خاصا لكتاباتهم ، و قد استمر هذا الأمر حتى سقوط الدولة الأموية ، و من توقيعات هذا الأمير جواب ذيل به رسالة لأحد عماله سأله عن وظيفة رفيعة فلم يحسن التعبير عنها فوقع له " من لم يصب وجه مطلبه كان الحرمان أولى به "[2] . و يظهر هذا مدى حرص الأمير على شكل و مضمون الرسائل التي ترد على ديوان الكتابة العليا.

3- أشهر الأسر في الكتابة السلطانية :

لقد عمد الأمويون في الأندلس على جعل خطة الكتابة مقصو رة على أشخاص بعينهم في غالب الأحيان و توريثها لأولادهم ما بعدهم و ذلك لاعتبارات عدة ، قد يكون في مقدمتها الأمانة و حفظ الأسرار و الولاء التام للأسرة الأموية ، و التفا ني في خدمة الدولة ، إضافة إلى وجود المؤهلات الفكرية و الثقافية والتمرس في ممارسة الكتابة و معرفة رسومها.

---

(1) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 35 – 36 ، محمد بن سعيد كان أول من اصطنعه و اسكتبه الأمير عبد الرحمن الأوسط.توفي سنة 232 هـ / 854 م وتنتمي

أسرة الزجالي إلى قبيلة و لهاصة البربرية ، ابن حزم جمهرة انساب العرب ، ص 500.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي ن المصدر السابق ، ج 4 ، ص 493.

إن الأمير محمد بن عبد الرحمن * جعل الوزارة و الكتابة لعبد الله بن أمية بن يزيد ** ، إلا أن الكاتب هذا أصابه مرض خطير فانقطع عن الخدمة و أشار الى ذلك ابن الابار بقوله : " أقعدته العلة " [1] في سنة 240 هـ/860 م [2] ، فخلفه قومس بن انتنيان *** النصراني في الخدمة ، فلما توفي عبد الله بن أمية الكاتب في سنة 242 هـ /862 م ، قال الأمير محمد : " لو أن قومسا أسلم ما أردنا به بدلا منه إذ لا يليق وقع قلمنا الأعلى على يده و هو على دينه ، فلما بلغ قومسا ذلك، أشهد على إسلامه فولاه الأمير محمد الكتابة "[3] .

---

*- الأمير محمد بن عبد الرحمن خامس أمراء بني أمية بالاندلس 207 – 273 هـ / 823 – 885 م ، ابن القوطية . المصدر السابق ، 95 –105 ، ابن حيان المصدر السابق ، ص 102 ، الحميدي.المصدر السابق ، ص 17 ، ابن عذاري ، ج2 ، ص 93 –94

**- عبد الله بن أمية بن يزيد ، تولى الوزارة و ا لكتابة للاميرين عبد الرحمن بن الحكم وابنه محمد.ابن الابار ، ج 2 ، ص 374.

(1) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 373.

(2) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 95

*** قومس ابن انتنيان : او قمز جمعها قوامس ، كلمة لاتينية comes تعني نديم الملك في النظام الاقطاعي ، و تعني كذلك حاكم منطقة متمتع باستقلال تام او محدود ، وتعني

كذلك الرجل الشريف الذي يتمتع بصلاحيات عسكرية و ادارية و الكاتب هذا ينحدر من أسرة نصرانية و خدم في ديوان الكتابة السلطانية.

Le robert dictionnaire alphabétique et analogique de la langue francaise parmentier , paris , 11 e , 1969 , p.869.

(3) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 95

لا بد من التنويه هنا إلى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشاط غضبا عندما علم أن أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، استخدم احد النصارى في حسابات الخراج و الجزية و هو واليه على البصرة و أنبه على ذلك ، و لم يجرؤ أحد من الخلفاء الراشدين على استخدام النصارى في الخدمة لأن في ذلك مخالفة للشرع والسنة ، إلا أن الأمويين في الشام لم يتورعوا عن توظيفهم في الدواويين . كتب المقري يقول " و لا يكون بالأندلس و لابالعدوة لا نصرانيا و لا يهوديا ، لأن الكاتب هو لسان المملكة ، المرهب للعدو بوقع كلامه ، و جاذب للكعوب بلطف خطابه ، فلا يجوز أن يولى أحد من أ هل الكفر ، إذ يكون عينا للكفار على المسلمين "[1] ، فعاداه هاشم بن عبد العزيز المقرب من الأمير محمد وتربص بقومس للايقاع به ، فأتصل بمحمد بن الكوثر أحد بلغاء قرطبة قائلا له :" إن من العجائب ان يكون مثلك في قدرك و ابوتك و منصبك خلوا من الخدمة ، و يكون صاحب قلم بني أمية الأعلى و كاتبهم العظيم قومس النصراني "[2] .

كتب هذا الأخير إلى الأمير محمد ذاكرا له بأنه يوجد من هو أصلح لمنصب الكتابة من قومس ، من أمثاله و أمثال حامد الزجالي لأن بهم تزدان الخدمة [3].

(1) المقري، نفح الطيب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 280 – 203.
(2) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 95.
(3) المصدر نفسه ، ص 95 – 96 و قد أورد الكاتب مجموعة من أسماء الكتاب ، اقتصرنا على البعض منهم ، و ذكرهم كذلك ابن حيان ، ص142 – 143.

فلما قرأ الأمير محمد الرسالة اتخذ من حامد الزجالي * كاتبا و ذلك بعد أن اختبره من حيث الفصاحة و البلاغة و حسن التعبير و جزالة اللفظ و دقة التصوير ، فأمر أن يجلس مع الوزراء[1] ، و أطلق عليه لقب الكاتب الوزير ** [2] ، و بعد أن توفاه الله عز و جل في سنة 268 هـ /890 م استدعى الأمير محمد الكاتب عبد الملك بن عبد الله بن أمية [3] ، اصطناعا له بالخدمة فيها ، لكن عبد الملك رفض العرض و اعتذر للأمير بالعجز عن القيام بها [4]. ولم يقتنع الأمير بهذا الاعتذار واعتبره تهربا من تولي المسؤولية .

---

* حامد بن محمد بن سعيد الزجالي، خلف أبوه في الأدب ، كان كاتبا ووزبرا ، استمر في خطة الكتابة حتى توفي في سنة 268 هـ /890 م ، ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 98 ، ابن حيان ، المصدر السابق ص 32 –36 – 38 ، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 94 ، ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 254.

(1) ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 97 – 98 ، سالم الخلف ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 342.

** الوزير : لغة هو الذي يحمل ثقل الخليفة و يعينه برأيه.الفيروزآبادي.القاموس المحيط ، شركة و مكتبة الباي الحلبي بمصر ، ط 2 ، 1952 ، ج 2 ، ص 159 ، والوزارة هي أفع الوظائف و تكون تارة في أرباب السيوف و تارة في أرباب الأقلام ، وعندما تعلو تكون وزارة تفويض و يعبر عنها بالوزارة ، و تارة تنحط فتكون دو ن ذلك و يعبر

عنها بالوساطة.القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 3، ص 482 – 483.لقد وجدت خطة الوزارة في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية ، ابن خلدون ، المصدر السابق ص 239 – 240 و كان منصب الوزير في بادئ الأمر أشبه بمدلوله ما كان سائدا في بقية أنحاء العالم الاسلامي. وقد أمدنا المؤرخون الأندلسيون بمعلومات هامة عن هذه القاعدة الثانية في الدولة.فمنذ عبد الرحمن الداخل لم يتجه الأمويون إلى ايجاد وظيفة الوزير بصورتها و اختصاصاتها التي عرفت بها في المشرق ، نجدة خماش .الإدارة في العصر الأموي ، دار الفكر، دمشق ، ط 1 ، 1980 ، ص 254.

و أشار المقري إلى أن قاعدة الوزارة بالأندلس كانت " مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للإعانة و المشاورة و يخصهم بالمجالسة و يختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب " المصدر السابق ، ج 1 ، ص 201.ويضيف المقري قائلا " فتوصلوا الى م جلس الخليفة بمحضر جميع الوزراء .أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض.تحقيق مصطفى السقا ابراهيم ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، بيت المغرب ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، القاهرة 1939 ، ج 2 ، ص 288.حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص ص 327 –328 .كان على عهد الدولة الاموية بالأندلس مجموعة وزارات ينوب عنهم بالاتصال بالخليفة الحاجب.مختار العبادي.في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار المعارف الجامعية ، القاهرة ، د ت ص ص 74 – 75 .لقد كان استخدم ألقاب الخطط في المغرب الإسلامي لم يكن بالدقة و الضبط الذي عليه في المشرق ، حيث خصصت لها الدساتير (أي الكتب التي تحدد معنى اللقب لغة و اصطلاحا ، و تحدد مستحقيها) و كانت الألقاب في المغرب الإسلامي تطلق بدون تخصص ، فكان منها الخاص بأرباب السيف قد يطلق على أرباب القلم و العكس صحيح .بوزياني الدراجي : نظم الحكم في دولة بني عبد الوادي الزيانية.ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر 1993 ، ص 79.

مصطلح الوزارة في الأندلس لا يعني به لا وزارة التفويض و لا وزارة التنفيذ كما في المشرق ، و انما هو لقب يمنحه الخليفة أو الأمير تكريما و تشريفا لشخص ما ، و يحدد

له راتب محترم و يحظى بمكانة خاصة لدى السلطان ، كما هو الشأن بالنسبة للكاتب الوزير حامد الزجالي.ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص98.

(2) ابن القوطية ، المصدر نفسه ، ص 98.

(3) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 143.

(4) نفسه ، ص 144.

فكتب إليه قائلا " لم نأت تقليدك بالعجز عن جهل بك ، و لكن اصطناعا لك وعائدة عليك"[1]. لقد كان لعزوف عبد الملك عن تولي منصب الكتابة ما يبر ره ، لأن المحيطين بالأمير يترصدون صاحب خطة الكتابة ، و يكثرون من انتقاده وانتقاصه و تتبع عثراته رغم مكانته " لا يشفع جاهه و لا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل و الطعن عليه"[2]. فالوزير هاشم بن عبد العزيز كان يتتبع الهفوات و السقطات و يشنع على الكاتب عبد الملك بن أمية [3]، فاستدعاه الأمير و قال له " قد أكثر أهل خدمتنا ، و أكثرت في هذا الكاتب ، تذكرون جهله وفدامته* ، و قد ضممنا إليه من الكتاب من يستعين به ، و يستظهر على خدمته بمكانه ، و إنما نقفو بخدمتنا و نسلك بمراتبنا طريق من ا بتدأها وأسسها ووضع أهلها فيها. و إذ كنا لا نخلف آباءكم بكم و لا نخلفكم بأبنائكم ، فعند من نصنع إحساننا ؟ و نرب أيادينا ؟ اعند أبناء الفرانين ؟ أو الجزارين ؟ أو أمثالهم من الممتهنين ؟ و أنت كنت أحق بالحض على هذا ، و تصويب الرأي فيه ، لما ترجو من مثله في أولادك و عقبك "[4].

---

(1) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 144 ، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 108.

(2) المقري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 202.

(3) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 145 ، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 108.

* فدامة : الفدم من الناس.العي عن الحجة و الكلام مع ثقل ورخاوة و قلة ال فهم ، الغليظ ، السمين الاحمق الجاف.ابن منظور ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 304.

(4) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 145 ،ــ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 108.

يظهر من خلال هذا النص أن الدوافع وراء الاحتفاظ ببعض الأسر الأندلسية و توريث منصب الكتابة فيهم و توزيع وظائف الدولة على من سبق لأبائهم خدمة الدولة الأموية يعود إلى دور هذه الأسر في تثبيت أركان السلطة ، و لأنها موضع ثقتها لولائها التام و تفانيها . ثم يظهر كذلك النظرة الاستعلائية للأمي نحو فئات الأمة من أصحاب المهن ، و حرصه على أن يكون الكتاب من علية القوم أو النخبة ، و لقد استمر أمراء بني أمية في سياسة اصطناع بعض البيوتات و حصر ديوان الكتابة السلطانية فيهم ، فالأمير عبد الله [1] استوزر من أبناء البيوتات عبد االملك بن أمية بن يزيد[2] ، الذي كان وزيره و كاتبه الخاص كما صرف له القيادة . وعبد الله بن محمد الزجالي أيضا استوزه و صرف إليه الكتابة العليا ، و هذا الأخير شغل هذا المنصب حتى وافته المنية سنة 301 هـــ / 912 م ، وسيكون لهذه السياسة أثرها في تطور المركز الاجتماعي و الإداري لأفراد هذه الأسر.

---

(1) الأمير عبد الله بن محمد ، كان مولده سنة 260 هـــ يكنى أبا محمد ، الحميدي ، المصدر السابق ، ص 18 ، الضبي ، المصدر السابق ، ص 16 ، ابن القرطبي ، المصدر السابق ، ص 14 ، عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخباء المغرب ، تحقيق

محمد سعيد ، عريان ، لجنة أحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ج 1 ، ص 53 ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج 2 ، ص 130.

(2) عبد الملك بن عبد الله بن محمد بن أمية ، اختص في عهد الأمير محمد بالكتابة العليا مع الوزارة . و في عهد المنذر أقره عليهما ، و هو الذي أغراه بهاشم عبد العزيز حتى قتله و في عهد الأمير عبد الله بن محمد ، جمع له الكتابة الخاصة و القيادة مع الوزارة . قتله المطرف بن الأمير عبد الله سنة 282 هـ / 895 م ، ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ص 110 –111 ، فخلفه ابنه مروان بن عبد الملك ، ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 373 – 374.

وعليه نؤكد بأن تطور الكتابة السلطانية جاء في الواقع منسجما بشكل منطقي مع تطور الحاجات الخاصة بالدولة من نظم و رسوم في بداية قيامها ، حيث وظفت كأداة فع الة في ترسيخ أركان الحكم و إرساء التقاليد السياسية والإدارية مما يؤهلها للانتقال إلى مرحلة لاحقة من تطورها اعتبارا من سنة 316 هـ / 929 م.

الفصل الأول: الكتابة في عهد الخلافة الأموية في الأندلس

1 -خطة الكتابة ، ضرورتها و أهميتها و الدواوين المساعدة لها

2 -شروط اختيار الكتاب

3 -مهام الكاتب و رسوم الكتابة

1. خطة الكتابة ، ضرورتها و أهميتها و الدواوين المساعدة لها:

أ. خطة الكتابة ، ضرورتها و أهميتها :

لا شك إن المهام الجسام التي تقع على عاتق الخليفة الأموي بالأندلس و في غيرها من البلاد عظيمة و كبيرة ، لذلك لا غنى له من اتخاذ مساعدين في مختلف أجهزة الدولة لضبط أمورها و الحفاظ على مصالح الرعية، كان ذلك سببا لظهور الخطط أو المؤسسات في الإسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه و سلم.

يمكن التمييز بين صنفين من الخطط الإدارية في الإسلام تماشيا مع التطور الذي عرفته فهناك الخطط الدينية كالإمامة على الصلاة و القضاء و الفتيا والمظالم و الشرطة و الحسبة و غيرها من الخطط ، و الصنف الآخر يتمثل في الخطط السياسية التي تهتم بتسيير مؤسسات الدولة كالإمارة على الأقاليم ، الوزارة ، الحجابة ، و الكتابة و هذه الخطة الأخيرة تعتبر من بين أهم الوظائف الإدارية في إدارة شؤون الدولة من حيث التنسيق بين أجهزتها في الداخل و تنظيم العلاقات بينها و بين جيرانها في الخارج، و في ذلك يقول المؤرخ ابن خلدون " إن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة : لأنها إما إن تكون في أمور حماية الكافة

وأسبابها من النظر في الجند و السلاح و الحروب و سائر أمور الحماية والمطالبة و صاحب هذا هو الوزير المعر وف في الدولة القديمة بالمشرق، و لهذا العهد بالمغرب، و إما إن تكون في أمور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان أو في الزمان و تنفيذه الأوامر فيمن هو محجوب عنه و صاحب هذا هو الكاتب..."[1] ثم

---

(1) ابن خلدون، كتاب الخبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أخبار العرب و العجم و البربر ومن جاورهم من ذوب السلطان الأكبر ، ج1، ص249

ذكر بعد ذلك صاحب المال و الجباية و صاحب الباب إلا و هو الحاجب إلى إن قال:" فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوصفه"[1] فالسلطان لابد له ممن يقوم بمخاطبة من يريده على لسانه و إنفاذ أوامره فيمن بعد عنه على اختلاف الأزمنة و الأمكنة من التولية و العزل والآمر والنهي و غيرها من أنواع المراسلات.

و لأهمية هذه الخطة في إدارة شؤون الدولة و تنظيم العلاقات بين مخ تلف مؤسساتها في الداخل و كذا تنظيم العلاقات الدبلوماسية بين الدولة و جيرانها بالخارج أخذ العديد من الكتاب من أرباب هذه الصنعة و من غيرهم من تأليف المصنفات و تدوينها متطرقين إلى أهميتها و التعريف بها و شروطها وأنواعها وغيرها من الأمور المتعلقة بهذه النظيمة من النظم الإسلامية و كان معظم هؤلاء

الكتاب من العاملين بديوان الإنشاء ثم صارت هذه الكتب بمثابة مصادر يرجع إليها لتحديد مصطلح الكتابة إلى أقوم السبل التي ينتهجونها لأداء مهمتهم على أحسن وجه.

و لم يقتصر تصنيف هذه الكتب الخاصة بالكتابة على عصر من العصور بل تمتد منذ القرون الأولى للحضارة العربية الإسلامية و يكفي دليلا على ذلك

مجموعة من الكتب الخ اصة بصنعة الكتابة و شروطها و مهام الكاتب والمصطلحات الخاصة بها كأدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري (ت 270 هـــ) وكتاب الوزراء و الكتاب للجهشياري (ت 331 هـــ) و أدب الكاتب للصولي (ت 335 هـــ).

---

(1) نفس المصدر و الصفحة

و كتاب الكتاب لابن سيبويه (ت346 هـــ) و كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري (ت395 هـــ) و كتاب الأحكام السلطانية و الولايات الدينية للماوردي (ت450 هـــ) و كتاب الأحكام السلطانية للفراء الحنبلي(ت 458 هـــ) و كتاب سراح الملوك للطرطوشي (ت520 هـــ) و كتاب قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي (ت550 هـــ) و قوانين الدواوين لابن مماتي (ت606 هـــ) ومعالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيت القرشي (ت 615 هـــ) و المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير (ت637 هـــ) و حسن التوسل إلى صناعة الترسل لابن فهد الحلبي (ت725 هـــ) و كتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري (ت749 هـــ) بالإضافة إلى الكتاب الموسوعي المهم و هو صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندى (ت721 هـــ) و غيرها من المؤلفات المهمة التي تدل على أهمية هذه الوظيفة و دورها في تسيير شؤون الدولة .

و لهذا نجد الكثير ممن كتب في هذا الموضوع يذهب إلى ذكر فضل الكتابة وأهميتها بالنسبة للسلطان لذلك وجدنا القلقشندى يقول:"الكتابة اشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة، إليها ينتهي الفضل وعندها تقف الرغبة "[1] لاشك عندنا إن القلقشندى

يبالغ في وصفه لصنعة الكتابة و أهميتها، لإعطائها منزلة رفيعة تتجاوز الوزارة والإمارة و الحجابة، و قيادة الجيوش، و مما كتبه أبو جعفر الفضل بن احمد، الكاتب العباسي الشهير" الكتابة أسس الملك و عماد المملكة ...و بالكتابة و الكتّاب قامت السياسة والرياسة، و لو إن في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا

---

(1) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج1، ص37.

لكل صنعة" [1] و يقول ألعاملي في رونقه:" كاتب الملك هو مستقر أسراره، ولسانه الناطق عنه في أفاق مملكته و أقطار بلاده، و مخصوص بقربه و لزومه دون غيره من الوزراء، فيعرف له ذلك من حاله و يبالغ في اختياره "[2] و كثيرة هي الأقوال التي تشير إلى شرف و أهمية هذه الوظيفة، من غير الممكن سردها وإحصاؤها و كلها تصب في معنى الإشادة بخطة الكتابة و أهميتها، و كذلك فضل الكتّاب ومكانتهم لدى الخلفاء و السلاطين، إذ لم يكن في مرتبة موظفي الس لطان وأعوانه المتصرفين في شؤون مملكته و أقطار بلاده اخص و أهم من كاتب الرسائل.

و من الدول التي بلغت فيها الكتابة السلطانية مبلغا عظيما و أهمية بالغة الدولة الأموية في الأندلس، فلقد كان لها اهتمام كبير بالإعلام و عناية بالغة بوسائله و مؤسساته، من ديوان الإنشاء ومراكز البريد، و يرجع ذلك إلى أسباب عديدة، منها سعة رقعتها الجغرافية التي كانت نتيجة سيطرتها على أقاليم عديدة متنوعة، مما نتج عنه زيادة الخراج و تمدد الولايات، وتتابع الحركات و التنقلات

والحملات العسكرية و كثرة المواجهات الداخلية و الخارجية لأجل القضاء على بالفتن و المؤامرات.

و نظرا للأهمية الإعلامية لهذه الخطة نلاحظ اعتناء الأمويين بها منذ قيام الإمارة ثم إعلان الخلافة الأموية بالأندلس،منذ عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله،و ذلك ما نلمسه من خلال كتابته إلى زعماء القبائل لاستنفارهم و دعوتهم إلى نصرته.

(1) نفس المصدر و الصفحة.

(2) العاملي ، بن سماك الأندلسي ، رونق التحبير في حكم السياسة و التد بير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق سليمان القرشي ، ط 1 ، 2004 ، ص 40.

إن اتساع الرقعة الجغرافية للأندلس و ازدياد الحاجة إلى المكاتبات قصد تبليغ الأوامر الصادرة عن الخليفة و إرسالها إلى المصالح الإدارية المختلفة تطلب وجود مجموعة من الدواوين التي تهتم بهذا النوع من المهام،و لعل من أهمها:

ب.الدواوين المساعدة لها :

ب-1. ديوان الرسائل * أو ديوان الإنشاء:

إن المكان التي تتم فيه الكتابة السلطانية يعرف بديوان الرسائل [1] و هذا الديوان من أهم المؤسسات الإدارية الرسمية لسلطة الأمويين بالأندلس[2] يقع ديوان الرسائل بحاضرة قرطبة قاعدة الأندلس و مستقر الخلافة [3] في حرم القصر الخلافي الذي كان بمثابة مدينة إدارية بأتم معنى الكلمة نظرا لاحتوائه على دار الملك الذي اشتملت على مقر الدواوين و دار الوزارة و بيت المال[4] .

و قد اعتبر ديوان الرسائل أعلى جهاز إداري في البلاد لان جل المكاتبات

* الترسل من تراسلت أترسل ترسلا، و إنا مترسل و لا يقال ذلك إلا لمن ب ان فعله في الرسائل قد تكرر و راسل يراسل مراسلة فهو مراسل بد الفرج قدامه بن جعفر البغدادي كتاب نقد الرنش دار الكتب العلمية بيروت 1995 ص 95.

(1) حول معنى الديوان ينظر الصولي المصدر السابق ص 198 الماوردي الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ص 199 الجهشياري المصدر السابق ص 16 ابن خلدون المصدر السابق ص 253.

(2) المقري المصدر السابق ج1 ص 202.

(3) ابن كردبوس تاريخ الأندلس و وصفه لابن شباط نصان جديدان تحقيق احمد مختار العبادي المجلة المصرية عدد 13 سنة 1965–1966 ص 113.

(4) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص 17.

السلطانية المختلفة الموضوعات كانت تتم داخل هذه المؤسسة الرسمية و التي كانت تشرف على صياغة و تحرير رسائل الخليفة و أوامره في الداخل و الخارج و إذاعة و نشر المراسيم السلطانية الخاصة بشؤون الدولة ومراجعة الرسائل الرسمية و إرسالها إلى ولايات الأقاليم و الدول الأخرى قصد تسوية بعض الإشكالات في الشؤون السياسية و الاقتصادية [1] و من مهام هذا الديوان كذلك التوقيعات التي تسجل على القصص والرقاع في أسفل الكتاب المرفوع له أو على ظهره أو في عرضه بإيجاب ما يسال أو منعه كقول الخليفة :" ينفذ هذا إن شاء الله" أو "صح هذا" [2].

و يبدو أن هناك تداخلا و مزجا بين ديوان الرسائل و ديوان التوقيع و ليس كما هو الحال في المشرق على عهد الدولتين الأموية و العباسية حيث افرد للتوقيع ديوان خاص به منذ عهد معاوية ابن أبي سفيان على اثر حادثة التزوير الشهيرة

في ولاية المغيرة بن شعبة و التي كشف أمرها مما ا ستدعى إنشاء ديوان خاص بالتوقيع.

أما مهام صاحب ديوان الرسائل فهي عديدة و متشعبة تم تلخيصها بكلمات معبرة جدا و هي عامة النظر و مباشرة السلطان أي تهتم بكل الأمر بالإضافة إلى الاهتمام بأمور الخليفة بتحرير المراسلات السلطانية و العهود و المواثيق والمعاهدات و أوامره إلى القواد و كبار الموظفين و كتب التقليد و العزل و النظر في كل الرسائل الواردة عن الديوان كما يقوم بكتابة الرسائل السياسية التي يوجهها

---

(1) ادم ميتز، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 136 ، صبحي الصالح النظم الإسلامية ، ص 314

(2) ابن الأحمر، مستودع العلامة و مستبدع العلامة ، تحقيق محمد زكي التونسي ، المغرب ، 1995 ، ص 24.

الخليفة إلى ملوك الدول الأجنبية [1] والخليفة يستشيره في أكثر أموره ، و كان يبلغ بما يصله من أخبار داخلية أولا بأول، و يحضر بحكم منصبه هذا اليمين التي يؤديها الولاة و حكام الأقاليم و الأمراء عند تعيينهم في مناصبهم، و قد يكون هو من كتب هذه العهود، ثم يسلم المكاتبات الواردة المختومة، فيعرضها على الخليفة بعد فضها فيقرأها عليه و يوقع عليها بعد اخذ رأي الخليفة، كما يقوم بترتيب المكاتبات الصادرة و الواردة .و لقد كانت الكتب بمجرد صدورها تحمل للوزير المكاتب ليثبتها في السجلات [2] و قد تعدت المهام التي يقوم بها صاحب ديوان الرسائل الأمور السياسية و الإدارية إلى الأبعاد الثقافية ، فهو يقوم بالنظر في أمور العلم و كذا تطبيق مقاصد كلام البلاغة و أسرارها بأعداد الرسائل [3] فالأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تبدأ عنه و تنشا منه [4] .

لم يتخل حكام بني أمية في الأندلس عن خاتم الملك لأنه إحدى مظاهر سلطانهم، كما توارثوا عبارة نقشه خلف عن سلف . فلقد كان لكل حاكم منهم خاتم خاص به " فصُهُ زمردة رفيعة القدر، شريفة الجوهر، منقوش عليها اسمه، و لقد أمر الخليفة عبد الر حمن الناصر لدين الله أن يقتصر عن الطبع به لما ينفذه من كتبه" [5].

---

(1) القلقشندى،المصدر السابق،ج1من ص110–114.

(2) ابن عذاري،المصدر السابق،ج3،ص1.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص193.

(4) نفس المصدر و الصفحة.

(5) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق شاميتا، ص460.

و لا بأس من الإشارة إلى أن الحاجب المنصور بن أبي عامر * قرر عام 382هـ/992م ألا يضع ختم هشام الثاني على المكاتبات الرسمية اعتبارا من هذا التاريخ و اكتفى بختمه هو، وإن هشام تلقب منذ ذلك التاريخ بالمؤيد بالله [1]، و الملاحظ على نقوش أختام خلفاء بني أمية أنها بقيت محتفظة بعبارات أختام عصر الإمارة (بقضاء الله راض) كما وجد نقش الخاتم الخاص للخليفة عبد الرحمن الناصر، فهو يحمل عبارة (بالله ينتصر عبد الرحمن الناصر) بالإضافة إلى خاتمه العام . و ذلك لان الكتب السلطانية شملت الشؤون الخاصة للخليفة كالمراسلات السرية الأمنية التي لا يطلع عليها إلا الكاتب الخاص أي كاتب السر، أما الكتابة الأخرى كالمناشير و إبلاغ الرعية بأمر هام و بقية المصالح الإدارية وشؤون الدولة العامة التي يشرف عليها صاحب الكتابة العليا– أي رئيس مصلحة ديوان الرسائل فكانت تختم بنقش الخاتم العام للخليفة.

لقد تم تخصيص مكان يقع عند الباب الرئيسي للقصر الخلافي بقرطبة لديوان الرسائل، والمعروف بباب السدة ** الذي ينفتح على مجلس عبد الرحمن الناصر. أي"مجلس الديوان السلطاني" و في هذا المجلس الخاص بالخدمة السلطانية

---

* المنصور بن أبى عامر :أصبح الرجل الأول في الأندلس منذ عام 371هـ–392هـ.في عهد الخليفة هشام المؤيد، و بعد قضائه على المعارضة[4] استبد بالحكم و حجز على الخليفة في قصره.ينظر في أخباره :ابن عذاري،ج2، ص256–261، ابن الخطيب المصدر السابق ،ج2، ص57–62.

(1) مجهول ، تاريخ الأندلس، تحقيق بوباية عبد القادر، ص225.

**السدة: لغة ، باب الدار، الشيخ عبد الله البستاني المرجع السابق،ص634.و باب السدة في الأندلس هو الباب الرئيسي لقصر الخلافة .ابن حوقل كتاب صورة الأرض .دار الكتاب الإسلامي، القاهرة د.ت ص108، العذري، المصدر السابق، ص123.

و تحت إشراف الخليفة كانت تتم جميع إجراءات المكاتبات السلطانية كالمراسم وقرارات التعيين، و العزل و عهود الأمان، مثل عهد الأمان، الذي عقده عبد الرحمن الناصر 326هـ/939هـ لمحمد بن هشام * حيث قال :"...و له على السلطان، إذا وفى بما عقد عليه من الشخوص إلى باب سدته، أن يكتب له عهدا على مدينة سرقسطة..." [1] و من ديوان الرسائل و بباب السدة كانت تمر و تنتهي كتب و رقاع الخاصة و العامة، كالتوقيعات حيث يفصل في أمرها و تثبت مباشرة من قبل الخليفة الذي يقوم بطبعها بخاتمه و دون سواه [2] حتى يضفي عليها بطابع التنفيذ الرسمي لأنه المسؤول الأول في الدولة.

يتضح ذلك جليا من خلال نص أورده ابن الآبار، جاء فيه إن عبد الرحمن بن بدر بن احمد لما ولاه الناصر الوزارة و الحجابة و القيادة و الخيل و الكتابة

والبريد[3]."و كان ينفرد بالولايات فتكتب السجلات في داره، ثم يبعثها للطبع فتطبع و تخرج إليه، فيبعث في العمال و ينفذون على يده "[4] .و عليه فهذا النص يطلعنا كيف كان الخليفة الأموي يسند إلى الكاتب الوزير العديد من الخطط السلطانية كانت أعلاها خطة الحجابة.

---

* هو احد المعارضين للسلطة الأموية في الأندلس، ينتمي لأصول عربية من قبيلة التجيب، استطاع عبد الرحمن الناصر أن يكسر شوكته بعد فتح سرقسطة سنة 326هـ، مما جعله يذعن للطاعة و التوبة، فعقد له الخليفة الأمان .ابن حيان، المصدر السابق، صص420–424.

(1) العذري، المصدر السابق، صص41–54.

(2) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص113،السيوطي،المصدر السابق،ص240.

(3) ابن حيان،المصدر السابق،ص173،ابن الآبار،الحلة السيراء،ج2 من ص252–253.

(4) ابن الآبار، المصدر السابق،ج1 ص253.

تجدر الإشارة إلى أن الأمويون في الأندلس في هذا العصر وضعوا جميع إجراءات الكتابة السلطانية في ديوان واحد ألا و هو ديوان الرسائل . و هم بذلك اختلفوا عن الأمويين و العباسيين في المشرق حيث انفرد كل ديوان و اختص بأمر معين، كديوان الخاتم، و ديوان التوقيع، و ديوان الفض.

و الملفت للانتباه أن هذا النص اعتمد عليه الكاتب عفيف البهنسي في دراسته حول"تطور الخط العربي و تاريخه "، في سياق تناوله للتطور الثقافي لبلاد الأندلس، فقد ذكر إن الأندلس كانت مصدر إشعاع الثقافة العالمية و العربية، فلقد أصبح الاهتمام بالكتب شديدا و ابتكرت لذلك طرائق أشبه بالطباعة.

لاشك أن الأمر قد التبس على هذا الباحث في تفسير عبارة ابن الآبار ثم يبعثها للطبع فتطبع، لأنه اعتقد بان كلمة الطبع من مصدر الطباعة، و لكن المصادر تخبرنا بان كلمة الطبع هي الختم كما جاء في تعريف الصولي للخاتم"وختمت الكتاب و طبعته بمعنى قطعته بأخر العمل فيه [1] "لذلك يفهم من كلمة تطبع أي يرسلها إلى باب السدة لتختم بخاتم الخليفة العام ثم ترد إليه ليرسل بها إلى العمال ليقوموا بالتنفيذ تحت إشرافه.

و قد انتقلت الدواوين و بقية مؤسسات الدولة إلى المدينة الجديدة– الزهراء* التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله لأجل" تخليد الآثار الدالة على قوة ملكه و عزة سلطانه و علو مهمته" [2] لتكون قريبة من حضرته ، تليق

---

(1) الصولي،المصدر السابق ص145.

*ا لزهراء تبعد عن قرطبة أميال .الإدريسي.نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ج 1، ص213.

(2) ابن حوقل.المصدر السابق، ص108.

بأبهة جلال الخليفة[1].

ثم واصل ابن الخليفة المستنصر بالله * استكمال ما تبقى من بناء مدينة الزهراء. و ظلت في زمنه زاهية مزدهرة . ، لكن الحاجب المنصور" لما استفحل أمره و اتقد جمره ، و جل شأنه ، و ظهر استبداده ، وكثر حسّاده، و خاف على نفسه من الدخول إلى قصر السلطان " [2] بنى مدينته الزاهرة . و في سنة370هـ/980م نقل هذا الحاجب إلى الزاهرة إدارة قرطبة المركزية، و أنزل فيها خاصته و عامته ، كما اتخذها مقرا لدواوينه و أقطع لوزرائه و كتابه بها أفخم الدور و القصور [3]. لذلك سار أمر مدينة الزه راء نحو الضمور و الإ ندثار

وأصبحت أثرا بعد عين .و قد أشار إلى ذلك الفتح بن خاقان بأنها " كتكالى ينحن على خرابها...محت الحوادث ضياءها ...و لم يبق من أثارها إلا نوى و أحجار، هوت قبابها، و هرم شبابها" [4].

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، قرطبة ، المرجع السابق، ج 1، ص234–235.

**الحكم الثاني بن عبد الرحمن الناصر ولد سنة 302ه و توفي سنة 366 اثر عبد الرحمن الناصر.ابن حيان .المصدر السابق ص ص 101–102، ابن الفرضي .المصدر السابق، ص15.تولى الخلافة عن عمر يزيد عن سبع و أربعون سنة و لقب بالمستنصر بالله.ألحميدي،المصدر السابق،ص19،ابن الآبار،ج1ص200.كان حسن السيرة فاضلا عادلا شغوفا بالعلوم.اهتم بالعمران خاصة زياداته للمسجد الجامع و أعماله بناء الزهراء.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق،ج23، ص275، ألحميدي، المصدر السابق،ص281.

(3) نفس المصدر، ص276.

(4) الفتح بن خاقان قلائد العقيان ، القاهرة، د.ت.ص10–ص11، العمري، المصدر السابق ج2، ص152.

لكن إحداث الفتنة البربرية التي بدأت في بلاد الأندلس سنة 399هـ/1009م وانتهت سنة 422هـ/1031م أثرت بشكل كبير على المنشات العمرانية لمدينة قرطبة، كما أدت إلى خراب الزهراء الزاهرة معا . و على اثر ذلك عاد ديوان الرسائل مع بقية أجهزة الدولة إلى قصر حاضرة قرطبة، يظهر هذا جليا من خلال نص أورده صاحب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الذي نقله عن ابن حيان عند الحديث عن علي بن حمود قائلا " بويع بن حمود في باب السدة من قصر قرطبة يوم الاثنين لسبع بقين لمحرم سنة سبع و أربعمائة ... و تسمى ليومه من الأ لقاب السلطانية بالناصر لدين الله" [1].

و علي بن حمود هذا يتصل نسبه بإدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، و هو أول خليفة من بني هاشم بالأندلس، تسلم الحكم و له من العمر54 سنة، كان عازما حازما .قتله الصقالبةفي الحمام سنة 408 هـ/1017م كما يشير إلى ذلك ابن عذاري و عبد الواحد المراكشي و غيرهم من الكتاب. لقد كان على رأس ديوان الرسائل صاحب ديوان الرسائل أي كاتب السلطان ذلك أن " كتّاب السلاطين هم ألسنة الملوك بكل أوان و مقاول الدول وصدور كل ديوان " [2] و يعرف عند أموي الأندلس بكاتب الرس ائل أو الكاتب، وهو في نفس الوقت الكاتب الخاص للخليفة و مستقر أسراره.

لقد جرت العادة في الأندلس أن رئيس ديوان الرسائل يجمع له الخليفة في غالب الأحيان الكتابة العليا أي خطة الكتابة السلطانية و الكتابة الخاصة.

---

(1) ابن بسام ، المصدر السابق، ق1، ج1، ص86، ابن عذاري، المصدر السابق.ج3،ص122

(2) ابن الأحمد، مستودع العلامة، ص18، ابن السماك العاملي، المصدر السابق،ص40.

و يأتي في المقدمة كتاب عصر الخلافة جعفر بن عثمان المصحفي " و كان مقدما في صناعة الكتابة ، مفضلا على طبقته بالبلاغة ، و له شعر كثير مدون يدل على تمكنه من الإجادة ، و تصرفه في أفانين البيان " [1] . وأثناء ولايته للعهد استعمله الحكم المستنصر كاتبا له ، و عندما تولى الخلافة قلده الوزارة ، و أمضاه على الكتابة الخاصة، "ثم جمع له الكتابة العليا الخاصة" [2] و في هذا دليل على ما كان يحرص عليه الخلفاء من تعيين ذوى الكفاءات في منصب الكتابة العليا ، وهو دليل على الثقة الكبيرة و الاقتناع التام بأهلية هؤلاء لشغل مثل هذه المناصب الحساسة.

و عمل عبد الرحمن الناصر على إصلاح و ترتيب نظام إدارة الكتابة السلطانية حيث أصدر مرسوما سلطانيا سنة 344هـ/955 م أورده صاحب كتاب البيان المغرب ، و هو نص في غاية الأهمية، انفرد به ابن عذاري يقول فيه "وفيها ثقف* الناصر أمور الخدمة السلطانية ووزعها بين وزرائه " [3] والظاهر من خلال هذا النص أن اهتمامات الخليفة انصبت على إصلاح و تجديد هياكل ديوان الرسائل وإنشاء مناصب جديدة متخصصة في المهام الإدارية للمكاتبات السلطانية و مراسلاتها و حسب هذا الترتيب الإداري الجديد في مصلحة الكتابة السلطانية، وزعت هذه التخصصات على أربعة كتاب يحمل كل منهم لقب وزير

---

(1) ابن الأَبلوَّ، الحلة السيراء،ج1،ص257–258.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص254.

* ثقف الرجل : صار حاذقا خفيفا، و الثقاف ما تسوى به الرماح و تثقيفها تسويتها .عبد الحميد السبكي المختار من صحاح اللغة، المرجع السابق ص63.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق،ج2،ص220.

ويتولى النظر في جانب من جوانب مهام الكتابة السلطانية.

إن الوزير جهور بن أبي عبيد الله قلد إدارة النظر في كتب جميع أهل الخدمة ، و قلد الوزير عيسى بن فطيس مصلحة إدارة النظر في كتب أهل الثغور والسواحل و الأطراف و غيرها، و قلد الوزير عبد الرحمن الزجالي مصلحة إدارة النظر في تنفيذ كل ما يخرجه من العهود و التوقيعات و ينفذ به الأمر أو الرأي وغير ذلك.

و قلد الوزير محمد بن حدير مصلحة إدارة النظر في مطالب الناس وحوائجهم وتنجيز التوقيعات لهم[1] .

لقد حصل هذا الإجراء في الترتيب الإداري لخطة الكتابة السلطانية تحت ضغط الظروف الجديدة حيث اتسعت تخصصاتها و مهامها و فروعها على صاحب الرسائل، و تشعبت وظائفه، نظرا لما استجد من أعباء و مسؤوليات في فترة الخلافة، لذلك اصبح من العسير على صاحب هذا الديوان الإشراف على كل ما يتعلق بالمكاتبات و المراسلات السلطانية العديدة و المختلفة هذا من جهة، واتساع الرقعة الجغرافية للكتابة السلطانية التي اجتازت حدود بر العدوة ، خاصة عندما استولى عبد الرحمن الناصر على مدينة سبته عام 319هـ/932 م [2] من جهة أخرى، و بذلك اقتضت المصلحة أن يكون أكثر من كاتب للقيام بأعباء صاحب ديوان الإنشاء.

---

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص220.

(2) ابن حيان.المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص288 ، البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب من كتاب المسالك و الممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.د.ت،صص103–104.

و انعكست هذه التدابير و الإجراءات الإدارية في ديوان الرسائل التي قام بها الخليفة عبد الرحمن الناصر بشكل جيد على الهياكل الإدارية بحيث قامت بتدعيمها و ضبط أمورها . كتب ابن عذاري يقول " فالتزم القوم ما لزموا، فاعتدل بهم ميزان الخدمة و سهلت مطالب الرعية " [1] من خلال ما سبق يمكن القول بان خدمة الكتابة السلطانية كان لها دور كبير و بالغ الأهمية في تيسير و تسهيل بلوغ أهداف الدولة و تسيير شؤون الرعية على حد سواء.

إن هذه الإجراءات و ما نتج عنها من إضافة مناصب جديدة في هيئة الكتابة السلطانية لا يدع للشك مجالا في أن ديوان الرسائل قد ضم طاقم من الكتاب المتخصصين في الكتابة الديوانية . تمثلت مهمتهم بالدرج ة الأولى في تقديم يد المساعدة إلى وزراء الكتابة السلطانية و مصالح إدارتها الكثيرة و نحوها [2] .

ولقد تنوعت أعمال هؤلاء الكتاب، فمنهم كاتب مهمته تبيض ما ينشؤه المنشئ مما يحتاج إلى حسن الخط فينبغي للكاتب، أن تكون كتبه للخلفاء بأجمل و أكمل الخطوط و أبينها و أ جودها و أحسنها[3] لأنه من النادر أن يجتمع لدى الكاتب البلاغة التامة و حسن الخط ، لهذا وجب أن يختار شخصا يرسم الإنشاءات والسجلات و التقليدات، و مكاتبات الملوك، و أن يكون أحسن الخطاطين في وقته حتى تصدر الكتب السلطانية بالألفاظ البليغة و الخط الجميل.

ثم هناك كاتب يتصفح كل الإنشاءات و التقليدات و المكاتبات و سائر ما يسطر في

---

(1) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2، ص223.

(2) القلقشندى صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص132.السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية،الاسكندرية ، 1974 ، ص389.

(3) سماك العاملي، رونق التحبير في حكم السياسة و التدبير، ص54.

الديوان، حتى يتفادى الأخطاء الناجمة عن السهو و الزلل و اللحن و عثرات القلم.

و القصد من ذلك أن يكون كل ما يكتب عن الخليفة أو السلطان أن يكون كامل الفضيلة خطا و لفظا و معنى و إعرابا ، و لا يجد طاعن فيه مطعنا و يجب أن يكون عالي المنزلة في اللغة و النحو و حفظ كتاب الله عز و جل ، ذكيا ، حسن الفطنة، عاقلا مأمونا [1].

أما كاتب التذاكر أ و متولي ملخصات الكتابة السلطانية، فعمله يقوم على انجاز التذاكر التي تشتمل على ملخصات لأهم ما جاء في محتوى الرسائل التي يبعث بها الخليفة أو التي تصل إليه عن طريق الديوان، ثم يقوم هذا الكاتب بترتيبها بحيث يجعل كل تذكرة على حدة و يعلمها بأوراق يكتب على رؤوسها اسم الصفة أو الجهة، و يكتب عليها فصل من كتاب إلى الوالي أو المشرف أو العامل و يكتب فيها رد بتأريخ كذا، و مضمونه كذا، و أجيب عنه بكذا، لئلا تغفل ولا يجاب عنها، و كانت أصول المراسلات و نسخها تنظم في أضابير خاصة، ويوضع خارج كل منها بطاقة تشير إلى محتوياتها ل يسهل الرجوع إليها، واستخراجها للسلطان في أي وقت احتاج إليها . و لقد استوجبت من هذا الكاتب قدرا كبيرا من الأمانة و الصبر على التعب[2].

في حين أن سجلات فهرست الكتابة السلطانية كلف بها كاتب الضبط ، وقد انحصرت مهمته في تقييد و فهرست كل الكتب السلطانية الص ادرة من الخليفة والكتب الواردة على ديوانه مفصلا بكل ما جاء فيها و يكتب تحته" كتاب ورد

---

(1) القلقشندي،المصدر السابق،ج1،ص132–133

(2) نفس المصدر ص134.

بتاريخ كذا " و يسلمه بعد ذلك إلى الخازن ليتولى الاحتفاظ به [1] ، و للإشارة فلقد تنوعت أعمال توظيف الفهرست فمنها الخاص بالإنشاءات و التقاليد و الأمانات والمناشير و كانت تجدد كل سنة، و منها الخاصة بترجمة الكتب الواردة على ديوان الرسائل بغير اللسان العربي مشتملا على معنى كل كتاب.

إن كثرة الأعمال الكتابية استوجب تزويد ديوان الرسائل بوسائل تقنية تمثلت بالخصوص في وجود دفاتر لتدارك أي نقص أو أي خلل أثناء الكتابة السلطانية استعملت كدليل مرجعي بألقاب الولاة و غيرهم من أهل الخدمة و أسمائهم وترتيب مخاطباتهم حسب رسوم و أعراف الكتابة السلطانية (ديوان الرسائل) و ألقاب الملوك الأباعد و كتابهم و أسمائهم و ترتيب الدعاء لهم و مقداره.

و يكون هذا الدفتر حاضرا لدى كتاب الإنشاء ينقلون عنه في المراسلات وما يحتاجونه من رسوم الكتابة السلطانية [2] . كما زود بدفتر ثاني اختص بالأمور العظام و الحوادث الجسيمة مما يجرى في جميع أنحاء البلاد مقيدة فيه حسب التواريخ و الأحداث، وقد استلزم كذلك وضع سجل خاص لكل العاملين بديوان الرسائل لأن عددهم كان كبيرا.

و قد تم تخصيص مصلحة خاصة في ديوان الرسائل تعنى بحفظ المراسلات السلطانية و السجلات و الأوامر الصادرة عنه، و هذا يعود إلى الأهمية التي اكتسابتها المكاتبات و المراسلات السلطانية، و هو ما يعرف في وقتنا الحالي "بدور الأرشيف " و يتولى الإشراف على هذه المصلحة موظفان اثنان ، و هما

---

(1) نفس المصدرص135.

(2) القلقشندى،المصدر السابق،ج1،ص134.

الوحيدان اللذان لا يمارسان الكتابة ، فالخازن أو الحافظ مهمته حفظ جميع ما في الديوان من الرسائل الواردة و الصادرة و التذاكر، و الخرائط * . و يقتضي عمله أن يكون ملازما و حاضرا بين يدي كتاب الديوان حتى تسلم إليه تلك المكاتبات ويختار لهذه الخدمة رجل ذكي، عاقل ، أمين، يتحلى بدرجة كبيرة من الثقة

ونزاهة النفس و قلة الطمع ، لان زمام جميع د يوان الرسائل في يده، فمتى كان قليل الأمانة ربما أمالته الرشوة إلى إخراج شيء من المكاتبات ، و إفشاء سر من الأسرار فيضر الدولة ضررا كبيرا [1]. و لقد فرضت الضرورة و خاصة ما تعلق منها بحفظ أسرار ديوان الرسائل و تحديدا مصلحة حفظ المكاتبات السلطانية ، أن يقيم عليها حاجبا يمنع العامة و الأجانب من الدخول إليها لأي سبب كان، لكي يحميها و يحافظ على أسرار الدولة وأمنها.

و يبدو أن ديوان الرسائل كان منظما وفق ترتيب إداري دقيق ، حيث تدرج الكتّاب في العمل وتخصصوا في المصالح الإدارية . كما زود بوسائل و تقنيات استعملت قصد ضبط و تنظيم و ترتيب المكاتبات و المراسلات السلطانية .كل ذلك من اجل التنظيم الجيد و السير الحسن و إخراج نصوص الكتابة السلطانية في أجمل صورة لتوظيفها حسب متطلبات الحال و الحالة.

---

* عبارة عن أجربة أو أكياس من الجلد توضع الكتب فيها و تختم بختم المرسل ، و تحمل إلى المرسل إليه فيفض ختمها بيده.جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، ص234.

(1) القلقشندى، المصدر السابق،ج1،ص136.

ب–2. ديوان البريد*:

لقد أولى خلفاء الدولة الأموية في الأندلس ديوان البريد باعتباره من الأجهزة الإدارية عناية و اهتماما كبيرين، حيث يتصل عمله بأمر الكتابة ، وخاصة كونه الوسيلة التي يتم عن طريقها إرسال الرسائل و جميع المكاتبات السلطانية سواء

بشكل مباشر أو غير مباشر .و نظرا لأهم يته و طبيعته فقد خصص له ديوان"يكون مفردا به ، و يكون محل الكتب المنفذة من جميع النواحي"[1].

إن النظام المتبع في بلاد الأندلس فيما يتعلق بديوان البريد من حيث التسيير والتوظيف لم يكن يختلف عن غيره في بلاد المشرق الإسلامي و في غيرها من البلدان، حيث انه لم يكن بريدا عاما كما هو شائع في زمان الناس هذا، و إنما كان بريدا مخصصا لمصالح الخدمات السلطانية، و خاصة عندما اتسع نطاق الدولة الجغرافي و امتد نفوذها إلى مناطق بعيدة، فأصبح من الضروري نقل الرسائل بسرعة متناهية لتسهيل الاتصال السريع من اجل الإطلاع التام على أحوال الدولة و رعاياها[2].

---

* البريد في معناه اللغوي هي المسافة بين كل محطة و أخرى بأربع فراسخ و الفرسخ ثلاث أميال، و الميل 4000 ذراع ياقوت الحموي.معجم البلدان، بيروت1984،ج1، ص35.أما في الاصطلاح فهو" أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى الأخر، و الآخر حتى يصل بسرعة.المصدر نفسه ص112.

(1) أبو الفرج قدامة بن جعفر. نبذ من كتاب الخراج و صنعة الكتابة.وضع مقدمته وحواشيه محمد مخزوم بيروت1988ص211.

(2) ظاهر القاسمي نظام حكم في الشريعة و التاريخ الإسلامي بيروت1982، ج1، ص315

و بالتالي توضح ت مهام ديوان البريد فهي تقوم بتنظيم الاتصالات بين الإدارة المركزية و الأقاليم، ووضعها على تماس تام بما يجري من تطورات سياسية و اقتصادية و اجتماعية [1]. و في هذا الصدد كتب ابن طباطبا " و من جملة الأشياء وضعهم البريد بكل مكان طلبا لحفظ الأموال، و سرعة وصول

الإخبار ومتجددات الأحوال "[2]. و أيضا استخدامه في الاتصالات مع الدول الخارجية.

ولان ديوان البريد كان من الخطط الأساسية في دعم النظام السياسي والإداري، فلقد كانت مكاتبات الدولة الرسمية المرسلة إلى قرطبة، تصل كلها إلى هذه المصلحة، في حين أن التقارير الأكثر سرية كانت تسلم إلى الخليفة مباشرة.

و الذي يدير شؤون هذه المؤسسة يدعى صاحب البريد، و يسمى كذلك بصاحب الخبر[3].ويتم اختياره من قبل الخليفة الذي يكتب له ظهير التعيين، فيه بيان أبعاد المسؤوليات و الواجبات المنوطة إليه، كما يوصيه فيها بتقوى الله عز و جل في السر و العلانية، و ألا يرفع إليه إلا الصدق، و ألا يستعين بأحد في أداء عمله إلا بمن يثق بصناعته و ورعه و نزاهته و يؤكد الظهير على ثقة صاحب الديوان بنفسه و عند الخليفة[4].

---

(1) أحمد مختار العبادي ، التاريخ الحضاري، المرجع السابق ، ص90.

(2) ابن طباطبا ، المصدر السابق، ص112، القلقشندى، المصدر السابق ،ج1 ، ص116–117.

(3) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج 1، ص 210، القلقشندى، المصدر السابق، ج14، ص371.

(4) قدامة بن جعفر، المصدر السابق،ص13.

" لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح و إنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ"[1].

لقد كان البريد في الكثير من الأحيان ينقل رسائل الناس إلى الخليفة وولاة الأمر[2] عن طريق البريدي *.و في الأندلس كان ينصب الكتاب على جناحي

موكب الخليفة أو الوزير لأخذ رسائل الرعية[3] و من المهام التي كلف بها البريدي هو إحضار بعض أعيان الخليفة بواسطة مرسوم سلطاني [4]. وحرص حكام بني أمية في الأندلس حرصا شديدا على إلزام البريديين على احترام أوقات البريد، وإلا ترضوا إلى ما لا تحمد عقباه ، أي سفك دم البريدي[5].

و كان يتم تعيين صاحب ديوان البريد حسب شروط سوف نتعرض لها في مكان آخر من هذه الرسالة، لكني أشير هنا باختصار إلى أنه يجب أن يكون ذو ثقافة واسعة، و يتقن كتابة الرسائل، و فن التوقيعات و يحسن مخاطبة الخلفاء

---

(1) قدامة بن جعفر، المصدر السابق،ص11، جرجي زيدان،المرجع السابق،ج1، ص230.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص335.

* البريدي: هو الذي يحمل البريد و له رؤساء يسمون مقدمي البريدية "و يختص الملوك وأكابر النواب بأكابر البريدية و اعتلائهم و أصحاب التجارب منهم في المهمات العظيمة التي يحتاج فيها لتنميق الكلام و تحسين العبارة و سماع شبهة المرسل إليه ورد جوابه وإقامة الحجر عليه" القلقشندى، ج1، ص116.

(3) ابن عذاري ، المصدر السابق، ج2،ص271.

(4) المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، القاهرة1927،ج1،ص425.

(5) ابن حيان المصدر السابق، تحقيق محمد علي مكي ، ص132–133.

وعظماء الدولة و أن يكون على معرفة و دراية تامة بالطرق و الأنهار والتضاريس و المسافات بين المدن و حواضر الدول، و كذلك معرفة شيء من طبائع الحمام و الخيول و البغال، و تكون له مقدرة و كفاءة إدارية لتسيير مصلحة

ديوانه و من يعملون تحت يده ، و كان صاحب ديوان البريد يستشار من قبل الخليفة لرسم خطة لجيشه، بسبب معرفته الواسعة بالطرق.

و ديوان البريد خطة من الخطط السلطانية، عظيمة القدر، خطيرة المكانة، لذلك احتل صاحبها مرتبة رفيعة لدى الخليفة، فكان لا يمنع من الدخول عليه ليلا و نهارا، لان عدم دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة كاملة كما أشار إلى ذلك القلقشندي[1]. و يفترض أن يجعل الخلفاء بينهم و بين أصحاب البريد رموزا أشبه ما يكون بالشفرة و يتفق عليها سرا، فلا يعتمد احدهم كتاب صاحب بريده إلا إذا كانت تحمل تلك الرموز.

و لم يقتصر عمله على نقل أوامر الخليفة إلى عمال الأقاليم و الولاة، و قادة الجند، و موافاته بكافة الأخبار و الحوادث ال تي يمده بها أعوانه المنتشرين في أنحاء الأقاليم، بل كان رقيبا و مفتشا و عينا للخليفة يرفع التقارير عن أحوال الجند و المال و أحكام القضاة و أسعار المواد الغذائية من الحبوب و اللحوم.

لذلك كانت أخبار صاحب ديوان البريد متنوعة و موزعة بين أخبار سياسية وأمنية و أخرى اجتماعية خاصة بشؤون الرعية . مثال ذلك أن عيون الخليفة المستنصر بالله أبلغته سنة 356 هـ/967 م أن عماله قد زادوا في ظلمهم للرعية فأرسل إليهم كتابا يحذرهم من عقوبته.

---

(1) القلقشندي، المصدر السابق،ج1، ص114.ابن سماك العاملي،المصدر السابق، ص59.

و يورد ابن حيان نصا يتبين من خلاله الوسائل التي اتبعها هذا الخليفة في تتبع مخابرات عدوه المنتزي عليه حسن بن قنون * قائلا "...استشعار الحزم وادراع التحفظ...و إذكاء العيون و بث الجواسيس و الاستكثار منهم و من حملة

الأخبار حتى لا يخفى لحسن أهلكه الله حركة و لا يتوارى له مذهب " [1]. و من مهامه كذلك حفظ امن الطرق من القطّاع واللصوص و الأعداء، و الإشراف على استلام كل ما يرد إلى ديوان البريد من مكاتبات الكور و الثغور و الأقاليم الذين توجسوا منه خيفة و اعتبروه جاسوسا عليهم، و هو أشبه ما يكون بمصلحة المخابرات في وقتنا الحالي[2].

و تطلب تنوع الأعمال و كثرتها من صاحب ديوان البريد تشغيل عدد كبير من العمال الذين يحتاج إليهم كموظفين إداريين أو كعمال تقنيين من اجل قوام

---

* حسن بن قنون بن قاسم بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أمير مدينة الأقلام ببيرالع دوة.ابن عذاري .ج2، ص244– 448 و لقد دخل في طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر و ابنه المستنصر بالله "و لم يزل مبايعا للمروانيين متمسكا بدعوتهم "ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس .الرباط ، 1999، ص108–109 لكنه نكث عهده للدولة الأموية و خرج عن طاعتها لصالح الشيعة، الأمر الذي جعل الخليفة المستنصر يستنفر معداته الحربية و كبار قواعد عسكره من اجل كسر شوك توفو في سنة 363 هـ/974 م إذ أذعن بن قنون و دخل في طاعة الخليفة.ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق ، ص105.

(1) المقتبس، المصدر السابق ، ص97.

(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار،ج2،ص62.ابن حيان، تحقيق ، ص93.

ديوانه . إن نقل الأخبار العامة و الخاصة إلى الخليفة لم يكن سهلا، و لم يقتصرعلى شخص بعينه بل تطلب استعمال الكثير من الرقاة الذين كانوا يبثون بين الناس لهذه المهمة : فهؤلاء الموظفون يوافون صاحب البريد بكل ما يجري في

الولايات من أحداث.و يؤكد ذلك ابن حيان حين كتب " يتفقد مصالح الأمة، ويتعهد أمور دينه، باحثا عن سنن المسلمين و طرائقهم و مواطن اجتماعهم في مساجدهم ومحافلهم بمن نص بهم من ثقاتهم وعيون * بطانته ، وكلهم بمباطنة الطاويات وكشف السريرات ، فكانت الأعمال معروضة عليه و خافيات السرائر مكشوفة له.و الباطن و الظاهر من مذاهب العوام موضوعان بين يديه."[1]

من نافلة القول أن ابن حيان المؤرخ ، كان أموي الهوى و الاتجاه، لذلك وجدناه في النص السابق يمتدح الخليفة و كأنه حريص على أمور الدين و إقامة السنن الإسلامية، إلا أن القراءة المتأنية للنص تظهر أن ما يهم الخليفة هو معرفة دقائق الأمور عن الرعية و تحركاتها و سكناتها و ميولهم و نزعاتهم حتى لا تخفى عنه خافية من أمورهم و تصبح خافيات السرائر مكشوفة له .

---

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا،ص23–24.

* من شروط هؤلاء العيون" الجواسيس"و الإخباريون، أن يكون احدهم موثوق بنصيحته، له حدس و فراسة صائبة، كثير الدهاء و الحيل و الخديعة، و يكون له دراية بالأسفار ومعرفة البلاد التي يتوجه إليها حتى لا يس أل و يكشف أمره، يكون عارفا بلسان أهل البلاد، يكون صبورا إذا كشف أمره و عذب .القلقشندى،ج1،ص126.

و من خلال مطالعتنا لكتاب المقتبس وجدنا إشارة إلى عينة من ألقاب الموظفين التابعين لديوان البريد منها "عرفاء* ، أصحاب الرسائل ، الخصيان ، وكتاب الفراونيقين **"[1]. و هؤلاء الموظفين أشبه ما يكون بالمفتشين لذلك فهم

مطالبون بتقديم تقارير مفصلة عن كل ما يحدث في خطوط البريد و محطاته إلى ديوان البريد بقرطبة كما أن من واجبهم توجيه الرسائل إلى الكور و الثغور، وكذلك جمع تقارير الموظفين الموزعين على أنحاء الدولة، بالإضافة إلى ذلك مراقبة مسار الرسائل و تنظيمها و إرسالها في الأخير إلى ديوان البريد.[2]

أما علاقات الدولة الأموية بالأندلس مع العالم الخارجي، فحسب الظروف السائدة و الحالة السياسية مع تلك الدول، حالة السلم أو العداء و الحرب، فيختار الخليفة سفيرا له [3]. من بين كبار أعيان الدولة، إذ هو رسول الخليفة و الناطق عن لسانه، و يكون في اغلب الأحيان بالغ الأهمية و الخطورة [4].

---

* العريف هو المقيم و السيد لمعرفته سيادة القوم .العرفاء جمع عريف .و هو النقيب .المختار من صحاح اللغة، المرجع السابق ص 337.و هم من أهم الموظفين الذي يعتمد عليهم الخليفة لتثبيت سلطانه و إدارته و السيطرة على السكان نجدة خماش المرجع السابق ص 319. ويقصد في هذا النص الموظفين الذين اختصوا بالشؤون المختلفة لموظفي مصلحة البريد.

** الفراونيقين: كلمة معربة عن الفارسية و معناها منذر أو دليل و هم الرؤوساء الذين يقومون بالإشراف على الرسائل البريدية و تسيير أمورها .قدامة بن جعفر، المصدر السابق تحقيق حجي ، ص182.

(1) ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، تحقيق حجي ، ص91.

(2) ادم ميتز، المرجع السابق،ج2، ص825، سالم الخلف، المرجع السابق،ج1، ص360.

(3) ابن عذاري ، المصدر السابق، ج2،ص93.

(4) ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص76.

و يمكن أن يكون السفير يشغل وظيفة أخرى بعيدة عن ديوان البريد، إذ يرسل الخليفة في بعض الأحيان وزيره أو ولي عهده أو بعض الفقهاء و كبار الكتاب و المشائخ ، أو أكابر البريدية و عقلائهم و أصحاب التجارب و الخبرة

والدراية التي يحتاج فيها إلى تنميق العبارة و تحسين الكلام و سماع شبهة المرسل إليه، ورد جوابه و إقامة الحجة عليه. و من الأمثلة على ذلك"السفارة " الدبلوماسية التي كلف بها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله خلال سنة 329 هـــ/988 م كاتبه اليهودي حسداي ابن إسحاق* و كان هدف هذه المهمة الاتصال بملك النصارى رذمير في شمال اسبانيا لفك اسر الأمير محمد ابن هشام الذي طال في بلاد النصارى.و يؤكد لنا هذا الاستنتاج ابن حيان حيث يقول "...فحركه الوفاء له إلى مقاربة رذمير في السلم، إذ كانت سلما إلى خلاص محمد ..." [1]. و على السفير احترام تاريخ السفارة[2].

و كما سبق الإشارة إلى أن الضرورة تحتم على الخليفة الأموي اختيار الرسول من ارفع من بحضرته عقلا، و ذو بصيرة، و هيئة و منظرا و أمانة وتجنبا لجميع الريب.و يجب على السفير أن يكون كثير الفطنة ، ذا بيان و عبارة بصيرا بمخارج الكلام و أجوبته، مؤديا لألفاظ السلطان و معانيها، صادق اللهجة، لا يميل إلى الطمع، حاملا لما حمل.

---

* حسداي بن اسحق بن شبروط الإسرائيلي: يعتبر من اكبر رجالات عصره، يمتلك كفاءات متعددة علمية و فكرية و دبلوماسية. ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص465.

(1) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص466.

(2) بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ديوان المطبو عات الجامعية .الجزائر .1993.ص 182.

و جرت العادة اختبار السفير قبل تكليفه بمهمة السفارة من قبل السلطان، ومن الوصايا البليغة في اختيار رسول السلطان وصية أبو حمو موسى الثاني*التي أوصى بها ولي عهده جاء فيه " ينبغي لك يا بني إذا وجهت رسلا إلى ملك من

الملوك أن تختاره من وجوه قبيلتك و خيار عشيرتك ، ممن يليق بالرسالة ويتصف بالطهارة و الجلالة.

و لا يكون تبجيلك إياه إلا بعد الاختيار، ليكون على وفق الاختيار ... يتحلى بأربعة أوصاف: "الأول، أن يكون قوي القلب راجح العقل، الثاني أن يكون صادق القول، و الثالث أن يكون محافظا على دينه، الرابع أن يكون حافظا على الأسرار كاتما لجميع الأخبار، ناهيك عن فصاحة اللسان ، حسن العبارة و البيان، أن يكون مليح الهيئة و الصورة، فيه محافل مشهورة ، أن يكون محبا في سلطانك ، عاملا على ما يوافق شأنك ، و أن يكون قليل الطمع منتزها عما في الأيدي تن زه الورع"[1] ، و مما قيل في سفير السلطان :" ثلاثة تدل على أهلها : الهدية على المهدي، والرسول على المرسول، و الكتاب على الكاتب " و لذلك جعل الله عز وجل رسله أفضل خلقه[2].

---

* أبو حمو موسى بن يوسف : أحد السلاطين الكبار الذين حكموا عرش تلمسان و ذلك خلال 760هـ-791هـ/1358-1389م.في عهده عرفت تلمسان القوة و التطور الحضاري في جميع الميادين عن هذه الدولة أصلها و تطورها انظر أبو زكريا يحي بن خلدون بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد.تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر1980،ج1،ص186-191.

(1) أبو حمو موسى بن يوسف :واسطة السلوك في سياسة الملوك نقلا عن بوزياني الدراجي . نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1993، ص182-183.

(2) قدامة بن جعفر.كتاب نقد النثر المصدر السابق ص114

و من اجل تسهيل أعمال ديوان البريد و تنظيمها زود ببعض الوسائل كالسجلات و الدفاتر و قد اختلفت و تنوعت استخداماتها فمنها الدفاتر الخاصة بتسجيل و حفظ تاريخ المهمات البريدية و الأخبار المختلفة، و منها دفتر الديوان الذي يسجل فيه اسم البريدي و تاريخ سفره و الجهة التي يتوجه إليها و يسجل فيه

أيضا نوعية المهمة التي يقوم بها .[1] و كان البريدي يحمل معه خطاب اعتماد أو تكليف بمهمة " يكتب له ورقة الطريق بالتوجه إلى جهة قصده ، و حمله على ما رسم له به من خيل البريد "[2].و كانت لهؤلاء البريدية علامة تميزهم تيسيرا لهم في أداء مهامهم، أما دفتر الإ سكدار* هو ثالث دفتر خاص بديوان البريد، فكان عبارة عن سجل يدون فيه عدد حقائب البريد و الخطابات و يثبت فيه كذلك ساعات الوصول إلى سكك البريد و الخروج منها [5].كما وجد بهذا الديوان أنواع أخرى من الدفاتر كلها وضعت لتسجيل الأخبار و الأحداث، فخصص دفتر لأخبار القضاة ودفترا لأ خبار العمال المساعدين و دفتر لأخبار الخراج ..." [3] حتى لا يكون هناك تداخل في الأعمال.

هذه باختصار شديد بعض الوسائل الإدارية داخل مؤسسة ديوان البريد و هو من الدواوين المساعدة و المرتبطة بديوان الكتابة و الإنشاء .أما خارجه فلقد ارتكزت أعمال البريد في الأندلس على وسائل النقل على غرار ما كان مستعملا

---

(1) القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص114.

(2) نفس المصدر ج 14 ، ص371–371.سالم الخلف ، المرجع السابق،ج1، ص356.

*الإسكدار: كلمة فارسية تعني من أين تمسك ، و هو مدرج يكتب فيه عدد الخرائط والكتب الواردة و النافدة و أسامي أربابها ،الجهشياري ، الوزراء و الكتّاب ، ص199.

(3) نفس المصدر و الصفحة.

في البلاد الإسلامية الأخرى .و كانت هذه الوسائل موزعة بين برية و بحرية وجوية و إن كانت هذه المصطلحات لا تزال مستعملة حتى يومنا هذا، لان غاياتها

لم تتغير بالرغم من أن شكل تقنياتها قد تطور مع النقلة الحضارية لوسائل البريد واتصالاته.

لقد كان اعتماد ديوان البريد آنذاك على السعاة و الدواب أما الخيل فيستعان بها للإسراع في السفر عند الضرورة و عند حدوث أمر هام . وكان لهذه الدواب والخيل البريدية مسؤول يدعى بالسواق ، مهمته يسوق البريدي و يخدمه أثناء مهمته بموجب مرسوم سلطاني [1].وبينما ارتكزت المسالك البريدية في الأندلس على شبكة من الخطوط ، ربطت قرطبة داخليا أي من الحاضرة نحو الأطراف، وكانت مزودة بمنازل أو محطات بريد للاستراحة، فيها بعض المر افق كالمسجد والسقاية، و فيها كذلك دواب البريد من بغال و خيل و من يتعهدها بالخدمة والعناية من اجل راحة ناقلي البريد و تغيير دوا بهم .و لقد اتصلت الدولة الأموية بالأندلس مع العالم الخارجي بواسطة طرق و مسالك خارجية ، خاصة الطرق التي ربطت المغرب بالمشرق.[2].

في حين أن البريد البحري اقتصر على المدن المطلة على البحر بصفة خاصة، و قد كان الاعتماد في المراسلة على هذا النوع قليلا و لا يلجأ إليه إلا إذا كانت الطرق البرية صعبة و خطيرة و قد استعمل البريد الجوي في أحيان عديدة و عادة ما كان يستعمل في نقل الرسائل العاجلة و الهامة ، يتم ذلك عن طريق

---

(1) المقرزي ، المصدر السابق، ص425.

(2) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص 78–79 ابن خرداذبة ، المصدر السابق، ص84–85 ابن حوقل، المصدر السابق ، ص 146

الحمام الزاجل أو الحمام الرسائلي كما يدعى و قد عرف بجناح المسلمين [1]. ولأجل ذلك كانت قلاع المسلمين لا تخلو من برج للحمام و لا من حظيرة للعناية

به. فلقد شيدت للحمام الزاجل أبراج على امتداد طريق البريد لتكون بمثابة محطات وعادة يستغرق الحمام في آداء مهمته يوما و ليلة . و من وسائل البريد الجوي السهام [2] ، فكانت ترمى مرفقة بالكتاب إلى المكان الم ستهدف فيستلمها الأخر و يفعل بها مثل ذلك ، تستعمل هذه الطريقة بكثرة في فترة الحروب ، كما وظفت المناظر ومنارات الأبراج المائية في المخابرة لنقل الإشارات بإشعال النار[3].

و قد خصصت ميزانية مالية و بشرية كبيرة لديوان البريد [4] توزعت بين منح و أرزاق طاقم العمال حتى لا يتطلعوا ما في أيدي الآخرين ، و بين نفقات شراء و تغذية و استخدام الدواب و الخيل في محطات البريد المقامة بين قرطبة وبقية نواحي البلاد . ويبدو ذلك واضحا من خلال كتاب الخليفة الحكم المستنصر بالله في سنة 362هـ/973م الذي بعث به إلى الوزير القائد الأعلى غ الب بن عبد الرحمان الناصري و هو احد كبار قادة الأندلس قاطبة الذي تحصل منفردا على لقب ذو السيفين ، حيث أمره الخليفة الركض بالأخبار و العناية بإجراء العلوفة على الدواب و النفقات على الفرانقيين و الخدمة[5] مما يكفل سرعة و صول

---

(1) القلقشندى، المصدر السابق ، ج1 ، ص 119.

(2) ابن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك، المصدر السابق ، ج2 ، ص 174–175.

(3) جرجي زيدان، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 234.

(4) ابن خرداذبة ، المسالك و الممالك ، ص 153.

(5) ابن حيان، المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 136.

الأخبار إليه.

مما سبق ذكره يظهر بوضوح أن اهتمام خلفاء بني أمية بوضع إدارة مرتبة مساعدة للكتابة السلطانية و المتمثلة في ديوان الرسائل و ديوان البريد ، و ما استلزمهما من تجهيزات مادية و بشرية ، وفق منظور ح تقية الأهداف والأبعاد الإستراتيجية و الأمنية لدولتهم.

2. شروط اختيار الكتلّب :

إن اختيار الكتاب ليس بالمسألة الهينة نظرا لرفعة مرتبة الكتابة لذلك كان يتم اختياره من ارفع طبقات المجتمع و من أهل المروءة و الحشمة منهم، و ذوي العلم وعارضة البلاغة، و لهذا خصص القلقشند ي جزء مهم من كتابه صبح الأعشى لصفات الكتّاب و شروط اخت يارهم، و مدى ثقافتهم و آدابهم، فذكر الشروط التي لا يسع إهمالها في الكتّاب و هي محصورة في عشر صفات أولها الإسلام و ذلك "ليؤتمن فيما يكتبه و يمليه " [1] ، و قد كان ذلك شرطا أساسيا في كتّاب المغرب و الأندلس، و لذلك يذكر المقري في معرض حديثه عن أنواع الكتّاب الأندلسيين بعد أن ذكر كاتب الرسائل "و الكاتب الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفون كاتب الجهبذة [2]، و لا يكون بالأندلس و لا بر العدوة لا نصرانيا و لا يهوديا" [3].وذلك لان الكاتب"هو لسان المملكة المرهب للعدو بوقع كلامه، و جاذب للكعوب بلطف خطابه، فلا يجوز أن يولى احد من أهل الكفر، إذ يكون عينا للكفار على المسلمين[4].

و يستمر القلقشندي في سرد شروط الكاتب و التي في أغلبها عنده هي نفس

---

(1) القلقشندي ، المصدر السابق، ج1، ص61.المرادي، أبو بكر محمد . الإشارة إلى أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، بيروت ،1981، ص105–108.

(2) كاتب الزمام أو الجهبذ: هو كاتب الحساب من تقييد الجرايات و نفقات الجيش و غيرها من كتابة الأموال.جودت الركابي، المرجع السابق، ص52.

(3) المقري، احمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . تحقيق يوسف الشيخ.محمد البقاعي، بيروت1998،ج1، ص203– ص280.

(4) القلقشندي، المصدر نفسه، نفس الصفحة السابقة.

شروط كاتب القاضي، لان هذه الشروط أولى في كاتب السلطان لعموم النفع والضرر به، من الذكورة، الحرية، البلوغ، العدالة ، البلاغة ، رجاحة العقل ، الرأي، المعرفة بالأحكام الشرعية، قوة العزم ، شرف النفس، و الكفاءة لما يتولاه، هذا بالإضافة إلى بعض الشروط الأخرى التي يذكرها دون تبويب دقيق، و التي في مجملها تتعلق بالأخلاق و النزاهة، و حسن السيرة و المعشر، إضافة إلى إيراده شروطا تتعلق بالهيئة العامة كاعتدال القامة و كثافة اللحية و بهاء الملبس وزكاء الرائحة[1].

ما سبق ذكره يدخل ضمن إطار الشروط الذاتية المتعلقة بالكاتب نفسه، ويذكر العاملي – و هو احد كتاب الدولة النصرية بغرناطة – الشروط العلمية التي يجب أن تتوفر في الكاتب حيث يقول " كما يحتاج الكاتب إلى أن يكون ذا علم وثقافة واسعة، إذ أن الكاتب هو مستقر أسرار الملك و لسانه الناطق عنه في آفاق مملكته و أقطار بلاده، فلا يختاره السلطان ممن يوقعه موقع نقص بين رعيته أومراسليه من الملوك، فكان بذلك أحوج إلى أن يكون له مشاركة في جميع العلوم، إلى الاستكثار من حفظ الرسائل السلطانية و عيون الأحاديث النبوية، كما ينبغي أن يكون أكثر علمه أخبار الملوك و السير و الدول و الت واريخ و معرفة أخبار الدول" لأنه حسب قول النويري يضطر إلى السؤال عن أحوال من سلف، أو يرد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها، أو يحتج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها" [2].

---

(1) القلقشندي ، المصدر نفسه، ص ص61 – 100.

(2) النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب .القاهرة، د.ت ،ج7، ص32.

لذلك على الكاتب أن يكون مستعدا للرد على أي نوع من المكاتبة، و في أي موضوع كان إلى أي شخص مهما كانت مرتبته جليلا كان أم وضيعا، فيخاطب كلا حسب مرتبته فهذا وحده لدليل على سعة علم الكاتب ووفرة ثقافته.

و بعد أن يعدد النويري الشروط العلمية و الثقافية الواجب توفرها في كاتب السلطان،قال"فهذه أمور كلية لابد للمترشح لهذه الصناعة من التصدي للإطلاع عليها، و الاكباب على مطالعتها، و الاستكثار منها لينفق من تلك المواد، و ليسلك في الوصول إلى صناعته تلك الجواد، و إلا فليعلم انه في واد و الكتابة في واد"[1].ولقد أصاب أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ حين قال"و الكاتب وعاء مليء علما، و ظرف مليء ظرفا"[2].

و تعتبر رسالة عبد الحميد بن يحي الكاتب * التي كتبها إلى الكتّاب من أهم الدساتير التي تناولت الصفات العلمية و الذاتية و الأخلاقية التي يجب أن يتمتع بها الكاتب، ليبقى في مستوى مهنة الكتابة الشريفة التي يمارسها، حتى أصبحت هذه الرسالة بمثابة القانون المضبوط و الدستور الثابت الذي سار عليه الكتّاب في المشرق و المغرب وفي جميع العصور، بل إن القوانين التي قننها الكتّاب في مصنفاتهم لم تكن إلا شرحا و تفصيلا لهذه الرسالة.

و من خلال ما سبق نجد أن الكاتب لابد عليه أن يتحلى بكل فضيلة و كمال

---

(1) النويري ، نفس المصدر، ص35.

(2) نفسه، ص17.

*هو الكاتب الأموي الشهير عبد الحميد بن يحي بن سعد .ترجمته في ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص228.

و يتنزه عن كل عيب و نقصان، فهو العاكس لوجه الخليفة والمظهر لهيبة سلطانه، فبالإضافة إلى وجوب توفره على الضروريات لابد من إلمامه بالكماليات، ليكون من نفسه شخصية متكاملة الجوانب من الإحاطة بجميع فنون العلوم الشرعية منها و اللغوية و الأخ ذ بكل علم و فن بطرف، حتى يستطيع أداء مهنته على علم وبصيرة، و إلا جعل مخدومه محل عيب و استنقاص، فالكاتب لابد عليه أن يكون بمثابة دائرة معارف متحركة من ناحية المبنى، متشبع بجميع القيم و الأخلاق في جوهره و روحه.

و لقد جرى حكام الدولة الأموية في الأندلس على حشد أقطاب العلم والبلاغة إلى حواضرهم من الكتّاب الذين امتازوا بقسط وافر من الثقافة العربية التي أعانتهم و أهلتهم لشغل هذا المنصب كابن القصيرة الكاتب، و ابن أبي الخصال، و أبي القاسم ابن الجد، و غيرهم من الكتّاب الذين جعلوا من أنفسهم محط نظر و اهتمام أهل الح كم و السياسة، فهذا ابن دحيه يصف لنا الكاتب أبا القاسم بن الجد بقوله "و كان من أهل التفنن في المعارف و التقدم في الأدب والبلاغة، و له حظ جيد من الفقه و التكلم في الحديث "[1].كما كان الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال " أحد من انتهى إليه علم الأدب، و له مع ذلك في علم القرآن والحديث و الأثر و ما يتعلق بهذه العلوم الباع الأرحب و اليد الطولى"[2].

لابد من التنويه إلى أن هذه الشروط لم تكن محل اهتمام واحترام دائمين من قبل بعض الخلفاء، و خاصة ما تعلق منها بالإسلام، أي أن الكاتب يجب أن يكون

---

(1) ابن دحيه، المطرب، المصدر السابق، ص147.

(2) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص237.

مسلما ، حسن الديانة، حيث حث الله عز و جل على عدم تقريب أهل الذمة واستكتابهم و موالاتهم " لعلمه تعالى بقبيح سرائر أعداء المسلمين، و ما فيها من العداوة و البغضاء و فساد نيتهم و قبح طويتهم و غيظ قلوبهم ، و غشهم للمسلمين ، وردأتهم و مكرهم " [1].إذ يكون عينا للكفار على المسلمين، و مطلعا لهم على خفاياهم فيصلون به إلى ما لا يكون استدراكه .و قد قال الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ"[2].

و كان هذا الشرط من الأسباب التي آدت ببعض الذميين إلى اعتناق الإسلام من اجل الحصول على المناصب السلطانية وعلى رأسها الكتابة، و على هذا سار الأمويون في بدء أمرهم في الأندلس و قضوا أن لا يكون الكاتب الخاص في مملكتهم نصرانيا و لا يهوديا" [3].

و يبدو أن هذا الشرط لم يحترم كما أسلفنا، إذ تولى عدد غير هين من النصارى و اليهود مناصب حساسة في الدولة الأموية بالأندلس و تحديدا في فترة الخلافة.

---

(1) مجهول، منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، تحقيق داود علي فاضل، بيروت ، 1982 ، ص25.

(2) سورة أل عمران، الآية 118.

(3) المقري، المصدر السابق،ج1،ص202، محمد كرد علي، الإسلام و الحضارة العربية، القاهرة 1968 ، ج2، ص267.

ومن الأسماء التي تذكرها المصادر التاريخية حسداي بن اسحق الإسرائيلي و كذلك ريثموند المعروف باسم ربيع بن زيد *، و كان محظيا عند الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه المستنصر بالله فيما بعد و على ما يبدو أن تجاوز شرط الدين، كانت له دوافعه ، منها استمالة هذه الفئة من المجتمع و ضمان ولائها للدولة، ضعف الوازع الديني لدى بعض الخلفاء، الكفاءة الأدبية العالية .فحسداي وصل إلى الكتابة السلطانية و بعض الأعمال نظرا لأنه "كان وحيد عصره الذي لا يعدل به خادم الملك في الأدب و سعة الحيلة " [1]، كما يصفه ابن حيان، و هذا تبرير في رأينا لا يصمد أمام المبادئ الإسلامية.و يفتوض إلى جانب هذا أن يكون متقنا للغة النصارى في الأندلس، كأن تكون الاسبانية أو اللاتينية، و كذلك العبرية.فكان من الطبيعي أن يتمكن هؤلاء الذميين– نصارى و يهود– من الارتقاء إلى هذه الخطط السلطانية من اجل خدمة مصالح الدولة، من غير أن يشكلوا أي مصدر قلق أو تخوف لدى السلطة الحاكمة .هذا ما ذهب إليه احد الكتّاب المعاصرين حيث كتب يقول" و بنو أمية في إدارتهم بعيدون عن الجمود يسيرون بما يستلزمه الزمان و المكان، و تهمهم المصالح و المنافع و لا يتحرجون من الأخذ بالجديد، لما خصوا به من عمائق الفطن و قرائح العقول ...و هم لا بالضعاف الضعف الذي تضيع معه الحقوق وتفسد الأمور، و لا بالأشداء الشدة المفرطة التي تبغضهم إلى من يعملون معهم من الناس من وزراء و أصحاب

---

* اعتمد عليه الخليفة عبد الناصر في الكثير من ال سرِفارات ، كان سفيرا كفوا للخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، و قد ا وفده لدى الملك اوتو الأول .ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ، ص218.

(1) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص466.

الولايات"[1].و قد يكون استكتاب بعض الخلفاء لليهود و النصارى من باب التسامح الديني الذي يحث عليه ديننا الإسلامي، و هو نموذج لذلك و يؤكد أن الأقليات الدينية عاشت في كنف المسلمين في ظل مراعاة الحقوق و المساواة في المعاملة، رغم أن شرط الدين الإسلامي بقي ساري المفعول بدليل أن جل كتّاب حكام الدولة الأموية في الأندلس في عصر الخلافة كانوا مسلمين.

و فيما يتعلق بشرط الذكورة و هي الصفة الغالبة على كتّاب الدولة الأموية في الأندلس، لكن هذا لم يمنع من استخدام و توظيف النساء ككاتبات و ممارسة المرأة لهذه المهنة، فقد اختص بعض الخلفاء ببعض الكاتبات كالخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي اختص بالكاتبة م زنه (ت358هـ/968م) و قد وصفت هذه الكاتبة بالأدب الواسع و حسن الخط[2].إلا إن المعلومات حولها و حول غيرها من الكاتبات شحيحة في كتب التراج يم، و قد يكون وراء هذا التفضيل أسباب ذاتية، كتفضيل الرجال على النساء أو الاعتقاد بان البيت هو محل المرأة المفضل لها وغير ذلك، و ربما لأنهن قلة.

و كانت الكفاية الخلقية من الخصال المحمودة و الشروط المطلوبة، وهي تاج على رأس كاتب الخليفة، كأن يكون "عظيم النزاهة، كريم الأخلاق، مأمون، مؤدب"[3]،لان الكتابة السلطانية ولاية شرعية، و الفاسق لا تصح توليته شيئا من أمور المسلمين، فالكاتب المستهتر قد يجر أضرار خطيرة على الدولة.و قد أوصى

---

(1) محمد كردعلي، المرجع السابق، ج2،ص267.

(2) الضبي، المصدر السابق، ص546، ابن بشكوال كتاب الصلة، القاهرة1966،ج2،ص692.

(3) القلقشندي، المصدر السابق،ج1، ص67.

رجل بنيه قائلا "يا بنيّ تزينوا بزي الكتّاب فان فيهم أدب الملوك و تواضع السوقة"[1].

و من أهم الشروط و الأسس التي يتركز عليها المصير المهني للكاتب هي الكفاية المعرفية للعلوم المختلفة " ذلك أن الكتابة السلطانية مستلزمة للعلم بكل أنواعه"[2] و من هذه المعارف أن يكون عالما بفنون المكاتبين عند من يكتب عنه وما يليق بهم من الأدعية حسب ما تقتضيه مرتبة من مراتبهم فينزل كل واحد منهم المرتبة اللائقة به، كبراعة الاستهلال بذكر الرتبة أو الحال أو اللقب أو الاسم و الكنية بحيث لا يكون المطلع عليها بعيدا عن هذه الأحوال، ثم سيتصحب ما يناسب الغرض و يوافق القصد و أن يراعي المناسبة و ما يقضتيه الحال، و أن يتخير الكلام و المعاني بما يشيع و يذيع" [3] و تلك الغاية لا تدرك إلا إذا ملك ناصية البلاغة و عارضة البيان حيث يكون منها بأعلى رتبة و أسمى منزلة. و لا يكون له ذلك إلا إذا كانت له معرفة عامة بعلوم النحو فهو قانون اللغة و ميزان تقويمها والبلاغة لا تأتي إلا عن طريق الإعراب و التصاريف و الأبنية[4].

و على الكاتب لدى الخليفة او السلطان ان يحسن التأليف و يزيد المعنى بالشرح والوضوح ، لأن سوء التأليف يؤدي إلى التعمية [5] و في هذا السياق نقل أبو

---

(1) ابن قتيبة الدينوري، كتاب عيون الأخبار ، بيروت ، 1965، مجلد1،ص46.

(2) القلقشندي، المصدر السابق،ص54.

(3) النويري ، المصدر السابق ج 7 ص 30–34

(4) ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، بيروت ، 2004 ، ص 19–20

(5) العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر القاهرة 1971 ص 167

هلال العسكري عن العتبي قائلا" الألفاظ أجساد و المعاني أرواح ، و إنما تراها بأعين القلوب فاذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة و غيرت المعنى ، كما لو حول الرأس إلى موضع اليد أو يد إلى موضع رجل ، لتحولت الخلقة..."[1] فكل ما يكتب عن الخليفة أو السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعاته وأثارها في الإحسان و الإساءة و الاجتهاد و التقصير لان بها يرتاح قلب المطيع ويرتاح قلب العدو.

و نعتقد أن الملكات البلاغية و النحوية غير كافية ، فكاتب السلطان يجب أن يكون حافظا للقران الكريم و السيرة النبوية الشريفة و لابد له من النظر في جمل الفقه و معرفة أصوله من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحابته رضوان الله عليهم ، لان معرفة الأحكام السلطانية من الإمامة و الإمارة و القضاء و الحسبة يضفي على المكاتبات السلطانية الشرعية اللازمة . كما يحتاج إلى ثقافة تاريخية واسعة بأخبار الناس في القديم و صدر الإسلام و الإطلاع على الكثير من العلوم والهندسة و الحساب و الكيمياء و الطب و الفلك و الفلسفة و المنطق ليدعم به ثقافته ومعارفه[2] . و قد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم"[3] و كل فن و إلا لا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة لان الاستكثار من العلوم و الإلمام بموادها هو طريق الوصول إلى صناعته[4].

و لعل من الشروط الواجب توفرها في الكاتب أن يكون متقنا لبعض اللغات

---

(1) العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله ، نفس المصدر و الصفحة.
(2) القلقشندي المصدر السابق ج 1 ص 146
(3) نفس المصدر ، ص 40
(4) النويري ، المصدر السابق ج 7 ص 34

الأجنبية لان ذلك ضروري في العلاقات مع الدول الأجنبية خاصة لان كاتب السلطان هو الذي يطلع على أسرار الملك و يترجم عن إرادته ، و استكتاب أجنبي بسبب عامل اللغة يشكل تهديدا للدولة . و من هنا استوجبت الضرورة أن يكون كاتب السلطان أو بعضهم على الأقل على دراية بلغة الكتب التي ترد على سلطانه ليفهمها و يجيب عنها من غير إطلاع ترجمان عليها " فانه أصون لسر ملكه و ابلغ في بلوغ مقاصده" [1] و إلى جانب هذا لا بد أن يكون ذو كفاية سياسية لان الخليفة يلجأ في أحيان كثيرة إلى رأي كاتبه الخاص لاستشارته في كل كبيرة و صغيرة من اجل تدبير أمور الحكم ، و لذلك اشترط أن يكون أمينا موثوقا به ذا رأي صائب لا تحوم حوله الضنون فبرأيه يراعى قوام الدولة لان أول أدوات الكتابة العقل و في ذلك يقول ابن شهيد"... قد وجدنا من ينسب العقل إلى سهل * أكثر من نسبته إلى الجاحظ**)[2].

---

(1) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص .165

* سهل بن هارون .كان خازنا لبيت الحكمة في فترة حكم المأمون بن هارون الرشيد .كان لا يضاهيه احد في الأدب و الحكمة و الأمثال، أدبيا، ذكيا، توفي سنة 215ه/830م.شوقي ضيف.العصر العباسي الأول القاهرة، ص526.

** الجاحظ، عمرو بن بحر .ولد سنة165ه ـ و توفي سنة 255 ه ـ/869 م، أديب مشهور، وصلت كتبه إلى الأندلسيين و كان يقصده الكثير منهم للت تلمذ عليه في البصرة .أشهر كتبه:البيان والتبيين، البخلاء، الحيوان، رسائل الجاحظ .ابن حيان ، المجلد الأول ، بن بسام، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص 146، ابن الفرضي المصدر السابق، ص276.

(2) ابن بسام، المصدر السابق،ق1،ج1،ص191–192.

فالكتابة بالنسبة له علم تتطلب المعرفة و رجاحة عقل و التمرس على شؤون الحكم و تدبيرها كما كان يفعل سهل بن هارون حيث استطاع أن يجعل للرشيد ملكا و يدير له حربا، و يعاني له إطفاء جمرة فتنه، مستضلعا في ذلك كله بعقله ،و جودة علمه ، لرأي أن تلك السياسة غير تسطير المقال في صفة غراميل البغال، و غير الكلام في الجرذان و بنات وردان، و لعلم أن بين العالم و الكاتب فرقا" [1].

و كان أول من تلقب في الأندلس بذي ال وزارتين ه و ابن شهيد، إلا انه لم يبلغ منزلة الكتابة في ديوان الرسائل بالرغم من زعمه أن ثقل سمعه أخره عنها، ولكن المصادر التاريخية التي ترجمت له تشير إلى أن مجونه و عبثه و استهتاره هي التي أخرته عن الكتابة السلطانية ، و لذلك صرفوا النظر عنه رغم مؤهلاته.فالملوك يؤثرون في الكاتب العقل و الرصانة على الهزل و المجون، لان كتاب السلاطين بمثابة المستشارين المشاركين في توجيه السياسة و تسيير شؤون الدولة.[2] و عن ذلك الأثر الحسن يصف مرعي المقدسي قلم كاتب السلطان قائلا : "لا زالت أقلامه جارية بمصالح البلاد والعباد، موقوفة على نهج الإصابة والسداد..."[3]، فكاتب السلطان كان يقوم بدور الوسيط و المرشد و الموجه بعقله وعلمه، فبالرأي ينال السلطان ما لا يناله بالقوة و الجنود.[4]

---

(1) ابن بسام ، نفس المصدر و الصفحة.

(2) ابن شهيد الأندلسي، التوابع و الزوابع، تحقيق بطرس البستاني ، بيروت ، 1967 ، ص ص22–52.

(3) المرعي المقدسي، المصدر السابق، ، ورقة رقم20.

(4) ابن قتيبة عيون الأخبار، المصدر السابق، ص 27، ابن سماك العاملي، المصدر السابق ص40.

و يشترط كذلك في الكاتب لدى الخلفاء و السلاطين الالتزام بأعلى درجات الأدب، كالتحلي بالهمم الشريفة و الإخلاص و الصبر و التجلد و النصيحة و شكر النعمة و الوفاء و الإخلاص للسلطان عند إقبال دولته و في حال توليها، وبالمناسبة نذكر أن هناك العديد من الكتّاب قتل مع ولي نعمته من الخلفاء و السلاطين في فترة الاضطرابات و الانقلابات .و من الشروط كذلك التمسك بآداب الخدمة والمواظبة عليها. وأن يكون قوي النفس، حلو اللسان، بشوش ا، حليما، قادرا على كتمان السر، و أن يكون في مستوى المهمة الخطيرة الملقاة على عاتقه، لأن صحبة الخليفة أمر عظيم ، و صاحبه راكب خطر جسيم .[1] ونظرا للمهام التي كان يقوم بها كوسيط بين السلطان و حاشيته ، وصف هذا الدور الذي تقوم به أقلامه صاحب بديع الإنشاء قائلا :" لازالت أقلامه تجرى بالسعادة و السعود، وتبعث الأماني البيض من الخطوط السود، و تضرب سحب إحسانها هفات الآمال تجود"[2].

و أضاف بعض الكتّاب شروطا تتعلق بالمظهر الخارجي للكاتب لدى السلطان، إلا أننا نرى فيها الكثير من المبالغة، و البعيدة عن المنطق ك أن يكون كثيف اللحية ، معتدل القامة، صغير الهامة، وزعموا أن صاحب هذه الأوصاف ذكي و فطن .و قد سجل صاحب الذخيرة فـي محاسن أهل الجزيرة نصا نقله عن ابن شهيد الكاتب الأندلسي الشهير رسم فيه بأسلوب تهكمي الصفات التي كانت عائقا أمام بعض الكتّاب الكبار من الوصول إلى مرتبة الكتابة السلطانية فسهل كان كاتب سلاطين أما الجاحظ، فكان صاحب الدواوين على الرغم من انه وحيد

---

(1) ابن قتيبة ، نفس المصدر، ص19.

(2) مرعي المقدسي ، المصدر السابق ، ورقة رقم 30.

عصره بالبلاغة ، لم يبلغ شرف المنزلة بشرف الصنعة و الجاه مثل ابن الزيات وإبراهيم بن العباس والسبب في ذلك جحوظ عينيه قعد به عنها، كما قصر بي أنا فيها ثقل سمعي وبأبي القاسم ورحم أنفه إذ " لا بد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه، وأذن ذكيه تسمع منه حسه، أنف نقي لا تذم أنفاسه عند مقاربته لهم"[1].

و على الكاتب أن يكون نقي الجسد و الثياب، و هي من شروط مظهر كاتب السلطان بحيث يكون "طيب الرائحة، سليم آلات الحواس ، نقي الثوب و لا يكون وسخ الضرس، منقلب الشفة ، مكحل الاظفور وضر الطوق"[2]. لأن الملوك ترى بأن الذي يهمل نفسه كان لغيره أكثر إهمالا .

تلك هي الشروط العلمية و الأخلاقية و الهندامية الواجب توفرها في الكاتب ، و التي يشترطها الخليفة على الخصوص من ثقافة واسعة ، و تهذيب في الذوق ، و حلم و أناة ، و ذكاء و قدرة على تصريف الأمور ، وإحسان للجواب ، ولباقة في الخطاب ، و بلاغة في الكلام ، و مقام وظيفته الشريفة من الأسباب التي لا تسمح له و لأمثاله بالتقصير في الخدمة السلطانية[3].

---

(1) ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق1، ج1، ص191، رسالة التوابع و الزوابع، ص51.

(2) نفس المصدر و الصفحة.

(3) الجهشياري، الوزراء و الكتّاب، مصدر سابق، ص77.

3. مهام الكاتب و رسوم الكتابة:

لعل من أهم ما يتعلق بشخصية الكاتب و الأعمال الإدارية المنوطه به هو ما تخطه يمينه من الرسائل البديعة الصادرة عن ديوان الإنشاء على لسان الخليفة الأموي إلى مختلف الجهات بأنواع الأوامر و النواهي، و هذا في الواقع هو العمل الرئيسي للكاتب و اختصاصه الأساسي، فالوظيفة الأساسية للكاتب هي تحرير الرسائل الرسمية التي تحمل في طياتها أنواع الأوامر و القرارات التي يريد الخليفة إنفاذها إلى من يريد مخاطبته من الزعماء و الملوك خارج دولته، أو إلى مختلف العمال و الولاة و القضاة و أصحاب الأشغال و غيرهم داخل البلاد.وكانت تتم هذه العملية في ديوان الإنشاء و قد مر بنا ذكره ، حيث يعمل الكاتب على تحرير الرسالة و كتابتها بنفسه، أو يعمل على إملائها على احد مساعديه فيكتبها[1].

إن عمل كاتب السلطان الرئيسي لم يقتصر على تحرير الرسائل المتسمة بالبلاغة فحسب بل كذلك يتسلم الرسائل الواردة إلى الخليفة، فيعمل على قراءتها عليه و استشارته حول نوع الرد عليها، هذا م ع إشراف الكاتب الرئيسي على مراقبة صغار الكتاب في الديوان و الإشراف عليهم في كتاباتهم الثانوية التي يقومون بها[2].

و قد تعددت اختصاصات الكاتب و تنوعت مهامه بالإضافة إلى عمله الرئيسي من تحرير الرسائل و إنشاء المخاطبات الرسمية ، و هذا يعود إلى

---

(1) القلقشندي ، المصدر السابق، ج5، ص144.

(2) نفس المصدر و الصفحة.

شخصية الكاتب الفريدة ، حيث الثقافة الواسعة و سعة العلم بالتدابير السياسية والخبرة في إدارة شؤون المؤسسات الحكومية.

و منذ قيام الدولة الأموية بالأندلس عملت على تقريب الكتّاب و إعلاء مراتبهم ، لما لهم من وظيفة حساسة و مهمة التنسيق و الاتصال بين دوائر هذه الدولة، فتنوعت بذلك مهام الكاتب و تعددت اختصاصاته، و هذا ما نستخلصه من خلال استقراء بعض النصوص من المصادر الرئيسية ككتب الجغرافية و الرحلات وكتب التراجم و الطبقات و الوثائق الرسمية بالإضافة إلى كتب الحوليات الأساسية.

و لعل من أهم المناصب التي تسلمها الكاتب هي الوزارة، و لم يكن هذا من بدع الأمويين في الأندلس في نظم الإدارة و الحكم.فلقد لزم لقب الوزير عند بعض دول المغرب الإسلامي و غيره الكاتب المتولي رئاسة ديوان الإنشاء، فمثلا عند الإخشيديين لا نقرأ عن شيخ كتابهم م لقبا إلا بلقب الوزير، و ما ذلك إلا لتقدم الحضارة و شيوع لقب الوزير في نواحي الدولة، كما أصبح رئيس الكتّاب في الدولة العباسية و في كل الممالك الأخرى لعظم شأنه وزيرا مستشارا للخليفة أوالملك أو السلطان ، و بلغ من المكانة ما لم يبلغه رئيس الجند[1].

و يصف لنا بعض المتخصصين في تاريخ و أدب الأندلس تلك المنزلة التي كان يحضى بها كاتب الإنشاء.

---

(1) م.حمود مصطفى، الأدب العربي بمصر من الفتح إلى نهاية العصر الأيوبي، القاهرة ، 1967، ص133 ص– 190.

و ما كان يعتلي من مناصب مرموقة عالية فيقول :"...و لقد زاد من مكانة الكاتب أن يصل في بعض الأحيان إلى مرتبة الوزارة، لما يبديه من البراعة من تصريف الأمور أو لما يكون من المواهب "[1] كما اقترنت الوزارة في المغرب والأندلس مع الأدب و البيان، فكان الوزير كاتبا و شاعرا ، و كان أشهر الكتّاب والشعراء وزراء ، و كانت الشهرة بالكتابة و الشعر و فنون الأدب و فروع العلوم من وسائل الوصول إلى منصب الوزارة، كما ظهر في الأندلس طائفة من الرجال الذين تربعوا في مناصب الملك و تقلدوا مراكز الدولة و كانوا جميعا من الأدباء والعلماء و الكتّاب.[2]

و لابد من التنويه بأنه في كثير من الأحيان كان يطلق لقب الوزير على الكاتب تشريفا له و تعظيما و ليس بالضرورة أنه يقوم بمهام الوزير.

إن هذا التداخل بين الوزارة و الكتابة نجده في بداية الدولة الأموية في الأندلس و تحديدا في عصر الإمارة، إلا أن الدولة في بداية عهدها و نشأتها لم تتخذ الرتب و الألقاب و لم يكن ذلك إلا بعد استقرارها ، و هذا ما نلمسه من خلال المصادر التاريخية ، كتب ابن خلدون يقول"...لم يكن عندهم من الرتب غير الوزير ، فكانوا أولا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره كابن عطية، و عبد السلام الكومي ، و كان له مع ذلك النظر في الأشغال المالية"[3].

---

(1) محمد رضوان الداية ، الأدب الأندلسي و المغربي، دمشق، 1980، ص33.

(2) إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، القاهرة ،(د.ت) ،ص300.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص253.

و أشار إلى ذلك صاحب كتاب المعجب "...فإنها لم تستمكن في مقام الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب و تميز المراتب و الخطط الملوكية إلا في أواسطها لما استفحل أمرها، فلم يكن لهم من المراتب إلا الوزير، و كانوا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف التصرف العام، المشارك للسلطان في الرأي الخاص"[1] ، و قد جرت العادة بعد التشريف بلقب الوزير أن يتبع بحظوة و رزق معلوم بالإضافة إلى راتبه الشهري الذي يتقاضاه الكاتب، هذا في داخل قصر الخليفة، أما في خارجه فقد نال الديار الفاخرة و البساتين ، و من أمثلة ذلك الكاتب عبد الرحمن الزجالي كاتب الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي امتلك حيرا* خارج باب اليهود بقرطبة و هو من أجمل الأماكن" به جابية ، كل لجه بها كابية، قد قربصت بالذهب و اللازورد"[2].

تابع الخليفة الحكم المستنصر بالله نهج أبيه في تكريم كتّابه الخاصين، فصاحب الكتابة العليا وزيره الحاجب المصحفي**نال حظوة كبيرة فأصبح من

---

(1) عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص266–267.

*الحير: هو مكان يجتمع فيه الماء، و هو هنا المقصود به البستان .المنجد في اللغة و لإعلام.ص365.

(2) المقري، المصدر السابق، ج2، ص161.

**هو ابو الحسن جعفر بن عثمان، استكتبه الناصر ورقاه في المناصب الكبرى مثل النظر في أعم ال جزيرة ميورقه و كذا الشرطة الوسطى ابن الآبار . المصدر السابق، ج 1، ص257. كان من آهل الأدب و العلم .تقلد الوزارة قتله المنصور ابن أبي عامر سنة372هـ/972م في السجن.

كبار رجال دولته، و كان مقدما في صناعة الكتابة، و جمعت له الكتابة الخاصة والكتابة العليا، كما تقلد الحجابة ، و قد سبق له أن أدب الحكم المستنصر مما أزلفه وأكرمه.

وفي ذلك يقول ابن خاقان " و عنه كان يسمع و يبصر فأدرك بذلك ما أدرك، و نصب لأمانيه الحبائل و الشرك " [1]. كانت له منية بغربي قرطبة، لكنها آلت بعد نكبته إلى الحاجب المنصور.

و لقد كانت الوزارة في هذه المرحلة تعتبر مجرد وزارة تنفيذ [2]، دون أن يكون للكاتب استقلال بالقرارات ذلك لأن الخلفاء الأمويين أحكموا قبضتهم على مقاليد الأمور، و أشرفوا بأنفسهم على أحوال البلاد، و من هنا كان الوزراء منفذين لأوامرهم، فلم يكن للوزير أو الكاتب نفوذ سياسي كما كان في كثير من الممالك، إلا ما كانا يبديانه في شؤون الدولة من المشاورات كالعمليات العسكرية و غيرها بصفتهم طرفي نقاش، إلا أن صاحب الإحاطة يورد لنا إشارة من أن ابن عطية " فوّض إليه – أي الخليفة – النظر في أموره كلها، فنهض بأعباء ما فوض إليه وظهر فيه استقلاله وغناؤه... و كانت وزارته زينا للوقت و كمالا للدولة"[3].

---

(1) ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، المصدر السابق ، ص 56.

(2) يقسم الماوردي الوزارة إلى قسمين: وزارة تنفيذ و وزارة تفويض، فاختص وزير التنفيذ بتنفيذ أوامر الخليفة، الذي يشرف على جميع تصرفاته و أعماله . و اختص وزير التفويض بتدبير شؤون الدولة تبعا لرأيه و سلطته بتفويض من الخليفة . الماوردي، المصدر السابق، ص22–29.

(3) ابن الخطيب ، الإحاطة ، مصدر سابق، ج1، ص128–134.

و لا يعلم هل كانت وزارته وزارة تفويض فعلا حسب ما قرره الماوردي سابقا؟ أم انه قصد بها القيام المثالي بأعباء الوزارة نظرا لخبرته الإدارية كونه كان من الموظفين و الكتّاب السابقين.

و من المهام الأخرى و الاختصاصات التي يضطلع بها كتّاب الدولة الأموية كتابة نص البيعة، ثم إلقائها على الوفود المبايعة، و كان لهذه المبايعة صيغة خاصة يلقيها الكاتب من على المنبر و هي " تبايعون أمير المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من السمع و الطاعة في المنشط والمكره و اليسر و العسر، و النصح له ولولاته و عامة المسلمين، هذا ما له عليكم، و لكم عليه ألا يجمر بعوثكم و ألا يدخر عنكم شيئا مما تعمكم مصلحته، وأن يعجل لكم عطائكم ، و ألا يحتجب عنكم، أعانكم الله على الوفاء، و أعانه على ما تقلد من أموركم "[1]. وهذه الصيغة عادة ما تكون مثقلة بتعابير البراءة من الله عز وجل و من رسوله صلى الله عليه واله و سلم، و أن جميع نسائه طوالق و ما يملك من إماء و عبيد أحرار لوجه الله و كل ما يملك من ثروة فهي لفقراء المسلمين، و أن يحج إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ماشيا من مكانه هذا إن نكث البيعة أو بدل ولائه لأمير المؤمنين.

كذلك كان الخليفة الأموي يوكل أحيانا مسالة التحقيق مع بعض العمال والولاة على الأقاليم إذا بلغه عنهم سوء تصرفهم مع الرعي ة، أو ظلمهم للناس أو تبذيرهم لأموال بيت المال و الإسراف في إنفاقها، يكل إلى بعض الكتّاب التحري في المسالة و محاسبة هذا الوالي أو العامل على ذلك ، من ذلك ما قام به الخليفة عبد الرحمن المستظهر بالله من تعيين الكاتب ابن برد الأكبر مع بعض الموظفين

2ابن حيان، المصدر السابق، ج2 ، ص230.

لمحاسبة عمر بن عبد الله الأمير على اشبيلية ، لمحاسبته و الوقوف على عمله، لما بلغه من ظلمه وجوره.كتب ابن عذاري يقول" ...فابرز لمحاسبته أبا محمد ابن يحي و أبا عبد الله الكاتب و كان تحت نظرهما من كتّاب الجهات نحو خمسين كاتبا ، و أقاموا في نسخ و تقييد، و تبييض و تسويد، واكباب على بحث و تنقيب، و تصديق بعض و تكذيب" [1] و يحضر جلسة التحقيق هذه و يشهد عليها مجموعة من الفقهاء و القضاة و يكتب محضر في ذلك يشار فيه إلى تاريخ اليوم و الشهر والسنة، و قد تستمر هذه الجلسة أياما معدودة.

و في بعض الأحيان يناط بالكاتب بالإضافة إلى عمله في مجال القلم والإنشاء، قيادة الجيوش المتوجهة للقيام بقمع حركة تمردية أو مواجهة جيش معاد أو القضاء على شغب مدينة أو مقاطعة ، أو مرافقة بعض القادة الكبار أثناء ذلك، كأن يكون ولي العهد، أو الخليفة ذاته .من ذلك ما حدث مع ابن مرهون الكاتب على عهد الخليفة المستكفي بالله لما خرج عليه بعض المنتزين و تمردوا على طاعته، فنجده أوكل قيادة الجيش إلى الوزير الكاتب أبي جعفر بن هارون و في ذلك يقول ابن عذاري"...و حين بلغ الخليفة خروجهم على غير طريقه ساء ظنه بهم، فوجه في الحين ابن هارون ليصدهم عن تعديهم، و يردهم عن التغيير الذي يرديهم فوصل ابن هارون فوجدهم قد أحدثوا أحداثا و قتلوا ...فنفذ لهم من الله القضاء، و حق لهم من الحسام الاقتضاء، فقتلوا و صلبوا" [2].

و لم ينفرد ابن هارون في قيادة الجيش على صفته وزيرا فقط ، و لم ينفرد بالوزارة دون الكتابة إذ نجده في هذه المدة بالذات يمارس أعمال الكتابة ،

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، مصدر سابق، ص224–225.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، المصدر السابق، ص51.

إذ لما انقضت المعركة أمر الخليفة بالكتابة و الإعلان عن هذا النصر، حيث يقول في ذلك ابن عذاري " ...فلما أكمل غرضه و اهلك الله من بغى عليه و تفرغ ذهنه، وظهر له من الله عونه، أمر الوزير الكاتب، بالكتب إلى جميع البلدان فكتب بما لا يجال معه من الفصاحة و البلاغة في الميدان، و شرح حالهم ." [1] و يبدو واضحا من خلال هذا النص أن الوزير تولى المنصبين الوزارة و الكتابة.

و كانت هناك مجموعة من الرسوم السلطانية الخاصة بالكاتب، فاقتضت مثلا أن يكون له مجلس خاص بديوان الرسائل أو ببيت الكتابة، و يكون له فراش الوزارة[2]. و يفترض أن يزود بدواة و كرسي و مسند ومخدة [3]، و كان عليه الإكثار من التعطير و مواصلة استعمال البخور و المسك و الطيب . و في هذا السياق يصف أحد الكتّاب المراتب الأدبية و التشريفات العالية التي حظي بها صاحب ديوان الرسائل قائلا " فنعمنا الشريفة اقتضت حكمتها أن تضع كل شيء في محله، و فضلنا المنيف أبى أن يكون إلا لأهله ، وسرنا المصون، بخل أن يجلس إلا في صدور الكرام الكاتبين." [4]

و كان من المعتاد أن يجلس أهل الخدمة السلطانية عند حضور الخليفة في الأعياد و الاحتفالات و عند قدوم سفارات الوفود الأجنبية من ملوك النصارى

---

(1) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص51.

(2) ابن القوطية، المصدر السابق، ص97.

(3) القلقشندى ، ج1، ص102.

(4) تقي الدين أبي بكر بن حجه الحنفي الحموي ، قهوة الإنشاء، مخطوطة ، تاريخ النسخ 840هـ/ 1462م ، رقم 1898 المكتبة الوطنية، الحامة ، الجزائر، ورقة رقم3.

المسرحيين كل حسب مرتبته ، و كانت مرتبة الكاتب الخاص هو جلوسه عن ذات يمين الخليفة [1].

و كانت للكاتب لدى السلطان عطلة مرتبطة برسم تعطيل الخدمة في الديوان يوم الأحد، و مضوا على هذا الرسم إلى عهد الخلافة .و كان المسلمون في الأندلس اتخذوا يوم الأحد عطلة الأسبوع و هو تقليد قديم يعود إلى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأول، و كان أول من سن هذا التقليد كاتب الأمير محمد قومس بن انتنيان . مما دل على مدى تأثر المجتمع الإسلامي في الأندلس بالنصارى المستعربين في رسوم حياتهم و مثل ذلك رأيناه أيضا في اصطناعهم للأعياد النصرانية و كان لديوان الرسائل مجموعة من الرسوم الإدارية و كذا الرمزية و هو ما سوف نعمل على بيانه من خلال استجلاء التكامل داخل نظام رسوم الكتابة السلطانية و كتابها.

(1) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق حجي، ص81 ، ص136، ص230.

أ. رسوم تعيين الكاتب:

كان يسبق قرار تعيين كاتب الخليفة مجموعة من الرسوم الإدارية منها إجراء اختبار قدرة و كفاءة ومهارة للكاتب في الأمور البلاغية، فان اثبت جدارته نال منصبه، وعادة كان هذا الرسم من اختصاصات الخليفة، الذي يمنح له قبوله صك سلطاني في شكل ظهير أو أمر [1]. مؤرخ يتم بموجبه تقليد كاتب السلطان الذي يكون محلّفا و يؤدي اليمين قبل مباشرة عمله مثل أمر عبد ال رحمن الناصر المؤرخ سنة 344 هـــ الذي أصدر بموجبه تقليد الكتابة السلطانية وتوزيعها على أربعة من وزرائه . هذا و لقد كانت هذه الرسوم جارية على معظم الخطط والوظائف الكبرى في الدولة الأموية في الأندلس كالحجابة و القضاء والولاية وغيرها.

ب. رسوم الكتاب السلطاني:

حرص الخلفاء الأمويون بالأندلس على الشكل والمضمون في رسائلهم و قد وضعوا شروطا ألزموا جميع الكتّاب التقيد بها ، ومن هذه الرسوم أن تكون الكتب من الخلفاء و إليهم و إلى الرؤساء بأكمل الخطوط وأبينها و أحسنها.[2] و يراعى المداد و يميز الرق فيحسن اختياره ، ولا يستثنى أحد من هذه التعليمات سواء ولاة الكور و قادة الثغور من إتباع هذه الرسوم، فمن أرسل كتاب إلى دار الوزراء بقرطبة في رق رديء أو مداد دبيّ ، أو كان خطه غير جيد، آو في عبارته لحن

---

(1) ابن القوطية ، المصدر السابق، ص97 ، ابن حيان ، تحقيق ملشور ، ص39–40.

(2) ابن السماك العاملي، رونق التحبير، ص53.

وما شاكل ذلك، فلا ينظر في طلبه، بل سيعاقب بالعزل و إغرام المال.[1]

و كان رسم كتابتها أن تكون الأسطر ممتدة إلى سطح البطاقة الأيسر و أن تكون أسفل الأسطر في البطاقة، ينقص من سطر البسملة الربع أو نحوه و أن تكون الكتب من الملوك و الرؤساء في عرض البطاقة، و أن تكون الكتب من الملوك و الرؤساء إلى من دونهم في طول البطاقة .[2] و ينبغي للملك أن يكرم صديقه أو من يكتب إليه عن أن يكتب إليه في ظهر كتابه أو ظهر غيره، إلا من الضرورة القصوى و تكون تسوية البطاقة على وجهين، و أن تسوى الجهة الواحدة منفردة ثم تقاس عليها الجهة الأخرى.[3] و كان الوزراء يطالعون بآرائهم إلى الأمير في بطاقة، لكن وزيره النضر بن سلمه طالعه برأيه في أمر ما في ورقة، فلما وقف عليها الأمير عبد الله لم يعجبه ذلك فكتب له :

أَرَبْتَ يَا نَضْرُ أَبَهْ لَغَيَّبْتَ تُوجَى لِفَاقَهْ

إِنَّمَا أَنْتَ عُــدَّةٌ لِلْخَرِيفِ وَ مَاقَهْ [4]

و لم تتميز الرسائل السلطانية من حيث الأركان و العناصر المكونة عن ما هو معمول به في باقي الدول الإسلامية . و هي: البسملة و التصلية على رسول الله الكريم صلى الله عليه وعلى اله و سلم و على صحبه و البعدية (أما بعد) ،

---

(1) ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق1، م1، ص93.

(2) ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص53.

(3) نفس المصدر و الصفحة.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص154.

ذكر المرسل و المرسل إليه و الدعاء لهما، التحية و التحميد ، و الغرض من الكتاب ، و الخاتمة و تاريخ الكتاب و تختم بالسلام و الدعاء .و يورد ابن عذاري في البيان المغرب نموذجا لذلك هو عبارة عن كتاب عبد الرحمن الناصر إلى الولاة عندما لقب نفسه الخليفة أمير المؤمنين . [1] في حين أن القلقشند ي بعد معاينته للرسائل السلطانية في الأندلس وجد فيها سمات تميزت بها عن بلاد المشرق. ومن أهم هذه الميزات التي طبعت أسلوب كتّاب الرسائ ل في المغرب والأندلس، ميزة ميم الجمع، و يقصد بها تكريم المكتوب إليه و إجلاله و استعمال عبارة (إنا كتبنا إليكم كتب الله لكم). ذكر الخليفة الداعين له بعبارات الترضية ، ذكر المكتوب إليه باسمه ضمن الرسالة .[2] و لقد جاء في كتاب الحلل الموشية نص في غاية الأهميۃ مفاده أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله بعد مرور عام على تلقبه بلقب الخليفة " نفذ كتابه أن يكون الخطاب كله جوابا بالكتابة عنه (بالهاء) التي هي كناية الغائب "دون الكاف" التي هي كناية المخاطب مفرقا بينه و بين من هو دونه ، وأن يلتزم ذلك أهل المملكة ...تعظيما لقدره و إكبارا لمحله فجرى الرسم بذلك ." [3]

و لا بد من الإشارة إلى أن الانقلابات السياسية و الاضطرابات التي طرأت على الأندلس مع بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، و تحديدا

---

(1) ابن عذاري ، البيان المغرب، ج 2، ص198–199.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص30–36. سامية جباري، أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس، من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة . رسالة ماجستير غير مطبوعة ، جامعة الجزائر.معهد اللغة العربية و آدابها، سنة1999–2000.ص165.

(3) مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص32.

عندما اندلعت الفتنه سنة 399 هـ/1009 م ، أدخلت ميزات أخرى على الكتابة وتأثرت بها ، حيث تميزت بالتدني و التدهور و أصبحت تتماشى مع الظروف ولا تعبر بالضرورة عن القناعة و الرضاء و الإيمان الصادق بما يكتب الكاتب .فقد تدهورت كافة الخطط و أصبحت عبارة عن زخرفة لفظية مسطرة . لذلك تدنت خطة الكتابة السلطانية و كتابها و رسومها.ومن الأمثلة على ضعف شخصية كتاب الخلفاء الذين أصبحوا ألعوبة في يد حكام هذه المرحلة التاريخية الحرجة . مستهدفين و مذمومين من قبل العامة، الكاتب ابن برد الأكبر و كان يعتبر من أقطاب النشر السلطاني و له حظ وافر من الأدب و البلاغ ة و قد تولى ديوان الإنشاء بعد ابن الجزيري في الدولة العامرية – حيث قام بأمر من الخليفة هشام المؤيد و تحت تهديد بالقتل بسيف الحاجب عبد الرحمن (شنجول) بإصدار مرسوم ولاية العهد [1] لهذا الحاجب بشهادة و إمضاء القاضي بن ذكوان.*

و لعل من أوضح المواقف التي أبرزت رضوخ كتّاب السلاطين لمنطق القوة وسيف السلطة و ضعف و ركاكة الأسلوب و اللغة و البيان، ما ورد عن صاحب الذخيرة حول عقد البيعة للكاتب المذكور آنفا ابن برد الأكبر باسم سليمان الملقب بالمستعين حيث يقول " و كان أحمد بن برد قد تقدم في عقدها باسم سليمان

---

(1) الحميدي، المصدر السابق، ق1، ج1، ص91–92.

* هو أبو العباس احمد بن عبد الله بن ذكوان : اشتهر بالعلم و الفضل كان مستشارا للحاجب المنصور و يعول عليه في معظم أموره و حتى تدبير الملك .لقب بقاضي القضاة و كان أول من تسمى بهذا الاسم في الأندلس توفي سنة 413 هـ/1035م. النبلهي ، المرقبة العليا، ص115.

بن المرتضى فبشره و حك اسمه، و كتب اسم عبد الرحمن (المستظهر بالله *) مكانه.[1]

و لقد ازداد أمر الكتابة السلطانية تدهورا و انحطاطا عندما أصبح يرتقي إليها من لا يفقه شيئا و لا تتوفر فيه الشروط التي سبق لنا ذكرها ، فابن بسام يخبرنا بأن الخليفة المستكفي ** كان يقول للناس أجمعين ارتاعوا كيف شئتم وتسموا بما أحببتم من الخطط . فتسمى بالوزارة في أيامه مفردة و مثنا ة أراذل الدائرة وأخابث النظار، فضلا عن زعانف الكتاب و الخدمة".[2] و يبدو من الألفاظ و الكلمات التي استعملها الكاتب تذمره ا لشديد و امتعاضه من الأوضاع التي ألت إليها أمور الكتابة ، و هو نقد جلي لا شك في ذلك .

إن القيمة التاريخية لهذا النص تكمن في صراحته ، حيث جاءت العبارات واضحة لا تورية فيها، بل عكس الأوضاع السياسية و الإدارية المتدهورة التي آلت إليها خطط مؤسسات الدولة من الفوضى و الإرتجال.

---

* المستظهر بالله هو عبد الرحمن الخامس بن هشام ، ولد سنة392هـ/1002م. كان أول من رد الأمر إليه من بني أمية لقب بالمستظهر بعد مبايعته في جامع قرطبة في 16 رمضان414هـ/1023م. و لم تدم خلافة إلا أشهر .قتل في نفس السنة انظر أخباره في الذخيرة ، ق1، م1، ص48–55. ابن عذاري ، ج3، ص125.، المراكشي، ج1، ص105.

(1) ابن بسام ، المصدر السابق، ق1، ج1، ص49.

(2) نفس المصدر، 336.

** المستكفي : هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن ، ولد سنة366– و كان أبوه قد قتله محمد بن أبي عامر في أول دولة هشام المؤيد ، ابن حزم ، المصدر السابق، ص100، الحميدي، ص28.

و كذلك الأمر بالنسبة لابن حيان حيث أورد وصفا مماثلا لأحد الكتبة في تلك المرحلة التاريخية حيث قال " و نعى إلينا فلان الدغل، غازله السل ، كالأفعوان الصل، و كان احد أعاجيب الدنيا في الفجور و الخبث و الزهو و الكبر، و العقوق و الجرأة ، و كان إذا كتب مضطرا يضحك من تأمله ، له في ذلك نوادر محفوظة".[1] و قال في وصف كاتب آخر "و فلان ساذج الكتابة بين الجهل والتخلف...عظيم البطالة و الباطل ، ...فدم الخلقة ، طويل اللحية متهافت، لم يرهف الأدب طباعه، و لا استخرج من كلمة حكمة ".[2]

إن القراءة المتأنية لهذه النصوص تؤكد الدقة المتناهية في الوصف، و هذا شيء طبيعي إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الكاتب ابن حيان كان معاصرا لهم وعرفهم عن قرب أدق المعرفة . وعلى الرغم من أن ابن بسام الشنتريني أسقط أسماء الكتاب المذكورين فأصبحوا مجهولين و ذلك حتى لا يشنع بهم كما صرح هو بذلك و بالتالي يبعد عن نفسه و عن كتابه عيب الذم و الهجاء لان ذلك يتنافى مع أخلاقه.

و بالرغم من ذلك نستطيع من خلال هذه النصوص و غيرها أن نقف عند مستوى الانحطاط الذي بلغته الكتابة السلطانية في الأندلس في هذه الفترة الحرجة من تاريخها ، كانعكاس للتدهور الأخلاقي و الاجتماعي و النفسي و الثقافي لكتّاب السلاطين إبان فترة الفتنة إذ تعد من أهم ما جاء في باب تصوير نماذج الكتاب، وبدورها تأثرت رسوم الكتابة بتداعيات الفتنة.

---

(1) ابن حيان، المصدر السابق، ص456.

(2) نفس المصدر و الصفحة.

و من خلال دراسة بعض النصوص كنماذج يتضح لنا أن رسوم و تشريعات الكتابة الرسمية أصبح لا يتقيد بها من قبل الخاص و العام. و أصبح الخلفاء يقبلون الاعتذار عن رداءة الرق و البشر بل تجاوز ذلك إلى المكافأة بالعطاء و الثناء . وهذه الحالة بكل تأكيد بعيدة كل البعد عن ما كان يجرى سابقا ، حيث يعاقب الكاتب بالعزل وإغرام المال في حال إخلاله برسم من رسوم الكتابة.

و يتضح مما سبق ذكره أن عناية الأمويين بالأندلس بنظام الكتابة و رسومها لم يكن يهدف إلى تزيين الواجهة السياسية فقط و إنما إبراز نخبة من طبقة الكتّاب، و كان وراء ذلك كذلك دافع إقامة مؤسسات إدارية متدرجة حازمة قوية ذات أبعاد إستراتيجية تمثلت تحديدا في التخصص و الانضباط الدقيق لإدارتها مما نتج عنه مجموعة من الدلالات الحضارية أضفت على الأندلس في عصر الخلافة الرخاء والإزدهار.

الفصل الثاني:

صيغ الكتابة السلطانية و أنماطها في عصر الخلافة

أولا: البيانات الإعلامية

1 - إعلان الخلافة الأموية بالاندلس 316هـ/929م
2 - كتاب الخليفة الحكم المستنصر بالله لسنة 363هـ/973م
3 - كتاب الحاجب عبد الملك المظفر لسنة 397هـ/1007م

ثانيا: رسائل التولية في الخطط الديوانية

1 - كتاب تعيين القاضي محمد بن سليم لسنة 353هـ/964م
2 - كتاب تعيين أصبغ بن محمد بن فطيس لسنة 361هـ/971م
3 - كتاب تولية أبي العيش

ثالثا: الكتب الاخوانية

رابعا: كتب عرض الحال (التقرير)

خامسا: كتب الترهيب و الوعيد

صيغ الكتابة السلطانية و أنماطها في عصر الخلافة :

تتعدد الرسائل و تتنوع أغراضها حسب ما تحويه من موضوعات، فهناك الرسائل غير الرسمية أو ما يسمى بالرسائل الإخوانية ، و يكون هذا النوع متبادلا بين العلماء و الأفراد بصفة عامة، و هذه الرسائل تتعدد أغراضها من الأدبية إلى العلمية إلى الدينية و غيرها ، و هناك الرسائل الرسمية أو ما يصطلح عليها بالرسائل الديوانية أو السلطانية ، نسبة إلى الخلفاء السلاطين و إلى أنها تصدر عن ديوان الإنشاء و الكتابة.

و يمكن تعريف الرسائل بصفة عامة بأنها قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لرغبة الكاتب و غرضه و أسلوبه ، حيث يتوخى الكاتب فيها العبارة البليغة و الأسلوب المتين الرشيق و الألفاظ الحسنة و المعاني الطريفة.

ولكن الرسائل الديوانية أو السلطانية فهي الصادرة عن الخلفاء و الملوك ووزرائهم و عمالهم لتنظيم أعمال الدولة ، وتسيير شؤونها ، و من ذلك الرسائل التي يوجهها الخليفة أو الأمير إلى عامل من عماله يدعوه فيها إلى التمسك بالعدل و القضاء به بين الناس ، أو يصرفه عن خدمته أو يوجهها إلى قائد من قواده يرسم فيها الخطة التي يجب أن يسلكها في حربه مع الأعداء ، إلى غيرها من الرسائل على إختلاف أغراضها.[1]

و قد عرف الجاحظ الرسائل بعبارة دقيقة و محددة، و كذلك الأمر بالنسبة لموضوعاتها، و يعرف لنا القلقشندي الكتابة الإنشائية بقوله: " ... المراد به كل ما

---

(1) عبد القادر دامخي، النثر الفني في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دمشق ، 2003.

رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام و ترتيب المعاني من المكاتبات والولايات ، و المسامحات ، و الإطلاقات ، و مناشير الإقطاعات ، و الهدى والإيمان و ما في معنى ذلك ككتابة الحكم و غيرها.[1]

إذن يظهر من تعريف القلقشندي ، أن الرسائل الرسمية هي عبارة عن وثائق إدارية ذات كلام مؤلف و منسجم و مضبوط بمعاني مرتبة لأنواع القرارات الإدارية والأوامر السلطانية إلى مختلف موظفي الدولة و من لهم علاقة كالدول المجاورة.

و هناك من عرف الكتابة السلطانية بأنها ما كانت موضوعاتها تدور حول السلطنة وعلاقاتها برعاياها في الأمور الدينية و الدنيوية [2] أو هي التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة أو السلطان يوجهها إلى ولاته و عماله و قادة جيوشه، بل إلى أعدائه أحيانا " منذرا و متوعدا ".

و تعتبر الكتابة السلطانية من أهم المصادر المساعدة على البحث في ميدان التاريخ و الحضارة ، و ذلك لأن المصادر الأساسية التي يعتمد عليها الباحث في مجال التاريخ و التي تسمى بالحوليات أغلبها يدور حول التاريخ العام السياسي للدول والقادة حيث أصبحت هذه المصادر لوحدها " رغم أهميتها التاريخية " غير كافية لإستيفاء البحث في مختلف مجالاته و من كل جوانبه من التاريخ الاجتماعي ، الإقتصادي و الثقافي و غيرها من الجوانب الحضارية ، و ذلك إما لضياع جزء غير يسير من هذه الحوليات و المصادر الخاصة في حقب مختلفة

---

(1) القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص 45.

(2) الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص 24.

من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بصفة عامة، و حضارة المغرب الإسلامي بصفة خاصة ، أو أن ما هو متوفر منها الآن 2011 م قد لا يفي بالجوانب الخارجة عن نطاق التاريخ السياسي للدول من النظم الإدارية و المنشئات الحضارية، فكانت الكتابة السلطانية من خلال تنوع موضوعاتها الإدارية، الإجتماعية، الإقتصادية والسياسية من بين أهم المصادر المساعدة على تغطية – وإن بصورة نسبية – تلك الجوانب التي تفتقر إليها الحوليات، إضافة إلى كتب النوازل و الفتاوى والوثائق و كتب البرامج و مختلف مؤلفات التراجم و الرحلات.

" فالكتابة السلطانية مبنية على مصالح الأمة و قوام الرعية ، لما تشتمل عليه من مك اتبات الملوك و رعاية الناس في مهمات الدين و صلاح الحال، وبياعات الخلفاء و عهودهم ، و ما يصدر عنهم من عهود الملوك و ما يلحق بذلك من ولايات أرباب السيوف و الأقلام الذين هم أركان الدولة و قوادها، إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء و لا يأخذها الحصر" .[1]

و لأن الكتابة السلطانية تحتوي على كل هذه الموضوعات ، جديرة بأن لا يستغني عنها الباحث في مجال الحضارة بصفة عامة ، و لذلك ذهب العسكري في كتابه الصناعتين إلى إعتبارها أهم شيء تنبني عليه التنظيمات الإدارية و أن هذه الرسائل عليها مدار السلطان و الملك.[2]

---

(1) القلقشندي ، المصدر السابق، ج 1، ص 60.

(2) أبي هلال العسكري، الحسن بن سهل كتاب الصناعتين، الكتابة و الشعر، تحقيق علي البعاد و محمد إبواهيم، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ط1، د.ت ص 136.

لقد حظيت الكتابة السلطانية عند خلفاء بني أمية في الأندلس بعناية كبيرة وأهمية بالغة ، كونها الوسيلة الأولية و الأساسية في الإعلام الرسمي، هذا الأخير الذي أولته الدولة أولوية و إعتنت بوسائله و مستلزماته و إدارته ، هذه العناية التي فرضتها تلك الدولة المترامية الأطراف برقعتها الشاسعة ، فكثر بذلك خراجها وتعددت ولاياتها وتشعبت علاقاتها الخارجية، ففرضت هذه الأمور على حكام الأندلس كثرة الحركات العسكرية و تعددت الفتوح و المعارك ، الأمر الذي يترجم لنا تعدد الكتّاب في إدارات الدولة على إختلاف إختصاصاتهم و مراتبهم.

و قد تعددت مضامين الرسائل و تنوعت أغراضها حسب رتبة و حال المرسلة إليه ، كما درج كتابها على نمط معين في كتابتها ، إلتزم به الكتاب في أغلب رسائلهم ، و يتمثل في:

– البسملة و الصلاة على رسول الله و على آله و صحبه ، و غالبا ما تكون في رأس الرسالة منفصلة عن المضمون.

– ذكر المرسل ثم المرسل إليه ، و الدعاء لكل منهما بما يليق بمقامه وحاله.

– ذكر التحية بعد ذلك و الحمدلة.

– ثم بعد ذكر هذه النقاط يذكر الكاتب البعدية و هي إ شارة إلى الإنتقال إلى بداية الموضوع.

– تناول الموضوع الذي يريد الكاتب تناوله، و تضمينه الدعاء في كل مقام يستدعي ذلك.

– ثم بعد الإنتهاء من الموضوع و الخروج منه ببراعة أدبية يذكر الكاتب مكان الكتابة و الدعاء لهذا المكان بالحفظ و الحماية.

– و بعد الإنتهاء من كتابة تاريخ الرسالة يضع الخليفة ختمه عليها.

و يقسم القلقشندي ، إستنادا على ما توفر لديه من رسائل خاصة بالفترة الأموية بالأندلس، أساليب المراسلات فيقسمها إلى نوعين : رسائل صادرة عن الخلفاء والأخرى واردة إليهم ، و يورد نماذج لهذه الرسائل و بيان أوجه الإختلاف بينهما.[1]

و لم ينحصر أثر المتغيرات السياسية و الحضارية لعصر الخلافة الأموية بالأندلس على نظم مؤسسات إدارة الكتابة السلطانية و رسومها، بل تعداها إلى أنماط الكتابة وما رافقها من مظاهر التأنق في نسقها الأدبي من أساليب وصيغ.

و في هذا المجال لا بد من الإشارة إلى أن تشخيص و إجراء الجانب الفني لهذه الأنماط سيكون ملامسة خفيفة لأن " لا الموضوع و لا التخصص يسمح بالتعمق الدقيق في البناء الفني و ما يتعلق به من أنواع الصيغ الأدبية و دلالات الألفاظ اللغوية التي تتطلبها الدراسة الأدبية الرأسية و الأفقية لأدب الرسائل الديوانية بصفة عامة و السلطانية التي هي واحدة منها بصفة خاصة و لذلك سيكون موضع إهتمامنا و تركيزنا على مؤشرات هذا التطور من حيث ترقيها وتنوع أصنافها دون أن تجاوز تماس نسيجها الفني الذي هو جزء من مظاهرها.

---

(1) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 6، ص 443.

1. البيانات الإعلامية " المعممات "* :

و هي إحدى أنواع المكاتبات السلطانية التي تطورت عن أصلها الذي يرجع إلى أقدم صور الإنشاء الرسمي (السلطاني) في البلاد الإسلامية قاطبة ، و التي يطلق عليها في العادة اسم كتب الإعلام و التبليغ ، التي إكتست أهمية بالغة للسلطة المركزية .وكان هذا النوع من المكاتبات هو السائد في عصر الإمارة الأموية بالأندلس (138– 316 هـ) حيث انصبت على مخاطبة الشخص المعني والموجه إليه الكتاب تحديدا ، و عنه تطور هذا النوع من الكتابة.

و الظاهر أن هذا النمط من المكاتبات السلطانية في عصر الخلافة أصبح ينشر ويوزع في نسخ عديدة – قصد تعميم البيان السلطاني – إلى مجموعة من الناس الذين أصبحوا معنيين بمحتواه . مثال ذلك : كأن يبعث الخليفة إلى ولاة الأقاليم أمرًا أو نهيًا ، أو توضيحًا أو مرسومًا و غير ذلك مما يحتاج إلى تبليغه بغرض الأمر بالعمل على تنفيذه و تطبيق ما جاء فيه . و الجديد كذلك أن هذه المناشير تنوعت من حيث بناء صيغها و أغراض مضامينها ، و سوف نقتصر على ذكر بعض الأنواع منها:

أ. كتاب إعلان لقب الخلافة الأموية بالأندلس 316/929 م :

بعد عصر طويل من الفتنة و التمزق ، و غياب وحدة الأمة ظهرت بين الأندلسيين مفاهيم جديدة للخلافة و نظرة مستجدة لنظام الحكم. فمع إنجازات الأمير

---

* هي أحد أنواع الكتب السلطانية التي تنشر و تعمم و هي لا تقتصر على مخاطبة فرد أو جماعة قليلة ، و إنما تهدف إلى إعلام جمهور من الناس كالقادة و الولاة و غيرهم. علي بن محمد ، المرجع السابق، ج1، ص81.

عبد الرحمن الناصر في مجال إعادة وحدة الأمة ، و إستعادة هيبة الدولة والقضاء على الحركات المناوئة ، و خاصة التي قادها بني حفصون ، و بني حجاج ، وبني ذي النون، ارتفعت مكانته و سَمى قدره بدرجة كبيرة في عيون مواطنيه . ولذلك كثر مؤيدوه بعد سلسلة إنتصاراته الباهرة على إسبان الشمال ، وخاصة بعد معركة خونكيرا و الإستلاء على بانب لونة و تدميرها ، و هي أمور إفتقدها الأندلسيون أيام الأمراء الثلاثة الذين سبقوه.

لذلك أصبح الأمير عبد الرحمن الثالث بعد هذه الإنجازات الكبيرة يبدو في نظر الأندلسيين و كأنه الضمانة الوحيدة لإستمرار هذه الإنتصارات بل و لتزايدها. والأكثر من ذلك أصبح سكان البلاد يعتقدون بأنه أعاد لدولة الإسلام في إسبانيا قوتها و صمودها في وقت كان يخيل للكثيرين أن نهاية الإسلام في تلك الأصقاع آتية في مستقبل قريب ، إن لم يكن بفعل نصارى الشمال ، فبعوامل الفرقة والإنفصال المستشرية من الداخل. و من هنا أخذ الناس ينظرون إلى أميرهم نظرة بطل منقذ حقق لهم و لبلدهم ما لم يعمله قبله أي واحد من الأمراء الأمويين . وهذا قد يفسر لنا رواية مؤلف كتاب ا لحلل الموشية " من أن الناس رغبوا في رفع الأمير إلى سدة الخلافة "[1] بل ربما ناداه الناس بلقب الخليفة ، و أمير المؤمنين تكريما له ، وإجلالا لمكانته حتى قبل أن يقدم هو على إعلان نفسه خليفة للمسلمين.

و في الوقت الذي كان فيه عبد الرحمان الثالث يقطف ثمار إنتصاراته المتوالية في الداخل و الخارج و حب الرعية له و عطفهم عليهم و تأييدهم له بادر

---

(1) مجهول ، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، المغرب: ط 1،1979 م ، ص30–31.

في سنة 316 هـ/929 م إلى إرسال كتاب إلى عماله في الكور و الحواضر الكبرى جاء فيه " بسم الله الرحمان الرحيم، أما بعد فإن ا أحقّ من إستوفى حقه، وأجدر من إستكمل حظه ، و لبس من كرامة الله ما ألبسه ، للذي فضلنا الله به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا إليه ، و يسر على أيدينا إدراكه و سهل بدولتنا مرامه ، و للذي أشاد في الآفاق من ذكرنا و علو أمرنا ، و أعلن من رجاء العالمين بنا ، و أعاد من إنحرافهم إلينا و إستبشارهم بدولتنا ، و الحمد لله ولي النعمة و الأنعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه ، و قد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنا ، وورودها علينا بذلك ، إذ كل مدعو بهذا الإسم منتحل له و دخيل فيه و متسم بما لا يستحقه ، و علمنا أنّ التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه و اسم ثابت أسقطناه ، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به و أجر مخاطب اتك لنا عليه إن شاء الله و الله المستعان، كتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316 هـ." [1]

من خلال قراءتنا للنص السابق يبدو أن معانيه بليغة ، أما صياغته فجاءت سهلة بما يتوافق والألفاظ الصريحة ، فيه توازن للعبارات و مقاطع فقراته . أما فواصله فجاء فيها تـنغيم واضح . بينما السجع جاءت تلوناته بسيطة . مما جعل هذا النص بعيدا عن التعقيد الذي في العادة يعكس مستوى و درجة السجع "...فأنا أحق من إستوفى حقه و أجدر من استكمل حظه.... و متسم بما لا يستحقه " ومنها "... وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعنا ه، و اسم ثابت أسقطناه..." ، لكن الصنعة و السجع جاءت بسيطة لا تحلية فيها عفوية و دون

---

(1) ابن عذاري، بيان المغرب، المصدر السابق، ج 2، ص 198–199.

قصد و بقيت تلك الخصائص إحدى سمات الكتابة السلطانية حتى أواخر عصر الحكم المستنصر بالله [1] كما أصبحت طريقة بناء موضوع الكتاب واضحة من حيث البدء و العرض والخاتمة.

ب. كتاب الخليفة الحكم المستنصر بالله لسنة 363هـ/973 م :

بعد وفاة الخليفة عبد الرحمان الناصر في قصره بمدينة الزهراء في الثاني من شهر رمضان من سنة 350هـ/961 م، أصبح الحكم المستنصر بالله ابنه وولي عهده خليفة من بعده.

اعتلى الحكم سدة الملك ثاني يوم وفاة أبيه ، فكانت مبادرته الأولى ثابتة هادفة صادرة عن خبير بأوضاع البلاد و رجالها ، حيث أنه لم يكن غريبا عن قضايا السلطة و مشاكلها ، و هو الذي تجاوز 47 من العمر ، و سبق له أن دبر العديد من الأمور . و يجمع المؤرخون على أنه تسلم الخلافة دون معارضة من أي جهة كانت، إذ ما كان الناصر قد ترك لمعارض لحكمه و نظامه أي قدرة على التمرد . و المعارض الوحيد للحكم ، شقيقه عبد الله منافسه في العلم و المعرفة ومزاحمه على ولاية العهد ، كان قد قتل قبل ذلك بزمن طويل بتدبير من الناصر و في ظروف يشوبها بعض الغموض.

و كان أول ما قام به هو انفاذه الكتب إلى عمال الكور و الحواضر الكبرى بصيرورة الخلافة إليه ، و دعا الناس إلى بيعته ، و باشر من يومه العمل على ترسيخ سلطانه و ضبط قصوره و ترتيب أجناده . و أول ما أخذ البيعة على

---

(1) احسان عباس، المرجع السابق ، ص 328.

صقالبة قصره الفتيان المعروفين آنذاك بالخلفاء الأكابر [1] ، و في مقدمتهم أحد عظمائهم صاحب الخيل والطراز جعفر بن عبد الرحمان الصقلبي والذي سيصبح سيف دولته[2] ، و أحد اثنين يليان خطة الحجابة في عهده. أدخل بعد ذلك إلى قصره من دون هؤلاء من الكتاب و الوصفاء و المقدمين و العرفاء فبايعوه . ثم أرسل الرسل يدعو الإخوة للمبايعة و كانوا ثمانية و أبناء العمومة و سائر بني أمية ووجهاء العرب والوزراء و كبار موظفي الدولة ، و قعد بنفسه لتلقيها منهم. و تولى عيسى بن فطيس أخذ البيعة من سائر الناس المتوافدين من قرطبة على القصر.

إن الإحتفالات بالبيعة كشفت عن ظاهرة هامة ستميز مجتمع العهد الخلافي بصورة عامة و عهد المستنصر بصورة خاصة ، و هي أهمية الدور الذي صار للصقالبة في المجتمع الأندلسي فهم باتوا مع الخليفة في قصره و من حوله يتقدمون سائر فئات المجتمع بما في ذلك أمراء بني أمية و الأرستقراطية العربية في تقديم البيعة له . ونرى أحدهم جعفر الصقلبي يجمع في يديه اثنين من أهم المراكز القيادية في الدولة فكان صاحب الخيل و صاحب الطراز و أضاف إليهما بعد ذلك وظيفة الحجابة. وهذا يعني بصورة واضحة أن الحكم المستنصر باله قد تبنى سياسة أبيه في إبتعاد الأرستقراطية العربية عن أمور الدولة و الحكم لعدم ثقته بها.و قد تجاوز الحكم أباه في هذا ال خط حيث أعطى الحجابة في عهده لإثنين : صقلبي هو جعفر المذكور آنفا وبربري هو جعفر بن عثمان المصحفي.[3]

---

(1) المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 382.

(2) ابن عذاري ، البيان المغرب، المصدرالسابق، ج2، ص3

(3) المقري، المصدر السابق ، ص387.

و قد وجه كتابا إلى كافة عماله و ولاته في مختلف الآفاق يعلمهم بنصره وظفره في حربه على الحسن بن قنون بعدوة المغرب ، و مما جاء فيه: " بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله المحيط الذي لا يحاط به ، و الظاهر الذي لا يظهر عليه ، الواحد الذي لا يكاثر و القادر الذي لا يقادر ، مقدر الأقدار و مصرف الأعصار ، و مكور الليل على النهار... والحمد لله رب العالمين الذي إصطفى من عباده صفوة ... جعلهم وسائط بينه و بين عباده... ثم ختمهم بأكرمهم عنده مكانا ، و أرفعهم لديه منزلة محمد صلى الله عليه و سلم – أرسله إلى الناس كافة – بدين الإسلام الذي نسخ الأد يان و أظهر فضله لقوله تبارك و تعالى : " إِنَّ الدِينَ عِندَ الله الإِسلاَم "[1]... و الحمد لله الذي إنتخب من دوحته خلائف في أمته حملة لسنته ، و حفظة على شريعته ... والرافع لعلم مناقبهم، أمير المؤمنين... فأيد الله تعالى جنده ، و نصره و أعلاه ، و أظفره بمن قد كان جاهر ه بمعصيةٍ و أعلن مخالفته و تجانف عن طاعته ... حتى استوثقت الطاعة في جميع بلاد المغرب ، وقامت الدعوة بمنابر قواعده،... تعظيم الله عز وجل و تحميده و تمجيده ، و الثناء على رسوله صلى الله عليه و سلم ... و أمير المؤمنين يأمرك أن تقرأ كتابه هذا على منابر عملك، تسر المسلمين بما تضمنه ، ويحمدوا الله عليه إن شاء الله، وهو المستعان ، و كتب في صدر ذي القعدة سنة ثلاث و ستين و ثلاثمئة"[2].

إن الدراسة المتأنية لهذا الكتاب تظهر أنه مفرط في الطول حيث يورده صاحب كتاب المقتبس بأربع صفحات ، إذ ما قورن بالكتاب السابق لعبد الرحمان الناصر ، وعلى هذا الأساس فإن هذا التطويل هو إحدى خصائصه ، أما فقرات

---

(1) سورة آل عمران، الآية 19.

(2) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق حجي، ص 178–182.

نصه توزعت كالتالي:

مداخل التحميدات و العناية بها ، و التطويل فيها . و من أهم مظاهره تأثره بأسلوب عبد الحميد الكاتب الذي لمع في أواخر العصر الأموي في المشرق، والذي كان أول من أطال في كتابة نص الرسائل السلطانية و أكثر من التحميدات . لم يأت استعماله هذه التحميدات عن التلقائية بل أصبحت فنا من فنون الصياغة الأدبية للكتب و الرسائل السلطانية ، فالتحميدات أصبحت المجلى الأول الذي يقف عليه المتلقي في أنساق الرسائل ، وقد اهتم المبدعون اهتماما كبيرا بهذا النوع من فن الكتابة .و قد ظهر بشكل واضح و جلي لدى ضياء الدين ابن الأثير الذي نظر لفن التحميد و جعل من هذا الفن عنوانا لجودة الكاتب و براعته حيث قال: " و من الحذاقة في هذا الباب أن تجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية مناسبة لمعاني تلك الكتب ، وإنما خصصت الكتب السلطانية دون غيرها لأن التحاميد لا تصدر في غيره ، فإنها تكون قد تضمنت أمورا لائقة بالتحميد كفتح معقل أو هزيمة جيش أو جرى هذا المجرى..."[1] و عدُوا القدرة فيه علامة من علامات الحذق كما كانوا يوائمون في نسقه بين الحمد و ما يتصل بغرض الموضوع ، والكاتب لهذا الكتاب هو ابن برد الأكبر ، حيث أكثر و نوع من حيث الغرض والهدف لأن ذلك علامة من علامات تمكنه في صناعة الكتابة السلطانية.

من خلال هذا النص يظهر ابن برد بأنه يملك بيان هذا الفن من خلال الأنواع والأغراض التي افتتح بها في هذا الكتاب:

---

(1) ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ج3، ص108.

فالتحميد الأول مدخل حقيقي ، و التحميد الثاني غرضه ذكر الرسول صلى الله عليه و سلم ، أما التحميد الثالث فغرضه ذكر خلفائه الذين منهم " أمير المؤمنين " أي الحكم المستنصر بالله و كان هذا هو الهدف الحقيقي لكل هذه التحميدات ، و من هنا تبرز لنا جليا الخصائص الجديدة التي لم تكن معروفة قبل هذا الكتاب.

من جانب آخر فلقد حفل هذا النص بالكثير من ألوان الإنسجام * مثل (ثم ختمهم بأكرمهم مكانة عنده مكانا ، وأرفعهم لديه منزلة محمد صلى الله عليه وسلم، أرسله إلى الناس كافة بدين الإسلام الذي نسخ الأديان) و الترصيع** مثل (انتخب من دوحته خلائف في أمته حملة لسنته ، و حفظة على شريعته) ، والبديع*** مثل (فأيد الله تعالى جنده و نصره و أعلاه، و أظفره بمن كان قد جاهره بمعصية و أعلن مخالفته و تجانف عن طاعته) و السجع**** (مقدر الأقدار و مصرف الاعصار و مكور الليل على النهار) التي اكتست بها مقاطع التحميدات لان الفقرات الأخيرة منه كادت أن تكون خالية من كل زينة و زخرفة

---

* الإنسجام سلامة الألفاظ و سهولة المعاني مع جزالتها و تناسبها ، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، بيروت ، ط1، 1999 ، ص 335.

** الترصيع: توازن الألفاظ و توافقها ، المرجع نفسه ، ص 332.

*** البديع : لغة– المخترع الموجد على غير مثال سابق أي بعده عن خترعه و اصطلاحا هو علم يعرف به وجود التحسين من الأساليب التي تزيد الكلام حسنا و طلاوة ...و واضعه عبد الله بن المعتز المتوفي في سنة 274هـ –نفس المرجع السابق ص 298

**** هو توافق الفاصلتين في الحرف الاخير نفسه ص 330

بيانية التي عادة لا يغفلها كاتب سلطان بليغ مثل الحاجب جعفر المصحفي.[1]

فنص الخليفة الحكم المستنصر بالله توسع في شرح نبأ القضاء على تلك الثورة ، والظاهر أن ذلك جاء ضمن الاستراتيجيات التي يهدف من ورائها الخليفة في إعادة الشعور بالأمن إلى البلاد و من ناحية أخرى وضع حد للعاصين والخارجين عن الطاعة ، و لكل من تسول له نفسه التمرد على السلطة القائمة.

ج. كتاب الحاجب عبد الملك المظفر* لسنة 397هـ/1007م :

بعث به إلى عامة الناس حين قتل عيسى بن سعيد القطاع وزيره . و الكتاب بقلم الوزير الكاتب أبي حفص بن برد الأكبر و أهم ما جاء فيه " أيها الناس – وفقكم الله لعصمته و استنقذكم برحمته – إن من علم منكم حال الخائن عيسى بن

---

(1) علي بن محمد، المرجع السابق، ج1، ص 184

* هو أبو مروان بن الحاجب المنصور عبد الملك ولد بقرطبة سنة 364هـ/974 م ابن عذاري المرجع السابق ، ج3، ص 18، تولى الحجابة سنة 392هـ بعهد أبيه و سار على نهجه في الجهاد ضد النصارى و كذا سياسته تجاه عدوة المغرب، نال العديد من الألقاب السلطانية و كان اول من اجتمع له لقبان ملوك الأندلس، أصبحت المراسلات السلطانية في عهده تكتب " من الحاجب المظفر سيف الدولة أبي مروان عبد الملك بن منصور ابن خطيب، أعمال...، ج 2 ص 80، المراكشي، المعجب، المصدر السابق ، ابن عذاري ، ج 3 ، ص 36–37.

سعيد** بالمشاهدة ، و رأى مبلغ النعمة عليه بالمحاضرة ، فقد اكتفى بما شهد واجتزأ بما عاين و حضر ، و من غاب عنه كنهُ ذلك من عوامكم بانتزاع منزل أو لاتصال شغل فليعلم أنا أخذناه من الحضيض الأوهد و انتشلناه من شظف العيش الأنكد..فرفعنا خسيسته ، و أتممنا نقيصته ، و خولناه صنوف الأموال ، وصيرنا حاله فوق الأحوال... فلم يقم لله تعالى بحق ، و لا قابل إحسانه بصدق ، ولا عامل رعيتنا برفق ، ولا تناول خدمتنا بحذق ، بل أعلن بالمعاصي و استذل الأعزة وذوي الهيئات... ونبذ عهودنا و خالف سبلنا...حاول شق عصا الأمة وهدَّ ركن الخلافة والأمانة ...حتى صرعه بغيه ، و أسلمه غدره و أخذه الله بما اجترم...وصار إلى نار الله و سعيره..."[1]

من خلال هذا النص وهو بالأصل كثير الفقرات، يبدو طابع الكتابة السلطانية في ذلك العصر، حيث يعتمد الاسهاب و الإفاضة و التطويل، على عكس ما كان معروفا في عهد الإمارة الأموية في الأندلس 138 – 316 هـ، حيث كان كثير الإيجاز مركزا نحو القصد في التعبير.[2]

** هو أبو الأصبغ عيسى بن سعيد اليحصبي المعروف بالقطاع ، عربي من بني آل الجزيري ، كان أول كاتب للحاجب المنصور ، نال المكانة و الحضوة الرفيعة عنده ، ترقى في المناصب العالية على عهد الحاجب المظفر ، حتى أصبح المدبر لدولته ، فطغى ، فقتل على يد الحاجب عبد الملك المظفر سنة 397 هـ . ابن عذاري ، ج3 ، ص 36–37 ، ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1، ج1، ص 106.

(1) ابن بسام، المصدر السابق، ق1، ج 1، ص103.

(2) إحسان عباس، المرجع السابق، ص 326–327.

وبدأت تظهر ملامح التطور و التغ يي على سمة صيغ الكتابة الرسمية منذ بداية عصر الخلافة الأموية في الأندلس، و استمر بعد ذلك في التطور، خصوصا في هذا النوع حتى بلغت حجما كبيرا من الطول والسعة .[1] واستعملت في هذه النصوص الرسمية كل الصيغ الأدبية و التي كانت واضحة في نص كتاب الحاجب عبد الملك، الذي تميز عن الكتابين السابقي ن من الناحية الفنية، فلقد برز أكثر صرنعة، كما التزم بالسرجع مثال قوله : ".... وخوّلناه صنوف الأموال.

وصيّرنا حاله فوق الأحوال...." و".... لا قابل إحسانه بصدق ، و لا عامل رعيتّا برفق ، ولا تناول خدمتنا بحذق ..." ، أما الازدواج في "...أخذناه من الحضيض الأوهد، وانتشلناه من شظف العيش الأنكد ...".

ولقد وضحت خصائص هذا النص سواء من ناحية اكتمال الأدوات البلاغ يق ، أو نضج الأساليب البيانية ، حيث كشفت عن بصمة شخصية الكاتب ابن برد الأكبر أحد أساطين الترسل الذي ذاع صيته في الأندلس، و الذي نالت الكتابة السلطانية على يده تقدما ملحوظا.[2] و في هذا الصدد يتضح من خلال هذا النوع من النصوص السلطانية ذات الصبغة الإعلامية، بأنه يختلف عن الكتابين السابقين،فهو موجه إلى جميع الناس بدون استثناء . و قد شاع استخدام هذا النمط من الكتب الرسمية في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، خاصة بعد ظهور انعكاسات الفتنة وما أفرزته من عصيان وتمرد على سلطة الخلافة.

---

(1) علي بن محمد، المرجع السابق،ج1، ص 184 .

* الازدواج: هو تجانس لفظين متجاوريْن، نحو من جد وجد، ومن لج ولج، السيد أحمد الهادي، المرجع السابق، ص 330

(2) علي بن محمد ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 185.

ومن الواضح الجلي أن هذه الكتب الثلاثة هي ضرب جديد في الكتابة السلطانية والذي شاع استخدامه خلال عصر الخلافة الأموية بالأندلس، وقد جاءت على نمطين منهما ما هو محدود النشر موجه إلى فئة من قادة النظام ورجالات الدولة كولاة الأقاليم والقادة، ومنها ما هو موجه إلى جمهور الناس ، وكانت تقرأ في المساجد و الأسواق وكان الطابع الغالب عليها لغة التهديد والوعيد والترهيب، أوالشكر والثناء وكذلك كتب كتب الفتح.

2. رسائل التولية في الخطط الديوانية :

لقد شكلت كتب التولية والتعيين في الخطط الكبرى للدولة الأموية في الأندلس التي لها علاقة كبيرة بالسياسة الداخلية للدولة، وتنظيم شؤونها الإدارية . وعلى هذا الأسس تأثرت الكتابة الرسمية الخاصة بمراسيم التعيين في المناصب السلطانية بالتحولات والتطورات التي واكبت فترة الخلافة، و الدليل على ذلك أن ظهرت أنماط جديدة بصيغ وأغراض مختلفة ذاع تداولها في المكاتبات السلطانية لهذا العصر.

وقد توزعت أغراضها إلى نوعين: الأول منها خاص بتعيين رجالات الدولة في الخطط الكبرى والمراتب العليا، أما النوع الثاني منها يتعلق بسجلات التكليف والانتداب وتتضمن تعيين زعماء القبائل ، وسوف نذكر نماذج لهذه الأنواع .

أ. كتاب تعيين القاضي محمد بن سليم * لسنة 353 هـ /964 م :

و لقد جاء في نصه ما يلي : " بسم الله الرحمان الرحيم، هذا كتاب أمر به أمير المؤمنين الحكم الم ستنصر بالله محمد بن إسحاق بن السليم، ولاه به خطة القضاء ، واختاره للحكم بين جميع المسلمين، و رفعه إلى أعلى المراتب عنده في

---

* محمد بن المنذر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن سليم، قرطبي، ولي خطة قضاء الجماعة سنة 353هـ كما تولى الصلاة بقرطبة سنة 358هـ/965م، فكان من الفصل في علمه وفهمه وورعه، حسن النظر في الأمور و التريث فيها، بقي في خطته لغاية عهد هشام المؤيد الذي أبقاه في منصبه، لكن الحا جب المنصور بقي ورائه و يتعرض بأحكامه قصد الحط من أمره . القاضي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب الم سالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . تحقيق أحمد بكي محمد. دار الحياة، بيروت، ج2، ص 541–548، توفي عام 367هـ/978م ، الحميدي، المصدر السابق، ص 39، الخشني، قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 176 .

تنفيذ الأحكام غير مطلق يده إلا بالحق و لسانه إلا بالعد ل، و رسم له في كتابه رسوما بدا فيه بأمانة الله – عز وجل – إليه... فإنه عهد الله الذي بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم فأ حل حلاله و حرم حرامه، وأمضى أحكام ه، وفارق الأمة،على أنهم لن يضلوا ما اتبعوه، فهو العروة الوثقى وأمره أن يصلح سريرته فيها، يصلح الله على علانيته .... وأن يجعل الناس في نفسه سواء ، إذا جلس للحكم بينهم، حتى لا يط مع فيه الشريف، و لا ييأس منه الضعيف .. وأمره أن يحتفظ في حين وقوع الشهادات عنده ، فلا يقضي بين المسلمين منها بما أقامه به التحقيق على ألسنة العدول، ذوي القبول ... وأن يحترس بأموال اليتامى ، ولا يولي عليهم إلا أهل العفاف عنها ... كتب يوم الإثنين ل لنصف من شعبان سنة 353هـ.[1]

من خلال هذا النص يبدو أن منصب القضاء من المناصب التي اكتست أهمية كبيرة من قبل الخلفاء الأمويين ، بحيث لا يتم التعيين في هذا المنصب إلا بعد التحري واختيار من أهل الورع و التقوى و ال دين، لما يتوقف عليها من تطبيق الشريعة و اتخاذ ا لأحكام بناء على الكتاب و السنة الشريفة فيما يتعلق بأمور الدين و الدنيا . و إن كان لابد من التنويه أن ليس كل القضاة كانوا من الفقهاء وعلماء الدين، و ليس الجميع كانوا على درجة من النزاهة و الصدق والعلم، فالمصادر تذكر مجموعة من القضاة لم يكونوا على دراية بأمور الدين ومطعون في نزاهتم . من خلال دراستنا لهذا النص نجد أنه لا يخلو من التذكير بإحقاق الحق وإبطال الباطل و التزام العدل بين الخصوم، وما إلى ذلك من النصائح التي تعين القاضي في مهامه التي تبدو عليها واضحة الروح الدينية عملا

(1) النباهي، المصدر السابق، ص 101–102 .

بما سنّه الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم من توصيته لعلي بن أبي طالب عندما بعثه قاضيا إلى اليمن". أمره بتقوى الله العظيم الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور و أن يجعل كتاب الله أمامه ... فإنه عهد الله الذي بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم فأ حل حلاله، وحرم حرامه ، وأمضى أحكامه...فهو العروة الوثقى ... ودين الله القويم...." و الملاحظ كذلك أن عبارات الكتاب ترجمة لشخصية و أخلاق الخليفة الحكم الم ستنصر بالله الرفيعة فقد كان " من أهل الدين والفضل و الورع، ومن أعدل الملوك و ا تقاهم و أعلمهم وأحلمهم وأحمدهم و أحسنهم سيرة ، و أرفعهم قدرا وأعلاهم ذكرا ... " [1] وقد أشادت المصادر التاريخية بسيرته، حيث ترد إشارات كثيرة إلى مبادئ العدل الإسلامية والتي حرص الخليفة على أن يكون القاضي متقيدا بأحكامها خاصة و أنه سيتولى أعلى المراتب السلطانية أي قضاء الجماعة بقرطبة عاصمة الخلافة الأموية بالأندلس.

أما الصياغة الأدبية لنص الكتاب فلقد غلب عليه السجع البسيط الواضح والترادف الذي كان الغرض منه التأكيد على المعنى مثل (فأحل حلاله، و حرم حرامه ، وأمضى أحكامه) كما حمل العديد من عبارات الالتزام بتطبيق الأوامر مثل (وأمره أن يصلح سريرته) ، كما (و أمره أن يحتفظ في حين وقوع الشهادات عنده) ، (وأن يحترس بأموال اليتامى) ، وكل هذا يبرز خصائص ومميزات الكتابة السلطانية في هذا العصر في كتب التولية في الخطط الكبرى .

---

1 – ابن حيان، المقتبس، مصدر سابق تحقيق شالميتا،ص 243

ب. كتاب تعيين أصبغ بن محمد بن فطيس * على نصف كورة رية ** سنة 361هـ/971م :

إن تولية الأشخاص الذين يتمتعون بثقة السلطة كانت تصدر بكتاب رسمي من أعلى قمة في السلطة و هو الخليفة و من هذا النوع من المكاتبة نتوفر على كتاب الخليفة الحكم المستنصر بالله جاء فيه :

"بسم الله الرحمان الرحيم : أما بعد، فإنما تستدام النعمة بشكرها و تعرف النصيحة باستعمالها و بالنصيحة تفاوتت منازل العبيد لدى ساداتها، وقد رأى أمير المؤمنين فيك رأيا عظم ت به عليك النعمة ... و رأى تقليدك شطر كورة رية ، وهي من أهم كور الأندلس عليه ، برا و بحر، و جبايتها و ضياعها، فانظر أي خادم تكون، وشاكر للنعمة تظهر، إنشاء الله ." (1)

إن ما يمتاز به هذا النص كونه دقيقا، موجزا وقصيرا، قليل الصنعة البيانية ، التي أصبحت تميز الكتابة السلطانية لهذا العصر، ملائما لطابعه ومضمونه، أما من حيث الشكل فلقد كان واضحا في فقر اته بحيث نستطيع أن نميز بين محاوره الثلاث: البدء بتعظيم نعمة الخليفة على صاحب الولاية، وما يتبع ذلك من أسباب التمسك بطاعته وحسن خدمته ، ثم في المحور الثاني: الأمر بحسن معاملة الرعية، أما المحور الثالث من النص فلقد بين فيه مهامه و صلاحياته و الجوانب التي يمتد إليها حكمه مثل البر و البحر و الجباية ... إلخ .

---

* ينتمي الى آل فطيس الذين توارثوا المناصب الرسمية طوال فترة الدولة الأموية بالأندلس . ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق علي محمود مكي ، ص 482.

** رية : كورة من كور الأندلس ، في قبلي قرطبة ، نزلها جند الاردن من العرب وهي كثيرة الخيرات . الحميري ، المصدر السابق ، ص 79.

(1) ابن حيان،المصدر السابق، تحقيق حجمي، ص 77 – 78 .

ج. كتاب تولية أبي العيش* النظر في قبيلة أطانه** :

يذكر ابن حيان القرطبي في المقتبس أن الضرورة اقتضت أن يكون عقد كتب عهود الزعامة للأفراد على قبائلهم في كتب سماها السجلات.[1] والسجل كان من إنشاء الوزر الكاتب جعفر المصحفي و جاء فيه : "بسم الله الرحمان الرحيم" كتاب من عبد الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين لأبي العيش بن أيوب، أنه

---

* هو الأمير أبو العيش احمد بن القاسم بن كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه م كان عالما فقيها ، حافظا لتواريخ الملوك و أيام الناس و أنساب قبائل العرب و البربر ، و كان شجاعا كريما ، و كان معروفا لدى بني إدريس بالفاضل ، و كان مائلا إلى بني مروان متشيعا فيهم ، ثم قطع الدعوة في جميع بلاده على العبيديين . و خطب لعبد الرحمن الناصر في جميع منابر اقليمه بعد أن أقطعه كل من سبتة و طنجة ن و بقي أبو العيش و اخوته و بنو عمه من الأدارسة بمدينة البصرة و أصيلة مؤيدين من قبل الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي كان يمدهم بالمال والرجال.المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص 347 –374. حتى بايعه أكثر قبائل زناتة وغيره م من البربر لبلاد المغرب الأوسط و خطب له على المنابر من تاهرت إلى طنجة . ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 106 –107 .

** قبيلة أطانة : هي إحدى الفروع دوار ريشية (دائرة عين الكبيرة) يعرفون (بوطانة، وربما يعود ا رتوابهم إلى قبيلة لطانة التي ينتمي إليها بعض ق ادة كتامة المعادين للدعوة الشيعية العبيدية ، موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، الجزائر 1979، ص 113 .

(1) ابن حيان، المصدر السابق، ص 111 – 114 .

ولاه النظر في قبيلة أطانة مهران من كتامة* مؤثرا ومظهرا لحسن رأيه فيه وثقته به فيها فوضه إليه للذي أحبه و استصلاحه و استصلاح أحواله وأحوالهم ... والتزام طاعته وطاعة خليفته التي افترضها عليه ... محافظا عليها ، معتقدا للقيام بوظائفها وشروطها ، و الوقوف عند حدوده ، و الانتهاء إلى عهوده ... وأن يأخذ على ذلك إيمان وجوه القبائل المصروفة إليه و على مسالمة من سالمه ، ومحاربة من حاربه، دنوا منه أو بعدوا عنه كما أمره ، أن يحتمل في أحكامه على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و سنة محمد صلى الله عليه وسلم ... و مراعاة الصلاة لأوقاتها وإقامتها على كمالها بحدودها و الآذان لها ... و الإفطار عند رؤية الهلال ... و أن يأخذ زكواتهم من الحبوب المرفوعة عندهم والثمرات الموجودة بأرضهم ...، و يستشعر الحزم و العزم و المناصحة

---

* كتامة: مجموعة قبيلة من بربر البرنس، يؤكد عدد من المؤرخين أنها من أصل عربي حميري، تركها افريقش أحد ملوك التبابعة و لها بطون تصل إلى 18 بطنا و التي بدورها تتفرع إلى بطون و أفخاذ خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي اختلطت قبائل كتامة بمصمودة مما أمحى الكثير من الأسماء التي ذكرها ابن خلدون في العبر . وهي تنقسم إلى فرعين رئيسين كبيرين، فرع غرس و فرع يسوده ، استقرت خلال فترة صدر الإسلام بمنطقة قسنطينة بالمغرب الأوسط، وقد انتقل إلى المغرب الأقصى، و ما تبقى من هذا الفرع يسكن حاليا إقليم الحسيمة ويحمل الإسم ا لأصلي للقبيلة أي كتامة و يشتمل على خمسة بطون، أمزاز، بني تميم، السواحل ، تماساوت ، وعبد الغاية .والجدير بالملاحظة أن هذه القبيلة هي التي أيدت الشيعة الإسماعيلي ة على الظهر في المغرب الإسلامي حتى أسسوا الدولة الفاطمية ، ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 148–150 ، مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، الجزائر ، 1976 ، ص100 ، ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 109 ، موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 92–191.

والاجتهاد في جهاد المارقين من سلطانه و الفاسقين عن طاعته....". [1]

لقد كان لهذا الكتاب أهمية كبيرة سواء من حيث البناء الفني و دقة الألفاظ والتعابير أو من حيث المضمون الذي احتوى على العديد من الأوامر و النواهي عن المنكر وإقامة شعائر الإسلامي، و التي ألزم بها منتدب القبيلة منها كالأمر بالصلاة ومراعاة الصلاة لأوقاتها و إقامتها على كمالها بحدوده، و الأذان لها على حسب ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه و سلّم و الراشدين من بعده و ما عليه جماعة المسلمين، و عن الصيام مثل قضية (.... الإفطار عند رؤية الهلال....) كما توقف عند ركن الزكاة فتوسع في التعريف بها و شرح أركانها ونصابها ، مدققا ذلك بكل جزيئات محاورها، و لقد أطنب و كأنه درس في فقه الزكاة (... و أن يأخذ زكواتهم من الحبوب المرفوعة عندهم ... و الزكاة كلها في كل عام مرة، و زكاة الإبل من كل خمسة شاة...) .

كما شرح بكل تفصيل كيف تزكى كل من البقر و الغنم. وأكد بأنه (لا زكاة في الفواكه كلها، رطبها ويابسها ، وتخرج زكاة النخيل و الأعناب وزكاة الزيتون من زيته إذا عصر ....) كما بين شروط مستحقيها و نظرا لكل الشروحات المستفيضة والتفاصيل الدقيقة لفريضة الزكاة الأمر الذي جعلها تشغل فقرات عدة من هذا الكتاب، وما التأكيد عليها و على الالتزام بأدائها لما لها من دور اجتماعي واقتصادي هام لا يستهان به في المجتمع الأندلسي .

ويبدو لنا أن هذه القبيلة و غيرها كانت (أو بعض أفرادها على الأقل) تتهاون في أداء الواجبات الدينية من صلاة وصوم وتتلكأ في دفع الزكاة أو تتهرب من دفعها إلى مستحقيها ، أو لربما أن بعض الولاة أسرفوا في أمر الجباية مما

1- ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 111 -114.

دفع أفرادا من هذه القبيلة بالتمرد على حدود الله عزّ و جلّ مما دفع السلطة إلى تعيين شخص معروف بتقواه وصلاحه و معرفته بأمور الدين الإسلامي على الوجه السليم، بالإضافة إلى كونه من سلالة الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم ، ليعيدهم إلى جادة الصواب.

ويعتبر هذا الكتاب من الأنماط الجديدة التي عرفتها الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس يبدو ذلك واضحا عند استعمل ابن حيان مصطلح (السجل) حين قال في نهاية نص الكتاب (... دفع إلى جميع من سجل له على قومه من قبائل البربر ... من سجلاتهم المنعقدة لهم على نسخة سجل أبي العيش بن أيوب زعيمهم.[1]

كما نلاحظ أن هذه العبارة الأخيرة توحي بأن قالب صيغة هذه السجلات السلطانية كان على نسق واحد، بحيث يتغير اسم زعيم القبيلة الذي عقد له في ذلك السجل و الدليل على ذلك أن ابن حيان ذكر جماعة كبيرة منهم.[2]

إن الذي يجمع النماذج الثلاثة التي مرت بنا غرض واحد هو التولية والتعيين لرجالات الدولة في المناصب الحكومية العليا، أي الخطط السلطانية السامية . وأصبح الخليفة لا يعين مسؤولا كبيرا في وظيفة إلا و خاطبه بكتاب التولية الذي يتضمن مرسوم التعيين، يحدد له بعض جوانب مهمته من صلاحيات وواجبات والتزامات أمام الله و السلطان و الرعية ، لكنها اختلفت من حيث غرض الموضوع و كذا مبنى صياغة النص السلطاني. فالمرسوم الخاص بتعيين القاضي

---

(1) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق حجي، ص 114 . النص كاملا بنفس المصدر من ص 11 إلى ص 114 .

(2) نفس المرجع و الصفحة .

محمد بن سليم، كما لاحظنا غلبت عليه النصائح الدينية ، أما النص الثالث الخاص بسجل زعامة ابن العيش على قبيلته ، فلقد تفرعت فقراته إلى الإرشادات الدينية والنصائح الاجتماعية، وأكثر من ذلك فلقد تحول نص هذا المرسوم إلى درس لتعليم الزكاة. يبقى هذا المرسوم على الرغم من كونه فضفاض واسع الأفق مع ذلك فنصه كان سهل الفهم بسيط الصنعة البيانية بعيد عن التعقيد و الغموض الذي ستعرفه الكتابة السلطانية في مراحل متقدمة من هذا العصر .

وبناءا عليه يبقى نص الكتاب الثاني – الخاص بتولية أصبغ بن محمد على كورة ريّ أقرب النصين إلى نموذج كتب التولية الذي ظهر في هذا العصر لاشتماله على أهم القواعد المنهجية التي يجب أن تتوفر في مثل هذا النمط من الكتابة السلطانية شكلا ومضمونا .

3. الكتب الإخوانية :

وهي إحدى الأنواع الحديثة التي ظهرت في المراسلات السلطانية في عهد الخلافة الأموية بالأندلس ، فقد أصبح من المتعارف عليه حضور ومشاركة كبار رجال الدولة من الوزراء و الكتاب و الفقهاء و الأدباء و المشاورين ووجها ء البلد في المناسبات و الا حتفالات الرسمية و الخاصة بتسلمهم الدعوة للحضور، و من تخلف أو غاب تتم مساءلته بواسطة كتاب رسمي في صيغة استفسار . ومن الأمثلة على ذلك، أن الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله عندما أقام الاحتفال بمناسبة ختان أولاد ابنه عبد الله بقصر الزهراء ، دعا إليه العلماء و الشهود، فحضروا جميعهم إلا المشاور أبو إبراهيم ، أحد كبار فقهاء المذهب المالكي في قرطبة وعليه المدار ، و افتقد مكانه لارتفاع منزلته ، فساء غيابه هذا المفاجئ وغير المبرر الخليفة، فطلب من ابنه الحكم أن يكتب له مفندا مقرعا، فكتب إليه الحكم

"بسم الله الرحمان الرحيم، حفظك الله وتولاك ، وسددك ورعاك! لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي – أبقاه الله – الأولياء الذين يستعد بهم وجدك متقدّما في الولاية، متأخرا في الصلة. على أنه قد أنذرك – أبقاه الله – خصوصا للمشاركة في السرور الذي كان عنده ، لا أعدمه الله توالي المسرة، ثم أنذرت من قبل إبلاغا في التكرمة، فكان منك على ذلك كله من التخلف ما ضاقت عليك فيه المعذرة، واستبلغ أمير المؤمنين في انكاره ومعاتبتك عليه، فأعيت عليك عنك الحجة . فعرفني – أكرمك الله – ما العذر الذي أوجب توقفك عن إجابة دعوته، ومشاهدة السرور الذي سر به و رغب المشاركة فيه، لنعرفه– أبقاءه الله – بذلك، فتسكن نفسه العزيزة إليه إن شاء الله تعالى.[1]

يبدو من خلا ل نص هذا الكتاب أن الدعوات لحضور الاحتفالات حتى الشخصية كانت دعوات رسمية و فيها إلزام للحضور، ولم يترك الأمر للرغبة أو الهوى أو المزاج أو أن المسألة اختيارية و لا يسمح بالغياب إلاّ بعذر واضح جلي ودليل و حجة بائنة ، لأن التسامح في غياب شخصيات مهمة تن قص من هيبة السلطة و الخليفة معا .

و الملاحظ أن كتب الاستفسار و بصيغ مختلفة لا تزال سائدة إلى يوم الناس هذا في الإدارات الحكومية مع الموظفين بشأن غياباتهم طلبا لتبريرها .

و قد أجابه الفقيه إجابة اقتنع فيها الخليفة الناصر و مما جاء فيها : "بسم الله الرحمان الرحيم سلام على الأمير سيدي ورحمة الله، قرأت – أبقى الله الأمير سيدي – هذا الكتاب و فهمته ، و لم يكن توقفي لنفسي ، إنما كان لأمير المؤمنين سيدنا – أبقى الله سلطانه – لعلمي بمذهبه ، و سكوني إلى تقواه، واقتفاؤه لأثر

---

(1) المقريّ، المصدر السابق، ص ج 1، ص 352 –353 .

سلفه الطيب ، رضوان الله عليهم ، فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ، و لا بما يغض منها ، ويطرق إلى تنقيصها، يستعدون بها لدينهم، ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفسد عليهم من قصادهم ، فلهذا تخلفت ، و لعلمي بمذهبه توقفت ، إن شاء الله تعالى". (1)

إن دراسة هذا النص تظهر أن الكتاب سهل الفهم، اكتس ت صيغه مسحة خفيفة من السجع العفوي خاصة في الفقرة الأولى، من نص الرسالة ، مثل (...حفظك الله وتولاك وسددك ورعاك ...)، كذلك وجود الجمل الاعتراضية المهذبة الدالة على المكانة و الحضوة التي يحتلها المرسل إليه (... فعرفني أكرمك الله...) ويبدو كذلك أن هناك حرصا من السلطة الأموية على حضور كبار الشخصيات السياسية و الدينية في مختلف الفعاليات لإعطائها المنزلة التي تستحقها

4. كتب عرض الحال* (التقرير) :

وجه الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله كتابا إلى ولاته وكبار رجال دولته يشرح ظروف غزوة الخندق لسنه 327هـ/939م، حيث التقى في شمالي الأندلس بجيش من نصارى الشمال، و هناك هزم هزيمة منكرة، فلما رجع سالما

---

(1) المقري ، المصدر السابق، ج1 ، ص 353 ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي افريقيا دراسة و نصوص مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط3، 1986 ، ص 171.

* هذا النوع من الكتابات السلطانية هو في الحقيقة على تقرير حول موضوع أو حادث ما، فيه تصير لها، أي عرض حال . ويتعرض هذا النوع من الكتابات إلى الشؤون الاجتماعية والعسكرية و السياسية، وحتى النفسية أبن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق 2، م 2، ص 655، علي بن محمد، النثر الأندلسي ، المرجع السابق، ج 2، ص 516 – 517 .

إلى مقر ملكه بعث هذا الكتاب الذي يشرح فيه ما حدث ، و يتطرق إلى أسباب الفشل في مواجهة عدوان النصارى، وكان هذا الكتاب من إنشاء الكاتب الوزير عيسى بن فطيس ، جاء فيه : "...فاستعظم الله أمير المؤمنين ليلته ، و استخاره عن رحمته في النهوض إلى مدينة شانت مارتش دار الكفرة ومجمع النصرانية ... وقد تلاحقت جموع الكفرة ، وقدموا صلبانهم ،...فلما كان في اليوم الثا لث من احتلاله، عهد أمير المؤمنين إلى صاحب العسكر بمصاب حتهم بالحرب ، وقد تلاحقت بهم المدود من أقصى بنبلونة و ألبة و القلاع و أهل قشتيلية إلى مشركي قلميريا وكل صنف من أصناف العجم معهم ... فصرع قومس عرماح ، و ابن أخي الخنزير، ابن فر ذلند ... و انجلت الحرب عن هزيمتهم .... و كان أمير المؤمنين غيّ التقدم على نهر دويرة إلى شنت اشتيين ... فحامى أمير المؤمنين برجاله وخاصته عن المسلمين ساعات من النهار، حتى تقدم أكثرهم و جازت الخنادق أثقالهم ... فلُمِرَّ بقراءة كتاب أمير المؤمنين على الناس قبلكَ ، إثر صلاة الجمعة ليشكروا الله ... و أعهد بنسخه إلى عمال الكور حولك إن شاء الله تعالى و الله المستعان. وكتب يوم الإثنين لثمان خلون من ذي القعدة سنة سبع و عشرين وثلاث مائة.[1]

إن الدراسة المتأنية لهذا الكتاب المهم الخاص بعرض حال للمواجهة مع نصارى الشمال، تمكننا من رصد صيغ ومراحل تحريره و التي يمكن إيجازها في العناصر التالية :- تمهيد وتحديد المكان (فاستعظم الله أمير المؤمنين ليلته، واستخاره عن رحمته في النهوض إلى مدينة شانت مانكش، دار الكفرة ومجمع النصرانية...) كما يشتمل على وصف مفصل ودقيق للموضوع المراد عرضه ،

---

(1) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص 438-443.

و لذلك جاء وصف هذه الغزوة في غاية الدقة لسير وقائع حيثياتها ، فرغم الفارق الزماني الذي يفصلنا عن هذه المعركة ، فما جاء في الكتاب صور لنا ببراعة فائقة أحداث شاخصة تنبض بالحياة، و بمعنى لغة العصر كأنها- فيلم وثائقي لأحداث تلك الحرب – ولهذا دوره الإيجابي و قيمته التوثيقية خاصة دقة المعلومات لوقائع تلك الحروب .

وردت في الكتاب أسماء المناطق و الأماكن والجهات والأنهار والقلاع، التي دارت فيها أو حولها أو مرت بها قوافل الجيوش أو كانت ساحة للمعارك الطاحنة في شمال الأندلس مثل (مدينة شنت مانكش) ، (بنبلونة) ، (ألبة) ، (القلاع)، (أهلقشتيلة) ، (حصن دبليش) ، (جليقية) ، (نهر الدويرة) ، (خنادق) ، (الثغور)، (شنت أشتين)، (حصن انتنيشه) وحتى سيرأيام اشتباكات الحرب ، كما اشتملت على الكثير من المصطلحات و الألفاظ التي بين ت دلالة العدو منها (الصلبان) و(رومية) يعني بها المسيحية عموما.

و هناك مصطلحات تاريخية ترد أيضا في هذا النص مثل (دار الكفرة ، مجمع النصرانية ، مشركي قلمرية و كل أصناف العجم ، أعلام المشركين وقوامهم) كما اشتملت على الكثير من الألفاظ والمصطلحات الحربية (الخيول)، (الأسلحة)، (الدروع)، أساليب القتال) .

أضف إلى هذا كله كانت أسماء قادة هذه المعارك حا ضرة من الجانبين مثل (أمير المؤمنين)، (محمد بن هاشم)، (ابن فرذ لرذ، شيخ النصرانية) ، و بالتالي تضمن هذا العرض نتائج الغزوة و الكيفية التي عاد بها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله مع المجموعة المتبقية من عساكره إلى قرطبة.

هذا ولقد تميز القالب الفني لنص هذا الكتاب كونه اتخذ صيغة الأسلوب المرسل* أي " المطلق " الخالي من ضوابط الفواصل و الأسجاع [1] بمعنى أن الصيغ تأتي على سجيتها دون تكليف و تعقيد ، أو البحث عن تنميق قصد الصنعة البيانية ، إذ كان هدف كاتب السلطان هنا ينصب اهتمامه بالفكرة و صياغتها قصد تبليغها للمرسل إليه فقط. يعتبر هذا النص نموذجا لأنماط الكتب التي ظهرت في هذه المرحلة التاريخية و التي تشربت بالحركة الجهادية في الأندلس بغض النظر عن النتائج المترتبة ، و هي في الغالب على خارطة الكتب المدونة في متون مصادر التاريخ.[2]

إن هذا الكتاب يدخل ضمن كتب الفتح و الانتصارات التي أوردها ابن حيان وكثير غيره من المؤرخين على الرغم من أن هذه الغزوة لم تحقق الغرض المرجو منها ، و لم تكن نتائج المعركة لصالح الأمويين حيث انهزم الخليفة و قتل فيها المئات من جنوده ، حيث كتب ابن حيان " نالت السلطان و المسلمين فيها حطمة عظيمة قتل فيها خلق و أسر كثير، ومُ لك سواد العسكر وعدة السلطا ن وسراديقه وآلاته السلطانية و فيها مصحفه الخاص به ودرعه الأثيرة لديه." [3]

---

* عكسه الأسلوب المقيد الذي يرتكز في معماره على الأسجاع و بقية فنون الصنعة البيانية ، محمد مسعود جبران ، فنون النثر الأدبي في أثار لسان الدين بن ال خطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية) دار المدار الإسلامي – بنغازي ، ليبيا ، ط 2004 ، ص 160.

(1) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(2) يمكن العودة إلى كتاب المقتبس لابن حيان، تحقيق شالميتا ، حيث يتضمن نصوص كثيرة من كتب الفتح و الجهاد ضد نصارى إسبانيا،لأن ذلك يمثل أهم القضايا والا نشغالات بالنسبة للخلفاء الأمويين.

(3) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص 436 – 438 .

إن الدراسة العلمية النقدية لهذا النص تظهر بشكل لا غ بلو عليه إن الهزيمة كانت على الخليفة وجيشه، وإنما تصنف من ضمن كتب الفتح، م ن باب المكابرة والاعتداد الزائد بالنفس، و الحفاظ على الجانب النفسي و المعنوي لدى الأمة من الإنكسار و الشعور بالخيبة و الاندحار .وإلا ماذا يعني أن يفقد السلطان درعه ومصحفه الشريف في سرادقه الخاص به، غير الهزيمة وخسارة المعركة، وكتب القلقشندي يقول: " أن هذا الكتاب من أهم المك اتبات خطرا وأجلها قدرا لاشتمال أغراضها على انجاز وعد الله تعالى الذي له الطاعة في إظهار دينه على كل دين"[1].

وقد ورد في الكتاب وصف جيد لهمة الخليفة عبد الرحمان الناصر لد ين الله وعزيمته وشجاعته لنصرة الدين ، واستعداده للنيل من عدوه و التنكيل بهم أشد التنكيل في عقر دارهم، على الرغم من تحا لف القوى النصرانية الاسبانية لقتال المسلمين.[2] هذا وقد تبين كيف كانت عاقبة ونهاية الخونة المتخاذلين من الفرسان الذين كانوا سببا في هزيمة جيش المسلمين في هذه الغزوة، بسبب تقاعسهم وتخليهم عن القتال وقت الشدة ، و انسحابهم من المعركة كاشفين أجنحة الجيش للعدو. [3]

فقد أصدر الخليفة أمرا بمعاقبتهم وهو في طريق عودته قبل وصوله إلى مقر الخلافة – قرطبة – وإقامة المشانق (المصالب) ، ولما دخل المدينة أمر بصلب 300 من الفرسان المسؤولين عن هزيمة الخندق، وأمر بالنداء على

---

(1) صبح الأعشى ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 19–20.

(2) المقري، المصدر السابق، ج1، ص 332 .

(3) ابن حيان، المصدر السابق، ص 444–446

العاصين و الخارجين عن الطاعة "هذا جزاء من غش الاسلام وكاد أهله وأدخل بمصاف الجهاد" [1] – أي أخل بمعنى الجهاد – حتى يكونوا عبرة لمن اعتبر.

والذي وجدناه من خلال تتبعنا لانعكاسات هذه المعركة الشهيرة في المصادر التاريخية وحسب ابن حيان تحديدا أن الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله "لم يعاود الغزو بعد إلى أن مضى لسبيله ". [2]

إلا أن الحملات الصي فية المسماة بالصوائف، استمرت على أراضي النصارى وذلك ابتداء من سنة 328 هـ/940 م، وما بعدها وحققت جيوشه انتصارات ساحقة في العديد من المواقع، الأمر الذي جعل الممالك النصرانية تتوسل الوفود طلبا للصلح.

5. كتب الترهيب و الوعيد :

لقد كان هم الخلفاء الأمويين بالأندلس الأول هو ضمان الأمن و السلم الداخلي ومحاربة وصد الهجمات الخارجية من النصارى و غيرهم ، لذلك جعلوا من محاربة الفتن و الاضطرابات الداخلية من أولويات اهتماماتهم ، كما ضيقوا على أهل الجرائم و الخارجين عن الطاعة ، خاصة و أن حركات التمرد على السلطة في قرطبة كانت كثيرة الوقوع،فلقد أدرك هؤلاء مدى خطورة هذه الظواهر، لذلك كانوا يسارعون إلى مخاطب ة هؤلاء المنتزين ، المتمردين على الخلافة بالحسنى تارة و بالتهديد والوعيد تارة أخرى، بهدف إطفاء نار الفتن.

و لقد اختلفت مواقف الحكام حسب كل حالة، وشخصية الحاكم، فتارة يتخذ

---

(1) ابن الخطيب،المصدر السابق، ج2، ص 38 .

(2) ابن حيان، المصدر السابق، ص 438 .

التنكيل والقتل وسيلة لذلك ، وتارة أخرى بالعفو و الغفران و تجاوز القضية ، وقد ذكرت المصادر التاريخية مجموعة من الكتب تحمل هذه السمات، منها كتاب الحاجب عبد الملك المظفر وهو من إنشاء الكاتب ابن برد ، موجه إلى هذيل بن رزين ، وهو زعيم قبلي، سيكون له شأن لاحقا ب اعتباره واحدا من ملوك الطوائف، ويرجع إليه الفضل في تأسيس إمارة بني رزين بشنتمرية الشرق ، ومما جاء فيه : " أما بعد ، أتاك الله رشدك،... فإن الله خلق الخلق غنيا عنهم ... وجعلهم أخيافا ... فمنهم المختص بالطاعة، ومنهم المبتلى بالمعصية ، و بين الفريقين أقواما خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا ، عسى الله أن يتوب عليهم، ولو شاء الله لكان الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين ...و السعيد من خاف ربه، وعرف ذنبه، و بادر بالتوبة قبل فواته ا ، واستعطى الرحمة قبل منعها ...بعيدا عن المكاره قريب المكانة ، رفيع الدرجة ... خلا أنه حدث بينك و بين الحاجب ما لم يزل يحدث بين القواد و العمال على قديم الزمان ...ولن تضيق بك السبيل عند أمير المؤمنين وأنت لك طاعة سالفة، واستقامة موروثة ، و بين إنابة منتظرة وتوبة مستقبلة ، فإحدى الحالتين تحط الذنوب الكبيرة ... فالآن عصمك الله ، واللهب رخي، والمركب وطي، وبابك إلى رضى أمير المؤمنين مفتوح ، وسبيلك إلى حسن رأيه سهل ، و لا يذهب بك اللجاج إلى عار الدنيا ونار الآخرة، إياك ومصارع الناكثين وحذار موارط الغادرين". [1]

يحاول الحاجب المظفـر أن يكسب ثقة بن رزين من خلال نص الكتاب ويعيده إلى طاعة الخليفة. و هذا يبين مدى أهمية المراسلات في الوصول إلى

---

(1) ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ق 1،ج1 ، ص 94–95 ، ابن عذاري، البيان، المغرب، المصدر السابق، ج3، ص 308 .1

أنجع السبل السليمة لتفادي الصراعات الدموية ، و استعمال الكتابة كأداة سلم تي للتفاوض وتجاوز المشاكل العالقة، بهدف تجنب الخسائر المادية و البشرية، خاصة إذا استمرت الحرب فترة طويلة، و المتفحص لكتب التاريخ يجد العديد من الأمثلة عن الحركات المناوئة التي أرهقت الدولة الأموية في الأندلس، و لذلك طغى هذا الصنف من المراسلات لغة النصح و الإرشاد و الإصلاح ! .

تبدو براعة الكاتب ابن برد الأكبر واضحة في هذا الكتاب باحكامه صياغة مثل هذا النوع من الرسائل الخطيرة، و التي تتعرض إلى مسألة من مسائل أمن الدولة – أي كتب التهديد و الوعيد– أو التهديد المستتر، و هذا يتطلب جهدا كبيرا في انتقاء الألفاظ المعبرة، مبتعدا عن لغة الغضب و التوتر التي عادة ما تكون في هذه المواقف.

و لقد اتضحت مقدرة الكاتب في تبنيه أسلوب النصيحة و الوعظ، والمجادلة بالحجة، و الإغراء بالطاعة و العودة إلى صف الجماعة . و لذلك طغى على هذا الصنف التبليغ ، النصح ، و الإرشاد وهو أسلوب كتب وصايا الاستخلاف.

و من جهة أخرى عمل ، على تبسيط موضوع الخلاف القائم بين ابن رزين و الحاجب كما في العبارة (خلا أنه حدث بينك و بين الحاجب ما لم يزل يحدث بين القواد و العمال من قديم الزمان) ولولا السطور الأخيرة التي جاء فيها (ولا يذهب بك اللجا ج إلى عار الدنيا ونار الآخرة ، إياك ومصارع الناكثين وحذار موارط الغادر ين) لما ظهر التهديد والترهيب من المصير المنتظر الذي جاء بصورة خفيفةم ستترة .

في حين أن الجانب الفني في هذه الرسالة ، فقد مثل أنموذجا لأثر الطريقة الجاحظية ، حيث أن ابن برد الأكبر كان صاحب مدرسة ذات أسلوب متميز ساد

القرن الرابع الهجري على وجه التحديد[1] ويتضح ذلك من خلال الميل إلى الجمل القصار و الفقرات المتقابلة، وعدم تعمد المحسنات البديعة باستثناء سجع خفيف لا تكلف فيه، لأنه غير مقصود لذا ته ، مع التفنن في أداء المعنى والحرص على جمال الصياغة، ودقة التعبير، ووضوح الغرض مع ميل إلى تزيين المعاني والألفاظ من ازدواج ومقابلة، وإجادة استخدام حروف الجر وأدوات الظرفية بصفة عامة .

إن البحث في المصادر الأندلسية يظهر أنه كان وراء وجود مثل هذه الأنماط المستحدثة في الكتابة السلطانية في فترة الخلافة الأموية، العديد من العوامل التي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تطورها و تعدد أنواعها وما رافق ذلك من صيغ فنية ، كما سبق وأن بيناه، وسوف نقتصر على ذكر أهم هذه العوامل، منها أن أقطا ب الكتابة السلطانية كانوا من الخل فاء الأمويين أنفسهم ، فتارة هم من يكتب الرسائل بأقلامهم و تارة أخرى يُمْلُونَ على كتابهم ما يريدون كتابته، و لعل أشهر من تولى الكتابة في الدولة الأموية بالأندلس على الإطلاق هو الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقد اختبره جده الأمير عبد الله بن محمد عندما أمره أن يكتب كتابا لأحد عماله بأمر هام ، ويبدو أن عبد الرحمن قد أصاب بغية جده الذي لم يخف سروره بنبوغ حفيده، فاتخذ كتابا لسره .[2]

وكان سعي هؤلاء الحكام في استخدام كبار الكتاب من البيو تلت العريقة المشهور أفرادها بالكتابة السلطانية، أثره البالغ في ذلك .

---

(1) ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، ص 164، أحمد هيكل،المرجع السابق، ص 175 .

(2) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الأب مليشور، ص 39 – 40

مما لا شك فيه أن الثقافة الأندلسية تأثرت بالثقافة و التيارات الفكرية والأدبية المشرقية ، إذ كان التواصل الثقافي متبادلا ضمن الرحلات العلمية بين طرفي العالم الإسلامي آنذاك، و ليس أدل على ذلك من كثرة الشخصيات العلمية والفكرية، الذين تحفل بهم كتب التراجم والطبقات ككتب ابن الفرضي ، و النباهي، و الصلة ، والتكملة ، و عشرات غيرهم ، بالإضافة إلى انتشار الإنتاج الفكري المشرقي في أرض الأندلس، مما كان له أثره الواضح في طبع الإنتاج الأندلسي بالطابع المشرقي.[1]

إن الأنماط المستحدثة في الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، التي جاء عرضها ضمن عناصر هذا الفصل بالتحديد . بينت أن مظاهر فاصلة و ليست نقطة تطور هذه الأصناف قد لام سرت الشكل وكذا المضمون الذي رافق تنوع الصيغ الفنية لأدب النثر السلطاني بمقارنته بنظيرة في عصر الإمارة ، والذي امتاز بتفضيل الإيجاز في التعبير وإيثار المعنى. [2]

علما أن الكتابة الرسمية السلطانية لم تأت على نمط واحد وصورة واحدة في عهد الخلافة وكذا لدى جميع كتـّاب الخلفاء، فإلى غاية بداية هذا العصر بقيت هذه الكتابة عادية سليمة واضحة المقصد، قليلة الصنعة، عديمة الاهتمام بأدوات الزينة و التصنع التي بدأت تميز هذا العصر. [3]

مما سبق ذكره يتبين أن الكتابة السلطانية في مسيرتها وتطورها قد تعرضت

---

(1) سعد عبد الصالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس مجمع البحوث وإحياء التراث،جامعة أم القرى، مكة، 1418هـ/1997م، ص 214.

(2) إحسان عباس، المرجع السابق، ص 326.

(3) علي بن محمد، المرجع السابق، ج1، ص 189 .

لألوان من التأثيرات الفنية المشرقية، ففي البداية كان أسلوب أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ يغلب على كتابات الأندلسيين، حيث كانت كتبه كالبيان والتبيين والحيوان و البخلاء و رسائله الكثيرة مشهو رة ومتداولة في بلاد الأندلس، ثم ما لبث أن تطورت الحركة النثرية لتحل تأثيرات مشرقية جديدة كطريقة السجع المتأنق،[1] التي جعلت منه فنا من أصوله،الالتزام بالسجع و البديع و الميل إلى الأطناب و التأنق في تحليته بالشعر والأمثال، " يظهر أنه [2] كان لابن العميد* يدّ تذكر في ذلك حتى عده البعض إمام الكتاب في عصره " .

لابد من الإشارة إلى أن الأمر لم يستمر على هذا التقليد، بل ما لبث الأندلسيون أن بلغوا درجة أرقى وأسمى من ذي قبل، فأظهر الكثير منهم نبوغا وإبداعا، و كان لتمرسهم بالكتابة الفنية و اشتغالهم الدائب بها أثر في تولد ظاهرة النقد التي أسهمت في نقاء الكتابة السلطانية وتخليصها من الشوائب. [3]

بالإضافة إلى هذا العامل كان في بلاط الخلفاء الأمويون في الأندلس أدباء

---

(1) أنيس المقدسي، المرجع السابق، ص 251 .

(2) نفس المرجع ، ص 343 –344.

* أبو الفضل العباس ابن العميد .من عائلة فارسية، نشأ في بيت أدب وعلم وكتابة لأن أباه كان وزيرا وكاتبا و رسائله مدونة بخراسان . و في سنة 328هـ/940 م اعتبر سيد الكتاب في القرن الرابع ، وكان معاصروه يسمونه (الجاحظ الثاني)، فحمل عنه أعباء الإدارة وخاض معه غمرات السياسة و الحرب .التعالبي، يتيمة الدهر، ج3 ، ص 3، زكي مبارك، المرجع السابق، ص 235، أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم بيروت ، 1968 ، ص 142.

(3) الحميدي ، المصدر السابق، ص 126، المصدر السابق، ص 182.

و كتاب " يشددون النكير على من يتقعر في اللغة أو يغرب في الأسلوب".[1]

ويظهر لنا جليا من خلال هذا النص التطور و الرقي الذي بلغته الكتابة السلطانية و أنه أصبح هناك الكثير من الأدباء و الكتاب الذين اتصفوا بالنظرة الفاحصة والبصيرة النافذة في تقييم الإنتاج الأدبي من الكتابات الغنية. فلمع في ذلك الوقت كتابا بارزون يحررون الرسائل ويصدرون المناشير ويصفون الوقائع و الأحداث المهمة وصفا دقيقا عن طريق النثر على سبيل المثال الكاتب الشاعر ابن دراج القسطلي* الذي شغل مكانة سامية بين كتاب الإنشاء في مرحلة الحجابة العامرية وكان معدودا في جملة العلماء و الأدباء و الشعراء، وكانت له طريقة في الكتابة تتميز بالبلاغة ودقة اللفظ ، والتنقيح و التجويد و التؤددة في الكتابة لاختيار الكلمات المناسبة .[2] هذا إلى جانب كتاب آخرين من كتاب السلاطين يتميزون بأساليبهم الكتابية الخاصة . ذكر صاحب الجذوة أن رسائل ابن دراج القسطلي كانوا يتناقلونها ويعجبون بها.[3]

و رغم المسحة المشرقية في الصنعة فإن ابن دراج قد اختط لنفسه طريقة حدده ا ابن حزم بقوله " و قد كان قد أحدث ابن دراج عندنا نوعا من البلاغة ما

---

(1) ابن بسام، المصدر السابق، ج3، ص 818.

* هوأحمد بن محمد بن دراج الكاتب المعروف بالقسطلي ، كان كاتب الإنشاء و شاعر البلاط في أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر، و اشتهر بشعره و بلاغته التي لا يضاهيها في المشرق إلا المتنبي، الحميدي ، المصدر السابق، ص 97 – 98، فهو لسان الجزيرة،ابن بسام ، المصدر السابق، ق 1 ، م1 ، ص 58 .

(2) الحميدي، المصدر السابق، ص 97 – 98 .

(3) نفسه، ص 99 .

بين الخطب والرسائل."[1]

و هذا حكم بليغ صادر عن كاتب له سمعة كبيرة كأديب ومؤرخ وفق يي وناقد، يظهر كيف تطورت الشخصية الأدبية الأندلسية ونضجت .

إن الكتابة السلطانية في عصر الإمارة تميزت بالميل إلى الإيجاز البليغ وهو الأسلوب المتبع في تلك الفترة، كما تميزت بالأسلوب المباشر الخطابي الإخبلوي، الذي لا تتجاوز معانية ألفاظه إلا نادرا.

أما الصور البيانية فهي محدودة في التشبيهات البسيطة التي لا تغرق معانيها في التعقيد، بعيدة عن الزخرفة البيانية .[2] و يتبين ذلك عند مقارنة توقيع الأمير عبد الرحمان الداخل الذي بعثه لأحد الخارجين عليه[3]، بالكتاب الذي أرسله الحاجب عبد الملك المظفر، و الموجه إلى أحد المتمردين على طاعته، إذ تجلى ذلك بشكل بارز في طول النص الذي كتب ه ابن برد الأكبر و استعمل فيه المحسنات البديعية البيانية، والترادف والتكرار، وكذلك السجع و الجناس و الطباق الذي أصبح أحد خصائص الكتابة الديوانية لهذا العصر.

لقد كان لكل هذه المؤثرات وقعها وتأثيرها بطريقة مباشرة على مظاهر تطور أنماط الكتابة السلطانية في الأندلس، و التي انتقلت نقلة نوعية في مجال اللغة و الأدب في الجانب الفني، فجاء النثر السلطاني تجسيدا دقيقا للمناخ الثقافي الذي انعكس على مختلف مناحي الحياة، خاصة الحياة الفكرية.

---

(1) ابن حزم الأندلسي، التقريب إلى حد المنطق، نقلا ع ن إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المرجع السابق، ص 331.

(2) أحمد هيكل ، المرجع السابق ، ص 114.

(3) المقري ، نفح الطيب ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 123.

إلا أن هذا لم يمنع من وجود ك اتب يفضل الاختصار و الإيجاز على التطويل مثل ابن الحناط * الذي يقول " الإسهاب كلفة و الإيجاز حكمة و خواطر الألباب سهام يصاب بها أغراض الكلام وأخونا أبو عامر ابن شهيد يسهب نثرا ، ويطوّل نظما ... متخيّلا أنه أحرز السباق في الآداب، وأُتيَّ فصل الخطاب ، فهو يرتقصر أساتيذ الأدباء، و يستجهل شيوخ العلماء...". (1)

إن الألفاظ و التعابير التي تضمنتها نصوص الكتابة السلطانية ، امتازت بالوضوح و البعد عن الغريب ، حيث أنها تقرأ بسهولة ويسر ونادرا ما نحتاج إلى الرجوع إلى القواميس و المعاجم اللغوية لتفسيرها وشرحها .

لقد اعتمد بناء أسلوب الكتابة الرسمية السلطانية على مصادر عديدة من الموروث التراثي ، و يأتي في مقدمتها القرآن الكريم و أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، تصريحا أو اقتباسا، و الملاحظ كذلك الاقتباس من القرآن العظيم في مواضع مختلفة و مواقع متعددة ، وه و دليل على التكوين العقيدي للكتّاب ، إذ من النادر أن نجد كتابا سلطاني ا خاليا من آية قرآنية بنصها الكامل أوبعض الكلمات و التعابير، وتأسيسا على ذلك فنصوص الكتابة السلطانية عبرت بكل وضوح عن الروح الدينية التي غلبت على الكتّاب و الخلفاء و الذي حرصوا أن يلتزموا بها سياسة ونهجا .

إن الكتابة السلطانية في هذا العصر أخذت تتجه بشكل واضح نحو المنهجية

---

* ابن الحنّاط هو أبو عبد الله محمد بن سليمان، العالم الضرير، المتبحر بعلوم الجاهلية والإسلامي ، توفي سنة 437هـ/1046 م، في كنف الأمير محمد بن القاسم، ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م1، ص 339 – 340 .

(1) ابن بسام، نفس المصدر و الصفحة.

والعناية بالبدء و العرض و الخاتمة . كما انعكست عليها فخامة و عظمة الأندلس في عصر الخلافة، نلمس ذلك من خلال كثرة الألقاب، و الجمل الدعائية المفخمة، و العبارات الاعتراضية ، و من خصائصها المشرقية المقتبسة عن طريق ابن العميد، و التي تميل إلى التكرار و التطويل و البسط و الأطناب. [1]

إن النثر السلطاني الأندلسي حمل في مضامينه العديد من ملامح وسمات الشخصية الأدبية المستقلة .[2] نلمس ذلك بالخصوص في عدم المبالغة في تعظيم الخلفاء ، السلاطين، كما أنها استطاعت أن تجمع مزايا كثيرة تقاطع معها إلتقاء المشرق بالمغرب، وظل النثر الأندلسي بما ف يه أدب الرسائل السلطانية محافظا على عربيته وفصاحته لم تفسده العجمة إلى غاية جلاء المسلمين عن بلاد الأندلس. [3]

لقد استطاعت ا لكتابة السلطانية خلال هذا العصر أن تتعدى الحواجز السياسية بكل قوة ، ظهر ذلك بالخصوص في تنوع الأساليب البلاغية و تلوينات المحسنات البديعية التي أضفت التفاعل و التكامل على الأثر الحضاري للكتابة السلطانية ، بما حملته من مظاهر التطور و اكتمال سمات استقلال الشخصية الأدبية للنثر السلطاني التي ظهرت في أواخر عصر الخلافة بظهور كتاب بارعين أغنوا الكتابة الفنية بأمثلة رفيعة من كتاباتهم الإنشائية.[4]

---

(1) أحمدهيكل، المرجع السابق،ص 252 – 338 .

(2) إحسان عباس، المرجع السابق، ص 81 – 82 .

(3) محمد عبد المنعم الخفاجي، الأدب الأندلسي،التطور و التجديد، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 573 .

(4) إحسان عباس، المرجع السابق، ص 329 .

كما اتسموا بأسلوبهم الخاص الذي تميزوا به . ويرى أحد الباحثين أن استقلالية الكتابة في الأندلس جاءت نتيجة هاجس التحدي للخطاب الأدبي المشرقي و الرغبة في التفوق عليه بالتقليد ثم بالتجديد ، اتبعته في ذلك المنوال مظاهر من الإتباع ومظاهر أخرى من الابتداع شكلا ومضمونا. (1)

و مما لا شك فيه سيكون لهذه الأنماط المستجدة و المتطورة الدور الكبير في تفعيل و اتساع مجالات الكتابة السلطانية ، و هو ما سوف نبرزه ضمن عناصر الفصل التالي من هذه الدراسة.

---

(1) محمد مسعود جبران، المرجع السابق، ج 2، ص 406 .

الفصل الثالث :

عينات من الكتابة الرسمية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس

أولا : الكتب السياسية العسكرية

ثانيا : الكتب الإدارية

ثالثا : كتب القضايا الاجتماعية و الاقتصادية

رابعا : كتب المجال الثقافي و الفكري

خامسا : كتب العلاقات الخارجية

عينات من الكتابة الرسمية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس :

مما لا شك فيه أن الحضارة الإسلامية في الأندلس في عصر الخلافة الأموية أفرزت العديد من الأمور التي ساهمت في تنويع مواضيع الكتابة السلطانية بما يتناسب و خصائص و شؤون الدولة و اهتماماتها ، سواء على المستوى العام أو الخاص ، و سوف نتناول في هذا الفصل نماذج لموضوعات كشواهد ، و قد عملنا على تصنيفها في مجالات عدة بهدف استجلاء الأبعاد السياسية و الدلائل الحضارية المنسجمة مع روح العصر ، بما حملته من مجد و قوة ، و كذا الاضطرابات السياسية و انعكاساتها و تداعياتها.

1. الكتب السياسية و العسكرية :

أ. كتاب في الأمان* لسنة 326 هـ /939 م :

لقد سعى عبد الرحمن الناصر و بذل قصارى جهده على محاربة المناوئين له والثائرين ضده و تتبعهم حتى القضاء عليهم بالموت أو الاستسلام ، و استعمل أسلوبا آخر حيث انتهج سياسة منح الأمان إن هم خضعوا لشروط الطاعة، [1] ككتابه الذي أصدره في سنة 326 هـ /939 م الذي بعث به إلى محمد بن هاشم

---

* الأمان هو " رأس مال الملك ، و عليها التعويل في حقن الدماء و حفظ الأموال و منع الشرور و قمع الدعار و المفسدين ، و المنع من التظلم المؤدي إلى الفتنة و الاضطراب ، ومنها الوفاء بالعهد ، و هو الأصل في تسكين القلوب و طمأنينة النفوس ووثوق الرعية بالملك إذا طلب الأمان منه خائف أو أراد المعاهدة منه معاهد " ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، ص 24.

(1) حسن محمود حسن ، منى حسن محمود ، تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، دار الفكر ، القاهرة ، ط 1 ، 1999 ، ص 138.

الثائر بسرقسطة و اللائذ بالتوبة و الطاعة و عقد له الأمان بأوثق عقدكم عبّر عنها ابن حيان و مما جاء فيه " ... الأمان لمحمد بن هشام و إخوته و بنيه و ذويه ، وجميع أصحابه و رجاله ، و من اتصل به و بهم جميعا من أهل سرقسطة مدة يرضاها الناصر لدين الله ، و يملّكه إياها تمليكا ، يدخل فيها من يشاء ...ويكون أهل مدينة سرقسطة و من يبقيه محمد بن هاشم بينهم من أهله و أتباعه ، آمنين بأمان الله محفوظين بعهد الله ... و أن يجدد البيعة لأمير المؤمنين ، و يلتزم شروطها ، و يخلص الطاعة له ، و يوفي حقوقها و أن يغزو مع أمير المؤمنين ويعادي من عاداه و يحارب من حاربه و يسالم من سالمه من أهل الملوك وغيرهم ،... و يصير ذلك له وصية فيمن بعده ، يلزم الوقوف عندها ، على سبيل الخلفاء في خالدات عهودهم ، إن شاء الله تعالى ".[1] و لقد ترتب عن هذا الحدث مراسيم حلف " خمسين يمينا منسوقة ".[2] أقام بها كل من الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله و محمد بن هاشم بمسجد سرقسطة الجامع و أمام شهادة جمع من كبار رجال الدولة. [3] و دخل الناصر لدين الله مدينة سرقسطة يوم الخميس 14 محرم 326 هـ / 22 تشرين الثاني (نوفمبر) 937 م و أصلح أحوالها و نظم أمورها وأرسل قائده نجدة بن حسين الصقلبي لغزو أرض النصارى و رافقه محمد بن هاشم بعد استئمانه ، و سار المسلمون رغم سقوط الثلوج إلى شنت اشتبين ، وتفرقوا ثلاث فرق تغير على أماكن محددة ، ثم تجمع الجيش أمام حصن شنت اشتبين و حاول النصارى التصدي للمسلمين ففشلوا و توغل المسلمون بعد ذلك في

---

(1) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص 404 – 407.

(2) نفس المصدر و الصفحة.

(3) نفس المصدر ، ص 407 –410.

أراضي قشتالة يدمرون ويأسرون و يقتلون و عادوا محملين بالأسرى و الغنائم إلى سرقسطة حيث كان الناصر يقيم ينظم شؤون الثغر الأعلى و قفل راجعا إلى قرطبة في ربيع الأول 326 / جانفي937 م.[1]

لقد كان لهذه السياسة أثرها الايجابي ، إذ استطاع عبد الرحمن الناصر كسب بعض الثوار و ضمهم إلى جانبه فأصبحوا من أخلص الأتباع.

ب. رسائل البيعة :

إن البيعة هي موضوع سياسي معتمد على الدين ، و في هذا يقول ابن خلدون " اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة ، كأن الم بايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه ، و أمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط و المكره ، و كانوا إذا بايعوا الأمير و عقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد فأ شبه ذلك فعل البائع و المشتري فسمي بيعة ، مصدر باع ، و صارت البيعة مصافحة بالأيدي . هذا مدلولها في عرف اللغة ، و معهود الشرع ، و هو المراد في الحديث بيعة النبي صلى الله عليه و سلم ليلة العقبة ، وعند الشجرة ، و حيثما ورد هذا اللفظ و منه بيعة الخلفاء"[2] و لهذا فإننا نجد كل الرسائل المشيرة للبيعة أو المتضمنة لها العهد على الطاعة للخليفة أو الملك أو الأمير.

و للتدليل على ذلك نورد أمثلة من رسالة أحمد بن برد الأكبر إلى الخليفة

---

(1) ابن خلدون ن العبر ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 140 ، لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال الإعلام ، ص 36.

(2) ابن خلدون ، المقدمة ، المجلد الأول ، ص 370.

عبد الرحمن الناصر لدين الله " ... و إلى هذا والى الله سعودكم ، و حرس وجودكم ، فقد تقدم خطاب معظمكم في هذه الأيام ، بذكر ما هدى الله تعالى من الاعتصام ، بالدخول في دعوة الحق ، و تقرير ما كان في تكميل البيعة السعي دة من العمل المرجو بحسبه عموما الصلاح و شموله، و التأسيس لمبانيها على الإخلاص ، الذي لا ينفع الله بعمل مالم تكن هذه السبيل سبيله ، و الاعتماد فيها على إقامة رسم الدين ، الذي لا يشوبه غرض ، و لا يتعلق بما اتجه فيه من الأغراض الدينية للدنيا غرض ، إذ كان أيمن الأعمال فاتحة و عاقبة ، و أحراها بأن لا تزال السعادة له مصاحبة ما تمخضت فيه لإرادة وجه الله تعالى الطويات ، و رفضت دونه الأطماع الدنيويات ... ".[1]

و عند دراستنا لفقرات الرسالة نجدها تدور حول معان دينية معتمدة في أساسها على المصادر الإسلامية الأساسية كالقرآن و السنة النبوية الشريفة والإجماع والقياس والمتمثلة في الأعمال الخالصة للإرادة الإلهية ووجهها ، و التي بدونها لا يتحقق دوام السعادة ، و كالاعتماد على إقامة رسم الدين ، أو القيام بجميع مصالح الأمة.

أما قضية البيعة فهي معتمدة على أسس دينية كالإخلاص مثلا في خدمة الدين والرعية ، و الآمال المعلقة على البيعة فمنها عموم الصلاح و شموله و هذا لا يتحقق إلا بالاعتماد على النية و الإخلاص المأخوذ من المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ألا وهو السنة النبوية الشريفة ، و لهذا جاء في الحديث " إنما الأعمال بالنيات ، و إنما لكل امرئ ما نوى ".[2]

---

(1) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي ، ص 210.

(2) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، رقم الحديث 194 .

و كذلك من بين شروط البيعة العمل على إقامة رسم الدين أو المحافظة عليه.إن بنية الفقرات الواردة في رسالة البيعة اتكأت على عناصر دينية . هذا على مستوى معاني الخطاب ، أما على مستوى الجمل و الألفاظ فإنه كان من الطبيعي أن تؤدى إلى المعاني الجزئية التي يبنى عليها موضوع الخطاب أي موضوع البيعة ، والتي هي موضوع سياسي أساسه المصلحة الدينية و الدنيوية لتنظيم شؤون المسلمين.

ج. وصية استخلاف الحاجب المنصور بن أبي عامر لسنة 381 هـ /991 م:

لقد جرت رسوم الحكم في الأندلس أن يوجه الخلفاء كتب وصايا الاستخلاف لأبنائهم أو أولياء عهدهم الذين سيعقبونهم في مناصبهم . و هذا النوع من العهود غالبا ما يقيدها الخلفاء في أواخر أيام حكمهم، و من أهم ما تشتمل عليه رسائل الاستخلاف جملة من النصائح و الإرشادات القيمة.

و يعتبر كتاب الحاجب بن أبي عامر لسنة 381 هـ / 991 م نموذجا لوصية الاستخلاف ، وجهها إلى ولده عبد الملك و مما جاء فيها " يا بني لست تجد أنصح لك و لا أشفق مني عليك ، فلا تتعدى وصيتي ، فقد جودت لك رأسي و رويتي على حين اجتماع من ذهني فأجعلها مثلا بين عينيك ، و قد و طئت لك مهاد الدولة ، و عزلت طبقات أوليائه و قايست لك بين دخل المملكة و خرجها ، واستكثرت لك من أطعمتها و عددها ، و خلفت لك جباية تزيد على ما يقويك بجيشك و نفقتك ، فلا تطلق يدا في الإنفاق ، و لا تغض لظلمة العمال ، فينحل أمرك سريعا ، فكل سرف إلى اختلال ، فأقصد في أمرك جهدك و استلبث فيما يرفع إليك أهل البطالة ، والرعية قد صفيت لك تقويمها و أعظم مناها إلى أن تأمن

البادرة و تسكن الى لين الجنبة ... و صاحب القصر قد علمت مذهبه ، و إنه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه.

والألفة ممن يتولاه ، و يلتمس الوثوب به ، فلا تنم عن هذه الطائفة جهدك ، و لا ترفع عنها سوء الظن و النميمة ، و عاجل بها من خفنته على أقل تهمة ، مع قيامك بحق صاحب القصر على أتم وجه ، فليس لك و لأوليائك شيء يقيكم الحنث في يمين بيعته إلا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة ... ".[1]

من خلال نص الوصية يمكن استنتاج عدة أمور أولها أنه يضع تجربته في الحياة السياسية تحت تصرف ولده ، و هي تجربة رجل محنك عركته الأحداث السياسية ، لكي يسترشد بها في قيادة البلاد ، و ثانيها أنه يوصيه خيرا بصاحب القصر و يرفع من شأنه و يعظم قدره ، و أن لا يعر أهمية للوشاة المناوئين له ، و أن يضع من يطعن في صاحب القصر تحت الرقابة المستمرة ، و أن يضرب عنق من يشك في ولائه على أقل تهمة و أتفه شائبة ، و ثالثها انه يشير إلى تقويمه للرعية حيث أصبح الأمن على الحياة أعظم مناها ، و الشيء الخطير في هذه الوصية انه تم توريث منصب الحجابة في البيت العامري ، و هي سابقة في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس ، لأن المقاليد في المناصب السلطانية تكون تحت إشراف الخليفة مباشرة . و اللافت للانتباه أن وصية الاستخلاف هذه يعود تاريخها إلى عام 381 هـ / 991 م.[2] و هذا تاريخ يعتبر مبكرا ، إذا ما قارناه بسنة وفاة المنصور المؤرخة في 392 هـ / 1002 م[3] ، و قد يكون سبب ذلك إلى

---

(1) ابن بسام ، الذخيرة ، المصدر السابق ، ق 4 ، ج 1 ، ص 76 –78

(2) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2، ص 293.

(3) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ج2 ،ص 80.

الأمراض التي كانت تنتاب الحاجب المنصور ابن أبي عامر من حين لآخر.[1]

د. كتاب في الجهاد لسنة 390 هـ / 1000 م:

يعتبر الجهاد من أهم الأسس التي ترتكز عليها مشروعية القتال في الإسلام ، و ذلك حتى يكون الدين كله لله " و الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه و هو لباس التقوى و ذرع الله الحصينة و جنته الوثيقة " [2] و أصل الجهاد في سبيل الله ليس لحمل الناس على اعتناق الإسلام كرها و بحد السيف ، و لكن لإزالة الحواجز و العواقب المانعة من إلقاء تعاليم الإسلام على الناس[3]، و في ذلك جاء قوله سبحانه و تعالى " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِينْ قَدْ تبَيَّنَّ الرُشْدُ مِنَ الغَيِّ ." [4] وكتب الجهاد عادة ما تكون حاثة عليه ، مبينة أهدافه و أبعاده ، شارحة بواعثه وفضائله ، و هي تهدف كما ذكر القلقشندي إلى إعزاز كلمة الله عز و جل وإسباغ النعمة باظهار هذه الملة ، و ما وعد الله من نصر أوليائه و خذلان أعدائه .[5]

و من المصادفات العجيبة كما تذكر المصادر التاريخية أن ميلاد الحاجب بن أبي عامر إقترن " بغزوة الخندق " التي انهزم فيها عبد الرحمن الناصر ، حيث يقول ابن الآبار عن مولده " و كان مولد المنصور محمد بن أبي عامر سنة

---

(1) ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4، مجلد 1، ص 76.

(2) الإمام علي بن أبي طالب ، نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، دار الأندلس ، بيروت ، ط3 ، 1983 ، المجلد الأول ، ص 140.

(3) علي محمد الصلابي ، صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي ، القاهرة 2006 ، ج1، ص173.

(4) سورة البقرة ، الآية 256.

(5) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 8 ، ص 246.

327 هـ / 939 م ، و فيها كانت الهزيمة العظيمة بالخندق على عبد الرحمن الناصر فأخذ الله بثأر الاسلام على يدي المنصور ".[6] و يأتي كتاب الحاجب المنصور الخاص بموقعة صخرة جربيرة (cervera pena) لسنة 390 هـ / 1000 م كمثال على جهاده و غزواته التي اشتهر بها ضد نصارى شمال الأندلس.

لم يكن الانتصار في هذه الغزوة سهلا للحاجب و جيشه لعدة أسباب منها : أن المعارك كانت حامية الوطيس بفعل تحالف ملوك و أمراء النصارى و اتفاقهم على الصمود في وجه الجيش الإسلامي الأندلسي ، و تخاذل بعض قادة فرق وجنود جيش المنصور ابن أبي عامر و فرارهم من ساحة المعارك ، و تخاذلهم عن نصرة الدين الإسلامي .صحيح أن نهاية المعركة كانت لصالحه إلا أن ثمنها كان غالبا من دماء من استشهد فيها ، لذلك و على اثر عودته إلى قرطبة وجه إلى قواده و جنوده كتابا فيه الكثير من التعنيف و السخط على ما بدا منهم من تقصير في الجهاد في سبيل الله عز و جل . ومما جاء فيه " ... و كثيرا ما فرط من قولكم ، و سبق من عزمكم ، إنكم تجهلون قتال المعاقل و الحصون ، و تشتاقون ملاقاة الرجال على العجول ، فحين جاءكم شانجه * بالأمنية ، و قاتلكم بالشرطية ، و ظهرت لكم رعلة الطائفة النصرانية ونافرتم ما ألفتم حتى فررتم فرار

---

(1) الحلة السيراء ، ج 1 ، ص 272 –273.

* هو شانجه غرسيه الثالث ملك نافار 970 –1035 م حصل على عرش قشتالة و استولى على اغلب ليون ، كما وحد ممالك اسبانيا لعدة سنين .وليام لانجر .موسوعة تاريخ العالم.ترجمة محمد مصطفى زيادة.د ت .ج1 ، ص649.

اليعافير** من آساد الغيل ...فألحقتم العار بأنفسكم ... فلا نعمتي رعيتم ... و لا غضب الله و رسوله صلى الله عليه و سلم اتقيتم ، فقد قال الله عز و جل : " يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [1] و قال " وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ" [2] ففيم ؟ ولم كان انحيازكم ؟ أشكا في وعد ربكم ؟ أم كان خورا في أصل طبعكم ؟ أم عجزا عن دفع باطلهم بحقكم ؟ ... و لولا رجال من الله صدقوا ، فرفضوا عنكم العار بجلادهم ، و حرروا رقابكم من الذل بجهادهم ، و بذلوا في الله ما بذلوه بحكم القرآن و الرعاية لذمم الدين و السلطان ، لبرئت من جماعتكم ... لن أعدم من الله العلي العظيم عاجل نصر و حسن عقبى لعباده المخلصين و أوليائه المتقين ، فلابد أن ينصر الله دينه بما شاء... "[3]

و لعل ابن أبي عامر كان متأثرا بخطبة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والتي جاء فيها قوله " فيا عجبا ، و الله يُمِيتُ القَلْبَ و يجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم و تفرُقكم عن حقكم فقبحا لكم و ترحا ، حين صرتم غرضا يرمى ، يغار عليكم و لا تغيرون ... ، فإذا كنتم من الحر و القر تفرون فأنتم و الله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال و لا رجال ، حلوم الأطفال ، و عقول

** اليعافير ، الغزلان ، و في بعض الشروحات الحمير ، المختار من صحاح اللغة ، المرجع السابق ، ص 347.

(1) سورة الأنفال ، الآية 45.

(2) سورة الأنفال ، الآية 16.

(3) النباهي ، المرقبة العليا ، مصدر سابق ، ص 110–111.

ربات الحجال ".[1] لقد كان لانتصار الحاجب ابن أبي عامر في هذه المعركة رغم الصعوبات الكبيرة وملابساتها الدقيقة له مغزى عظيم الأثر في الأوساط الأندلسية دل على ذلك قصيدة الشاعر صاعد البغدادي و التي هنأ فيها المنصور بالفتح العظيم و كان مطلعها :

الْيَوْمَ عَاشَ الدِّينُ وَ ابتَأَ الهُدَى غَضاً وَ عَادَ المُلْكُ عَذْبَ المَوْرِدِ [2]

إن الكتاب الذي أوردناه سابقا جاء في صيغة خطبة الجهاد ، و لقد عكس كتابه صدق حالة الحاجب النفسية المشحونة بالغضب و النقمة على جماعة جنوده الفارين ، كما تجلت فيها مشاعر السخط لقائد الجيش ، فجاءت الرسالة مجلجلة الإيقاع ، متلاحقة العبارات ، كثيرة الفواصل ، يشيع فيها التقابل * بين المقاطع ، وينشر فيها نوع من السجع الفقير الصنعة ، القليل التنوع ، كما اسندت الكلمات إلى جمع المخاطبين (عرفتم ، نفرتم ، ألفتم ، فررتم ، و لا وجوهكم أبقيتم ، لسفه أحلامكم).

لقد اعتمد الكاتب كثيرا على عبارات و شواهد من القرآن الكريم ، و ذلك لإبراز قيمة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) ، وفضح تخاذلهم أمام العدو الص ليبي ، و من ناحية ثانية وسيلة لنشر أخبار انتصاراته. وهذه مسائل تدخل في الحسابات السياسية و النفسية التي تعتمد من قبل

---

(1) ابن أبي طالب، الإمام علي ، نهج البلاغة ، المصدر السابق ، ج 1، ص 140–141.

(2) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 69.

* التقابل : هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب ، احمد الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 304.

السلطة ، فالتحذير في الكتاب ليس موجها فقط إلى المنهزمين من جيشه من القادة و الجند وإنما كذلك لكل من تسول له نفسه الخروج عن طاعة السلطان.

هـ. كتاب الخليفة المرتضى إلى زاوي بن زيري صاحب غرناطة لسنة 409 هـ / 1019 م :

لقد أصبح للحرب في الكتابة الرسمية لعهد الخلافة الأموية بالأندلس ، مكانا بارزا ومتنوع الأغراض ، و ذلك لتعدد العوامل و الأسباب الكامنة و راءها والدافعة لها . و الكتاب الذي سنذكره يقع ضمن هذا السياق ، حيث يمثل نموذجا لبعض أوجه الصراع الدموي الذي طبع أوضاع الأندلس أيام الفتنة العصبية . فاهتز كرسي الخلافة و السلطان في قرطبة ، و تقلص نفوذ الخليفة ، و استقل كل أحد بموضعه ، و خرجت العديد من الولايات عن طاعته .[1] بعث الخليفة المرتضى* بعد بيعته عام 409 هـ / 1019 م كتابا إلى أمير صنهاجة زاوي بن زيري صاحب غرناطة . لقد بادر الخليفة إلى استعمال الدعوة السلمية للتفاهم عن طريق المراسلات ، و احتفظت المصادر التاريخية منها ببعض النصوص والإشارات الدالة على تبادل الكتب بينهما .لقد خاطب الخليفة المرتضى الأمير الصنهاجي بكتاب " يدعوه فيه إلى طاعته ، و مسح اعطافه ، و أجمل موعده".[2]

---

(1) أحمد فكري ، المرجع السابق ، ص125.

* هو الخليفة الأموي عبد الرحمن الرابع بن محمد بن عبد الله الناصر الملقب بالمرتضى ، قتل في السنة التي بويع فيها 409 هـ/1019 م في الطريق الى قصر قرطبة، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 121 – 122 ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص101 ، ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ج1 ، ص 351 ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 271 ، لسان الدين ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 124.

(2) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 125.

كما وعد المنتزين بقرطبة بأ مان الخروج ، لأنه لا سبيل إلى بقائهم بذلك الموضع.[1]

لا بد من الإشارة إلى أن الخليفة لم يكن واردا لديه على ما تذكر المصادر التاريخية ، المواجهة أو الصدام مع زاوي بن زيري عندما خرج من شرقي الأندلس سنة 409 هـ /1019 م ، فقد كان هدفه قرطبة باعتبارها رمزا للسلط ة الأموية للقضاء على القاسم بن حمود الإدريسي العلوي ، الذي تولى الخلافة بعد مقتل أخيه علي ، و كان له من العمر 65 و تلقب بالمأمون . لكن خيران العامري و منذر بن يحي وغيرهم من الموالي العامريين ، لما رأوا قوة شخصيته ، خافوا أن يحد من نفوذهم[2]، عندها عملوا على الغدر به من أجل القضاء عليه ، فأشاروا عليه بالتوجه إلى غرناطة لدعوة زيري للدخول في طاعته.

بعد أن قرأ زاوي بن زيري الكتاب طلب من كاتبه بالرد على ظهر رقعته

---

(1) بن بلقين ، عبد اله ، كتاب التبيان ، تحقيق أمين توفيق الطيبي ، الرباط ، 1998 ، ص61.

(2) لقد عرف عن الفتيان العامريين انتهازيتهم ، و مواقفهم المتغيرة حسب المصلحة ، فقد عمل الخليفة العلوي الحمودي على تقوية السلطة المركزية و استعمل الشدة و القسوة مع العصاة و فتك بالمعارضين من العرب و البربر ، و تقرب من سكان قرطبة وأحسن معاملتهم و أقام العدل ، فتح باب قصره لهم وسار فيهم سيرة الخلفاء الراشدين ، و أجرى الاحكام على الجميع دون محاباة احد من أعيان الدولة (البيان المغرب ، ج 3 ، ص 123) لذلك خشي الفتيان العامريون من سطوة الخليفة الحمودي فانقلبوا عليه حسب عادتهم في التقلب ، بن القاضي ، أحمد . جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس ، الرباط ، 1974 ، ص 52.

يقول الله عز و جل " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ " [1] و أرسله إلى الخليفة الأموي الذي قرأه و أعاده و فيه تهديد ووعيد " ... قد أتاه بجميع أبطال الأندلس والفرنجة فما عساه يصنع أمام تلك القوة ؟ و أنهى كتابه ببيت من الشعر:

إِنْ كُنْتَ مِنَّا أَبْشِرْ بِخَيْرٍ أَوْ لاَ فَأَيْقِنْ بِكُلِّ شَرٍّ[2]

فكان رد زاوي السورة الكريمة " بسم الله الرحمن الرحيم ، أَلْهَاكُمُ الْتَكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ .كَلاَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ.ثُمَّ كَلاَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ.كَلاَ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ.ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ".[3]

فازداد المرتضى غيظا و يئس منه و نشبت معركة حامية الوطيس بين الجانبين استمرت عدة أيام انتهت بمقتل الخليفة الأموي و فرار أعوانه من المعركة و خيل زاوي تطاردهم.[4]

و غنم الصنهاجيون معسكر المرتضى بما فيه من العتاد و الخيل و فساطيط الأمراء و مضارب الرؤساء ، و من ضمنها سرادق المرتضى الخاص . و كانت حصة الفارس الصنهاجي من الغنائم عشرة أبغال موقرة ، إذ كان الجيش الأموي قدم إلى المعركة و معه ما يملك الأمراء لأنهم كانوا واثقي ن من النصر ، و كان أول المنهزمين من ساحة الحرب و من المعسكر الأموي منذر بن يحي و خيران

---

(1) ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ج1، ص 351 ، ابن الخطيب.
(2) المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 30
(3) سورة التكاثر.
(4) بن القاضي ، المصدر السابق ، ص53.

العامري. ذلك أن المرتزقة الإسبان كانوا قد حذروا منذرا من غدر الموالي العامريين ، ففت ذلك في رجاله ، فلما تراجع من المعركة مع جيشه لم يعرف أحد السبب ، و مر بسليمان بن هود و حرضه على الفرار ثم تبعهم خيران .[1] و بقي المرتضى – رغم جبنه – كما يقول ابن عذاري ، يقاتل مع العامريين الذين صمدوا في المعركة ثم فروا بعد أن كثر القتل فيهم و تركوه و حيدا ، حينئذ خاف أن يقع في الأسر ففر هاربا ، و لكن خيران العامري كان قد جعل حوله عيونا يراقبون تحركاته و أوعز إليهم قتله حين تواتيهم الفرصة ، فلحقوا به قرب وادي آش * ، وقتلوه بعد أن آمنوه على نفسه [2] ، و حملوا رأسه إلى خيران و منذر.

و نجا من تلك المعركة أخوه أبو بكر بن هشام ، و انتقل إلى حصن البونت واستقر عند صاحبه ابن قاسم بعد أن شعر أن الفتيان العامريين منزعجون من وجوده ، وكان ابن قاسم من أشرف الأمويين فأكرم وفادته و أجاره . و بقي أبو بكر مقيما في البونت حتى مبايعته بالخلافة فيما بعد.[3]

و قد علق ابن عذاري على هذه المعركة لأنها كانت ذات وقع كبير على الأندلسيين (مصيبة أنست ما قبلها ، و لم يجتمع لهم جمع بعدها ، و أقروا بالأدبار و باؤوا بالصغار).[4]

---

(1) ابن عذاري ، ج3 ، ص 126.

* وادي آش يقع بالقرب من مدينة غرناطة ، ابن بسام ، الذخيرة ، ص455.

(2) المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 407.

(3) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج3 ، ص 127.

(4) ابن بسام ، نفس المصدر و الصفحة.

و قد انهارت دولة المروانيين الأمويين في الأندلس و قتل من ظهر منهم بأقاصي البلاد و زهد الناس في دولتهم وتفرق من بقي منهم في أنحاء الأندلس ، (وأمتهنوا و أهينوا) و دخلوا في عامة الناس.[1]

كان من نتائج هذه المعركة أن زاوي بن زيري الذي أحرز النصر على الخليفة الأموي ، صمم على مغادرة الأندلس إلى افريقية ، فأرسل يستأذن ابن عمه المعز بن باديس في العودة ، فأذن له بذلك ورحب بذلك أيضا بنو عمه الصنهاجيون في القيروان ، و غادر الأندلس سنة 416 هـ / 1025 م محملا بالذخائر و الأموال.

و يعود سبب مغادرة القائد الصنهاجي الأندلس حسب ما نعتقد إلى أنه أحرز كثيرا من الغنائم و الأموال أيام الفتنة ، و تخوف من كر الأندلسيين عليه ، إذ أن النصر الذي أحرزه على المرتضى لم يكن لتفوقه عليه بالعدة و العدد ، و إنما لتخاذل أصابه و أنصاره و فرارهم من المعركة بدون قتال.[2]

و لذلك خاطب أنصاره بقوله : " إن انهزم من رأيتموه لم يكن بسبب قوة منا ، إنما جره مع القضاء غدر ملوكهم لسلطانهم ليهلكوه كما فعلوا . فاني عرفت ذلك من يوم نزولهم . و لذلك كنت أقوي أنفسكم . و قد نجانا الله منهم ، و من القوم ولم يقدموا إلا رئيسهم و استخلافه هين عندهم . و لست آمن عودهم إليكم فيما بعد ، فلا يكون لنا قوام بهم . فالرأي الخروج عن أر ضهم ... و السلامة مع إحراز الغنيمة والرجوع إلى الجمله التي انفصلنا عنها كانفين... و الذرية مباعدين لما

---

(1) ابن بسام ، المصدر السابق ، ص 455.

(2) لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، مصدر سابق ، ص 131.

وراءنا من زناتة أعدائنا الذين لا يغفلون عنا لا سيما و قد فرقنا قوهم و نبشنا أحقادهم المدفونة بيننا ، فأن فرغوا لنا على قلة عددهم ظاهروا علينا الأندلس ، وقعنا منهم بين لحيي أسد فأصطلمونا ، و ها أنا قد قدمت لكم النصيحة و أنا راحل عن الأندلس . فمن أطاعني فليرحل معي ".[1]

إن كتاب الخليفة الأموي المرتضى حمل أصداء أزمة فتنة القرن الخامس الهجري التي عاشتها الأندلس و أوضحت قدرا من تفاصيلها الدقيقة ، و كشفت عن التحالفات المختلفة و التعاون مع نصارى الشمال.

و بذلك فتحت أبواب الأندلس أمام الإسبان الذين أصبحوا يتدخلون في شؤون الخلافة ، كما شجع حركة الاسترداد التي استهدفت اقتطاع أراضي الأندلس من المسلمين.

---

(1) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 129.

2. الكتب الإدارية :

أ. رسالة في العزل عن العمل لسنة 325 هـ / 937 م :

إن أسباب العزل و التنحية كثيرة و متنوعة منها : سوء التسيير ، عدم الالتزام بالتعليمات ، التصرف بتفرد دون العودة إلى رأي الخليفة ، شكاية العامة من الجبايات غير المشروعة المفروضة عليهم ، الاستهتار بالأمور الدينية وغيرها. و لعل كتاب الخليفة الناصر لدين الله إلى قائده أحمد بن إسحاق* جوابا على رسالة كان قد بعث بها إلى الناصر مع عامله على مدينة شنترين يطلب منه أن يجعله وليا لعهده بدلا من الحكم أو عبد الله ابني عبد الرحمن الناصر [1]، و مما جاء في جوابه " أما بعد : فانا كنا نرى الاستحماد إليك استصلاحا لك ، فأبى الطبع الغريزي إلا ما استحكم منه السوء ، إلا أن استحوذ عليك ، فالفقر يصلحك و الغنى يطغيك ، إذ لم تكن عرفته و لا تعودته ، أو ليس كان أبوك فارسا من فرسان ابن حجاج أخسهم حالا عنده ، و أنت يومئذ نخاس الحمير باشبيلية ، فأقبلتم إلينا ، فآويناكم و نصرناكم و شرفناكم ، و مولناكم ، و استوزرنا أباك ، و قلدناك أعنة الخيل أجمع ، و فوضنا إليك أمر ثغرنا الأعظم ، فتهاونت بالتنفيذ لنا و قلة المبالاة بنا . ثم مع هذا الترشيخ للخلافة فبأي حسب أو أي نسب ، و فيكم قال القائل : أَنتُمْ خُئُولَةُ الْخُئُولَةْ وَ لَعَيْنَ خَزٌّ كَخَيْشِ

---

* أحمد بن إسحاق القرشي. من أصل أموي . أصبح من كبار القواد أيام عبد الرحمن الناصر.ثم أرسله الناصر لحصار سرقسطة و بقي هناك ، و على اثر ذلك نال الكثير من الامتيازات ، مما جعله يغالي في طموحه ، حتى رشح نفسه لولاية العهد ، محمد ماهر حمادة ، المرجع السابق ، ص 172.

(1) أخبار مجموعة ، المصدر السابق ، ص 177–178.

أليست كانت أمك حمدونة الساحرة ، و أبوك المجذوم ، و جدك بواب حوثرة ابن العباس يفتل الحبال في أسطوانة و يخيط الحلفا على باب داره ؟ فلعنك الله و لعن من أنشبنا بك.

فيا مأبون و يا مجذوم ، و يا ابن الكلب و الكلبة أقبل صاغراً [1]، إن السباب والشتائم دليل واضح على مدى حالة الغضب التي كان عليها الخليفة ، فالكلمات الواردة في الكتاب تحط من شأن القائد بشكل كبير . و هذا الجواب على رسالة القائد هو دليل كاف على عزله و معاقبته ، لم يكتف الخليفة بهذا الجواب ، بل أمر مولاه ، القائد نجدة بن حسين بمحاربته في قطعة م ن الجيش مبادرا فتقه ".[2]

و من خلال نص الكتاب يتضح أن خلفاء بني أمية في الأندلس لم يكونوا ليتسامحوا و يجاملوا في تجاوزات قد تضر بدولتهم و سلطتها ، أو خروجها إلى غيرهم.

و من الأسباب التي كانت تؤدي إلى عزل رجالات الخدمة السلطانية ، عدم قيام صاحب الخطة بعمله على أحسن وجه ، فقد عزل عبد الرحمن الناصر سعيد بن حسان عن خطتي الوزارة و السكة معا ، و سجنه مهانا ، لأنه وقف على التدليس في عمل السكة و فساد نقد المال الذي ضرب في مدته.[3]

و العزل عن العمل كان يجر في كثير من الأحيان على صاحبه الكثير من المساوئ ، كالحبس و التعذيب و قطع الجرايات ، و ربما أدى إلى قطع بعض

---

(1) نفس المصدر ، ص 138– 139.

(2) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص394.

(3) نفس المصدر ، ص 486.

أعضاء الجسم أو القتل ، كما حدث للأمير البربري زيري بن عطية الذي كان قائما بالدعوة لبني أمية بالمغرب ، لكن سخط الحاجب المنصور بن أبي عامر عليه عزله و تابعه بالقتل.[1]

إن كتاب العزل كان يقيد في كتاب سلطاني مثله مثل كتب التولية ، لكي يأخذ طابعا رسميا و ينفذ ، كما تبين أن الخليفة في الأندلس له السلطة المطلقة في تنفيذ قرار العزل.

ب. كتب الترقية :

لا شك أن الترقية من رتبة دنيا إلى أخرى عليا ، أو من منصب إلى آخر في الإدارة يبقى طموحا مشروعا لكل أحد يعمل في أجهزة الدولة ، فهي تعني الزيادة في الجرايات و المنزلة السياسية و الاجتماعية ، و عادة ما تكون الترقية كمكافأة يمنحها الخليفة لمن يستحقها من رجالات الدولة بدون طلب منهم في غالب الأحيان على ما بذلوه في عملهم أو مهمة قاموا بتنفيذها ، و قد تمنح بناء على طلب أحد رجال الخدمة السلطانية. فقد طلب القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري من الخليفة الحكم المستنصر بالله أن يرفعه إلى القيادة العليا للجيش فوقع له بالموافقة على ظهر الرقعة، و الكتاب موجه إلى الوزراء لكي يطبقوا ما فيه و هذا نصه : " هذا ما تضمنه غالب لنا بلسانه و أبانه عندنا و بين أيدينا له صامتا ، ثم خطه بيمينه في كتابه هذا ، و قد قبلناه و أمضيناه و رضيناه و أجزناه ، فليلزم توقيعنا هذا و يستقر في البيت عندكم إن شاء الله ، و رأينا أن نوقع اسم القيادة العليا على غالب مولانا لغنائه و جميل مقامه ، فلا يخاطب من الآن إلا به تشريفا

(1) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص ص 131–132.

له ، إن شاء الله ، و الله المستعان ".[1] و هكذا تولى غالب بن عبد الرحمن الناصري القيادة العليا للجيش في الأندلس برا و بحرا . لا بد من الإشارة هنا إلى أن مرتبة القيادة العليا في الجيش مرتبة متقدمة على غيرها ، عظيمة المسؤو لية والمكانة ، لذلك حظي صاحبها بمنزلة رفيعة باعتباره سندا مهما للخليفة في حكمه.[2]

إن موافقة الخليفة على طلب الترقية و ما يتبعها من ألقاب سلطانية ، خاصة إذا كان صاحب الطلب من الذين ساهموا و قدموا الكثير من الخدمات السياسية أو العسكرية للدولة [3]، لها ما يفسرها فهي تعني المزيد من الطاعة و المزيد من التفاني في سبيل خدمة الدولة و السلطان ، و الإخلاص للبيت الأموي ، و تعني أيضا في جملة ما تعنيه ضمان ولائه للدولة ، و هي سياسة كان قد استعملها الأمويون في المشرق أيضا ، و من هنا نستنتج أن تقدير رجالات الدولة وتشريفهم و الإعلاء من مراتب مناصبهم من قبل الخلفاء الأمويين ما هو إلا وجها من وجوه سياسة الاصطناع والترغيب التي أفادت و دعمت حكم الأمويين في الأندلس.

ج. كتاب في منح الألقاب السلطانية :

من مظاهر السلطة في الأندلس منح الألقاب لكبار الموظفين في خطط الحجابة والقضاء و الجيش و الوزارة ، إن المصادر التاريخية تورد نص كتاب

---

(1) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 69.

(2) السيد عبد العزيز سالم ، احمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، بيروت ،1969، ص 184.

(3) يذكر ابن حيان أن الخليفة المستنصر استعان بالقائد غالب في رسم الخطة الحربية لمواجهة الغزو النورماندي. المقتبس ، تحقيق حجي ، ص 66–67.

الخليفة هشام المؤيد* ، منح بموجبه سنة 399 هـ / 1009 م الحاجب المأمون ، ناصر الدولة ، أبي المطرف ، عبد الرحمن بن أبي عامر ** ، و مما جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم أدام الله حفظك ، ... رأينا – أكرمك الله – لما ظهر لنا من جميل طاعتك ... و القيام بأعباء المملكة على أفضل الطرق ... تسميتك في كتبنا إليك و تحليتك بالمأمون في مخاطبتك ... فاعتمل فيما ينفذ من الكتب عنك وإليك على عنوان كتابنا هذا إليك ، نسأل الله عونا شافيا و تأكيدا كافيا إن شاء الله تعالى ."[1]

---

* هو هشام بن الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه و لقب بالمؤيد بالله و كنيته أبو الوليد ، أمه صبح البشكنسية كانت حضية الحكم المستنصر ، تولى الخلافة بعهد من أبيه و هو لم يبلغ من العمر 12 سنة و بذلك استبد دونه الحاجب بالملك بعد أن حجر على الخليفة و حصره في قصره و سد بابه ، و نقل الدواوين إلى قصر الزهراء ، و قعد على سرير الملك ، و أمر أن يحيا بتحية الملوك ، و كتب اسمه على السكة و الطراز و لم يبقى لهشام من رسم الخلافة إلا الدعاء له على المنابر .و بقي في الخلافة مدة 36 سنة.بعد وفاته نبش قبره على أقل تقدير ثلاث مرات .ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 253 ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج2 ، ص 48 – 62.

** عبد الرحمن بن الحاجب المنصور الملقب بشنجول (sanchvelo) تصغير شانجه ، وهو اسم جده لأمه المعروف في المصادر النصرانية بلقب أبركة (Sancho Garces 2 Abarca 970 – 995) ، و هو شانجه الثاني بن غارسيه الأول ، ثالث ملوك البشكونس لمملكة نافارا.ابن عذاري ، ج 3 ، ص 38 .و بقي الاسم كذلك عند العامة و قصدوا به الأحمق . ابن كردبوس ، المصدر السابق ، ص 66 . تولى أمر الأندلس بعد وفاة عبد الملك المظفر و كان ذلك في سنة 399 هـ / 1009 م .

(1) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 41.

يذكر ابن عذاري بأنه عندما أثبتت التسمية و تم الإشهار عنها لدى الناس أنكر العامة عجلة الحاجب عبد الرحمن و خليفته تسميته بالاسم الخلافي ، خاصة و هو لا يتحلى بمزايا تؤهله لذلك مثل أقرانه من أصحاب الألقاب السلطانية [1] ، و قد تمادى الحاجب العامري هذا ليحصل في نفس السنة على لقب ولي عهد الخليفة هشام المؤيد بمقتضى كتاب عهد المبايعة ، و هو يظهر مدى ضعف شخصية الخليفة أمام أطماع الحاجب ، و يشير إلى غياب الوازع الديني أو الأخلاقي ، حيث الاستغلال البشع لصغر سن الخليفة ، و رغم ذلك فالحاجب لم يجرؤ على إعلان نفسه خليفة ، لأنه هناك عدة حواجز ، و بقي البعد الشرعي والرسمي للسلطة الشرعية قائما وحاضرا ، حيث أن اسم الخليفة يرد في كل المكاتبات السلطانية تقريبا ، و هو ما يضفي على هذه النصوص أهمية ذات بعد سياسي و تاريخي.

---

(1) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص 42.

3. كتب القضايا الاقتصادية و الاجتماعية :

أ. الدعوة للقيام بصلاة الاستسقاء لسنة 317 هـ/930 م:

على اثر قحط شديد عرفته الأندلس سنة 317 هـ / 930 م كتب الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله رسالة إلى عماله يطلب دعوة الناس للخروج لصلاة الاستسقاء جاء فيها : " بسم الله الرحمن الرحيم أما بع د ، فان الله عز و جل إذا بسط رزقه و نشر نعمائه ، أحب أن يشكر عليها ، و إذا زواها و قبضها أحب أن يسألها ، و يضرع إليه فيها ، و قد قال جل و تعالى " هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا... لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ " ، فأوجبت به الرغبة... في المسألة فيما احتبس به قد أمرنا الخطيب فيما قبلنا بالاستسقاء في المسجد الجامع يوم الجمعة ، و الجمعة الثانية التي تليه ، إن أبطأت السقيا ، و البروز يوم الاثنين بعده لجماعة المسلمين عندنا إلى مصلاتهم.. ولتكن ضراعتهم إلى الله تعالى ضراعة نقد اعترف بذنبه ، و رجا رحمة ربه ، و الله غفور رحيم ، و هو المستعان لا شريك له ، إن شاء الله ".[1]

يبدو من خلال نص الكتاب كيف أن قضية الجفاف و القحط بسبب احتباس الأمطار ، أي نزول الغيث من السماء تبقى مصدر قلق للسلطة ، الأمر الذي أدى إلى إصدار التوجيه السابق من أجل القيام بصلاة الاستسقاء.

وقد جاء في أحد المصادر الأندلسية وصف دقيق لغيث أغاث إثر جدب عاث " استهلت – أدام الله عزك، كما وصل للمكارم اختيارك مع الصباح ، غمامة نبهت الندامى إلى الاصطباح ، فكأنها بناء على مقبوب أو طبق على الأرض

---

(1) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص 250–252.

مكبوب ، تمشي من الثقل على الأرض هونا ، و تستدعي من الريح عونا ، ومخايلها تقوى و عارضها يتلوى ، فإذا أذن الله لها بالانحدار ، و أنزل منها بمقدار ، سلت الريح خيوط القطر من تلك السحائب ، و أسبلتها إسبال الذوائب ، فدرت السماء من خلف مصرور و نثرت ظلها نثر الذرور، ثم إنخرق جيبها وانبعق سيبها ، فصار الطل و بلا ، و عاد الخيط حبلا ، و ت بينت في الثرى مواضع القطر ، و تضوعت منه روائح العطر ، و أرسلت السماء على الأرض سوادحها ، و عمت بالسقيا منادحها ، فالسحاب يتعلق ، و البرق يتألق ، و الرعد يرتجس ، و القطر ينبجس من غروب هامعة ، و جفون دامعة ، تبكي بلا حزن وتجري على وزن ، و النقط تتوافى طباقا ، و تتبارى سباقا ، ... فأثنت على رحمته التي أنزلها ، و نعمته التي أجزلها ، وهب الله لنا من الأعمال أبرّها ، ومن الأرزاق أدرّها ، و لا أخلانا من الهام ذكره ، وقيامٍ بشكره بمنّه و رحمته ".[1]

ب.كتاب في تبرئة الذمة لسنة 355 هـ / 966 م :

يدخل هذا الكتاب ضمن موضوع " الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر " ، و ذلك لما خص به الله تعالى الفئة المؤمنة بقوله " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ".[2] لذا حرص الخلفاء الأمويون في الأندلس على تعيين عمال الكور و الثغور " الأكفاء ذوي المروءة "[3] لأن عدالة العامل تنعكس على أمن و استقرار الدولة ، حيث يضمنون استكانة

---

(1) رسائل و مقامات أندلسية . تحقيق د.فوزي سعد عيسى ، الإسكندرية ، دت ، ص 98.

(2) سورة آل عمران ، الآية 110.

(3) سالم الخلف ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 336.

العامة و عدم القيام بأعمال معادية للدولة كالعصيان و التمرد و حتى الثورات ، وكثيرا ما تحدث احتجاجا على سياسة الجور و الظلم و التجاوز على حدود الله تعالى في اغتصاب أموال الناس و حياتهم أحيانا. و كان الخلفاء الأمويون يبادرون من حين لآخر بتفقد سيرة العمال و الإدارة و أوضاع الرعية بأرسال بعض الثقات و أمناء الكور و الثغور للتحقيق مع الرعية سرا ، ففي سنة 327 هـ / 939 م أخرج الخليفة عبد الرحمن الناصر القاضي ابن عبد الله بن أبي عيسى * إلى الثغور الشرقية للنظر في مصالح الرعية.[1]

و على نفس الطريقة سار الخليفة الحكم المستنصر بالله ، متبعا سيرة أبيه في تفقد أمور البلاد و العباد ، فلقد أمر صاحب الرد **عبد الملك بن منذر بن سعيد بالخروج إلى الكور الغربية ...، و لقنت و اشبيلية و لبلة و قرمونة ومورور ، و استجه و شذونه لمطالعة رعاياها و التعرف على أحوالهم و الكشف عن سير أعمالهم فيها.و طلب التحقيق في شكاوى العامة إن وجدت ضد العمال ، فإذا ثبتت التهمة على المدعى عليه تمت معاقبته جسديا و ماديا و يعزل عن عمله.[2]

---

* اشتغل بالقضاء و تميز بالعدل و الصرامة في تنفيذ حدود الله و إقامة الحقوق . كان عالما ملما بالسنن و الآثار . قلده الخليفة عبد الرحمن الناصر مع القضاء أمانة كورة البيرة و تفقد عمالها و كلفه بقضاء جماعة قرطبة ، سنة 326 هـ / 938 م ، كما أخصه بتصريف المهمات من أموره كأمانات الثغور و الغارات و الإشراف على المغازي .النباهي ، المصدر السابق ، ص 81 –82.

(1) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص 453.

** هو الذي يتولى رد المظالم على أصحابها ، احسان عباس ، المرجع السابق ، ص 84.

(2) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق حجي ، ص 100.

كتب الخليفة الحكم المستنصر بالله إلى بعض عماله الذين جاروا في سياستهم على الرعية فنكّل بهم و أخذهم بظلمهم و جورهم " أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه لا يظلم مثقال ذرة و لا يقوّي الظالم ، و هو الوكيل بنصرة المظلوم ، و قد أعد للظالمين عذاباً أليماً ، و قد علمتم عنايتنا بالمسلمين ، و حفظنا بالعباد ، فحفظتموها إلى العنف و الاستبداد و حماكم السخف المركب فيكم ، ووصيتنا بالداني و القاصي والمطيع و العاصي ، و نبذتم بالعداء أمرنا ، فلتراجع التوبة عما انتم بسببه من الجور و أثبتوا العدل ، " وَ سَيَعْلَمُ الذِينْ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونْ "[1] و السلام "[2] إن صيغ التعنيف و التوبيخ واضحة في هذا الكتاب و مع ذلك لا يخلوا من الوعظ و النصح و الإرشاد و ذلك من خلال الاستشهاد بالقرآن الكريم ، و بذلك هو يرئ ذمته أمام الله عز و جل و أمام رعيته.

ج. كتاب في اسقاط سدس مغرم الحشد* لسنة 364 هـ / 974 م :

أصدر الخليفة الحكم المستنصر بالله سنة 364 هـ /974 م كتابا يعتبر نموذجا على سياسة الحكام الأمويين في الأندلس في التخفيف من حجم الجبايات المفروضة على العامة ، وفق الظروف و المستجدات و الأحوال الملحة جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم .أما بعد ، فان أمير المؤمنين لم يزل منذ أن اصطفاه الله لخلافته و قلده أعباء رعيته ، ناظرا لجميع المسلمين ...مبتهلا بأمورهم ، متعهدا لأحوالهم ، ساعيا فيما يرفه عنهم و يرغد عيشهم ، تهون عليه في ذلك رغائب

---

(1) سورة الشعراء ، الآية 227.

(2) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 144.

* الحشد : اسم للجمع ، جمع القوم . ابن منظور ، لسان العرب ، المصدر السابق ، مجلد 2 ، ص 88.

الأموال ونفيسات الذخائر و جلائل الأعلاق ، و أن أمير المؤمنين رأى أن يجدد له الشكر و يمتري منه المزيد باسقاط سدس جميع مغرم الحشود الواجب تقاضيها منهم لسنة أربع و ستين و ثلاثمائة تخفيفا عن رعيته وإحسانا إلى مملكته ، وأمر بقراءته عليهم اثر صلاة الجمعة ليفهمه قاصيهم و دانيهم ..."[1]

من الواضح أن القصد من هذا الكتاب هو التخفيف عن كاهل الرعية المثقلة بالجبايات الكثيرة و ربما الكبيرة التي يعجزون عن سدادها و بالتالي تكون مد عاة للتذمر و السخط . لذلك و من باب التقرب إلى العامة و التحبب إليهم بادر هذا الخليفة إلى هذا الاجراء ، الذي قوبل باستحسان كبير.

لهذا الكتاب الكثير من الدلائل ذات العلاقة بالسياسة المالية و الاقتصادية ومدى علاقتها بالأبعاد السياسية و الاجتماعية ، و هذا في حد ذاته يمثل قيمة توثيقية بالغة الأهمية ، حيث أن هذا الخليفة ، و بالرغم من القوة التي يتمتع بها حكمه ، سعى إلى تدعيم سلطته عن طريق توفير الأمن و التقليص من الفروقات الاجتماعية ، لا بد من الإشارة هنا إلى أن الوضع الاقتصادي في الأندلس تحسن كثيرا خلال القرن الرابع الهجري ، حيث أشاد الرحاله الجغرافي ابن حوقل عندما كان في بلاد الأندلس سنة 340 هـ / 951 م بالثراء الاقتصادي و عناء بيت المال بما يضمه من أموال عينية و نقدية [2]، و في عهد الحاجب المنصور ازدادت أموال الدولة نتيجة الغنائم و السبي.[3]

---

(1) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص ص 207–208.

(2) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 107.

(3) عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ج 1 ، ص 83 ، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 301.

إلا أن هناك مجموعة ملاحظات لا بد من الإشارة إليها بخصوص هذا الكتاب و تحسن الوضع الاقتصادي ، و غناء بيت المال.

أولا : أنه يربط استخلاف الحكم المستنصر بالإرادة الإلهية و أن الله عز وجل قد اصطفاه لخلافته ، و قلده (لا نعرف كيف تم ذلك) أعباء بريته ، و في هذا الكثير من التجاوز ، لأن الخلافة هي نيابة عن صاحب الشرع في رياسة الدين و الدنيا و الحكم بالكتاب و السنة و العدل ، العلم ، القدرة و غيرها من الشروط التي نشك توفر الكثير منها في شخص الحكم المستنصر.

لقد كان همّ الكثير من هؤلاء الحكّام منحصرا في كيفية الحصول على الأموال بدون أي اعتبار لمصادرها أو تأثيرها على الرعية لأن الذي يحكمهم " ... سلطان فقير لا يقع بيده درهم إلا من صبابة مستغل جوف المدينة ، أو نهب مغلول ممن تقلقل عنها ، يقيم منه رمقه ، و يفرق جملته على من تكنفه من جنده ودائرته ، ويتطرق إلى ما يقبح رعيته ".[1]

بالإضافة إلى ما كان يرد إلى بيت المال من الأموال المصادرة و المسلوبة والمنهوبة [2]، و استحدث خلفاء هذ ه المرحلة موارد جبائية أخرى منها جباية القطيع *، و في ذلك يقول ابن حزم " و أما في زماننا هذا و بلدنا هذه جزية على

---

(1) ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ج 1 ، ص 50.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

* من القطع جمع قطيعة ، و هي في المصطلح الإداري مبلغ من المال يستقطع عن الرؤوس لا فرق بين مسلم و ذمي . كانت بعد الفتنة البربرية . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 84 ، ابن الآبار ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 233.

رؤوس المسلمين يسمونها القطيع و يؤدونها مشاهرة ".[1]

و هذا الوضع في الواقع كان مرتبطا بالاضطرابات السياسية العنيفة و ما ترتب عنها من مظاهر ، من كل ما سلف ذكره يتضح جليا مدى الارتباط الوثيق بين الأوضاع الاقتصادية و السياسية ، التي تنعكس سلبا و إيجابا على المجتمع.

(1) ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ج 2 ، ص 84—85.

4. الكتب في المجال الثقافي و الفكري :

أ. كتاب حول تكريم العلماء :

كان من العادات و الرسوم التي حفل بها بلاط الخلافة في الأندلس تكريم العلماء الوافدين ، و اقترن اسم مدينة قرطبة في هذا العهد بالعلم و العلماء وأولي الفضل والأدباء.

فقد اشتهر الخليفة عبد الرحمن الناصر بشغفه بالعلم ، حيث كان محبا للعلماء ، و هو الذي استدعى نخبة منهم ، و كانت العاصمة قرطبة تمثل قطب الرحى في ذلك النشاط ، و مهوى أفئدة العلماء و طلاب المعرفة ، و كانت كمركز للخلافة تشهد ورود العلماء و الأدباء على بلاط الخلا فة ، فينالون من الخليفة ووزرائه كل تكريم و تشجيع ، و لهذا لا نعجب أن ألفت كثير من الكتب باسم الخليفة أو باسم وزير من وزرائه مما هو ملموس في حركة التأليف العلمي آنذاك.

و قد شجع العلماء المشارقة القادمين إلى الأندلس و أغدق عليهم العطاء ، وقد أحسن الناصر استقبال العالم الأديب أبو علي إسماعيل بن القاسم المعروف بالقالي * ، عندما و فد على الأندلس في سنة 330 هـ / 941 م ، و جعله مؤدبا

---

* القالي : هو إسماعيل بن قاسم القالي البغدادي (288 – 356 هـ /901 –967 م – عالم باللغة و الأدب ، أديب شاعر ، له مصنفات عدة منها : كتاب النوادر ، الامالي ، ديوان شعر ، الزبيدي : طبقات النحويين و اللغويين . القاهرة ، ط 2 ، (د.ت) ، ص 121.الحميدي ، المصدر السابق ، ص 145–146.المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 71–74.الطاهر أحمد مكي ، دراسة في مصادر الأدب ، القاهرة ، 1999 ، ص 145–140.

لابنه الحكم.[1] و أمر عامله ابن رماحس باستقباله و الدخول به إلى قرطبة في وفد ينتخبهم من وجوه البلد ، و كتب إليه يقول " أشرقت مطالعك و مناظرك ، وروض باديك و حاضرك ، و سقتك البروق ، و تنكب ساحتك الشّ ب الرّوق ، فإن أدبك اليانع هب هبوب النسيم ، و خلص إليّ خلوص البؤء إلى السقيم ، و ألقى عصا الحاضر المقيم ، حين أنصلت أسنة الأقلام ووضعت أوزار الكلام ، و أتبعته بعد الحول اسم السلام.[2]

من خلال هذا النص يبدو واضحا أن الخليفة الناصر لم تكن عنايته بالعلوم والآداب مقتصرة على كونه محبا لذلك ، بل كان هو نفسه يتمتع بقدر لا بأس به من المواهب الأدبية و الشعرية ، فكان عبد الرحمن الناصر على علاء جانبه واستيلاء هيبته[3]، يرتاح للشعر و ينبسط إلى أهله ، و يراجع من خاطبه به من خاصته ، كما ينسب إليه إجادته للإنشاء و كتابته النثر الجميل ، و ليس أدل على ذلك من المقطع السابق الذي بعث به إلى العالم اللغوي أبو علي القالي.

و الجدير بالذكر أن القالي حين دخوله الأندلس جلب معه الكثير من نفائس المصنفات الأدبية و اللغوية و النحوية لأهل المشرق، و بدون شك كان لهذه الكتب أثر عظيم في دفع عجلة النشاط الأدبي في الأندلس نحو التقدم ، و كان له طيب الأثر على النهضة الثقافية و العلمية و اللغوية بالدرجة الأولى[4]، فلقد تأسست أول

---

(1) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص 479–480.

(2) المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 71.

(3) الحميدي ، المصدر السابق ، ص 145 – 146.

(4) عصام محمد شبارو ، الأندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود (91 – 710 هـ/897 – 1492 م) ، بيروت ، 2002 ، ص 185 – 186.

مدرسة للدراسات اللغوية بالأندلس ، كما أملى على طلبته الأندلسيين كتابه الأمالي[1] ، و من تلاميذه أبو بكر الزبيدي صاحب مختصر العين.[2]

إن هذا النص يعد مصدرا للعديد من الشواهد منها : رسوم استقبال العلماء والمباهاة بهم و الاعلاء من شأنهم ، و في نفس الوقت بينت المستوى الفكري الرفيع الذي تميز به الكثير من خلفاء الأندلس ، مما أضفى على دولتهم مظاهر التقدم العلمي والازدهار الحضاري.

ب.كتاب التعريض و التحذير من العقائد الأخرى (ابن مسرة * نموذجا):

إن طابع التسامح الفكري الذي اتسمت به الحضارة العربية – الإسلامية في الأندلس في عصر الخلافة الأموية ، لم يتجاوز حدودا معينة و خطوطا حمراء ، عندما يتعلق الأمر بمذهب غير مذهب الإمام مالك بن أنس ، المذهب المعتمد

---

(1) إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 64 – 65.

(2) المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 74.

* ابن مسرة : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي (269 هـ – 319 هـ) كان أبوه من أهل الرواية و السماع ، رحل به أخوه إبراهيم بن مسرة و كان تاجرا إلى المشرق ، و صحب في رحلته محمد بن عبد السلام الخشني و شاركه في أكثر رجاله في البصرة ، مدينة الاعتزال. مات أبوه في مكة سنة 286 هـ ، سمع كثيرا من أبيه و روى عنه في كتبه كثيرا ، ابن الفرضي ، ص 323. دوزي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 27 ، محمود علي مكي ، التشيع ، المرجع السابق ، ص 103 ، بالنتيا ، تاريخ الفكر ... ، المرجع السابق ، ص 329 – 331 ، سلمى خضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 135.

رسميا في الدولة الأموية بالأندلس منذ عهد الأمير هشام الأول 172 – 180 هـ / 788 – 796 م[1] ، دون غيره من المذاهب الأخرى التي كان عليها بعض الأندلسيين.[2]

و قد حاربت هذه الدولة كل الحر كات المذهبية الأخرى ، و عملت على نشره ، فالمصادر التاريخية تذكر ان القاضي عياض لم يول قاضيا على كورة أو مدينة أو اقليم إلا إذا كان على مذهب الإمام مالك ، و لذلك اضطر البعض إلى اتخاذ التقية المذهبية حفاظا على حياتهم أو حرياتهم أو للاحتفاظ بأعمالهم ، كما أن سيف الدولة لم يستطع أن يقطع نهائيا ظاهرة المذهب داخل المجتمع الأندلسي وفي هذا الصدد نذكر أن القاضي منذر بن سعيد البلوطي الظاهري * ولى القضاء

---

(1) دومينيك إيرفوا (Dominigue Urvoy) : علماء الأندلس ، نقلا عن الجيوسي ، ج2 ، ص 1184.

(2) إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 29.

* المذهب الظاهري يقوم على أن المصدر الفقهي هو ظواهر النصوص من الكتاب و السنة ، فلا رأي و لا إعمال للعقل في حكم من أحكام الشرع ، فليس في هذا المذهب قياس و لا استحسان و لا ذرائع و لا مصالح مرسلة . و أول من كان ظاهريا خالصا هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف . و كان شافعيا أول أمره ، بل هو أول من صنف في مناقب الشافعي. و لد بالكوفة سنة 202 هـ و توفي ببغداد سنة 270 هـ ، انتشر المذهب في عهد مؤسسه برغم المعارضة الشديدة ، و يعود سبب ذلك إلى ما قام به داود من كثرة التأليف . فلقد ألف كتبا كلها سنن و آثار مشتملة على أدلته التي أثبت بها مذهبه . و لا شك أن الكتب بذاتها آثار مستمرة تدعو إلى مذهب مؤلفيه ا و تبقى سجلا لأفكارهم . و كان حافظا لحديث رسول الله (ص) ، فصيحا ، حاضر البديهة ، سريع الاستدلال ، كما كان جرئا فيما يعتقد أنه الحق ، ناسكا ، عابدا ، و كان يرد الهدايا و لا يقبلها.

للخليفة عبد الرحمن الناصر ثم لابنه الحكم المستنصر و كان معروفا بصرامته وشدتهو علمه و تفقهه بكتاب الله عز و جل و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم ، و قد " غلب عليه التفقه بمذهب أبو سليمان داود بن علي البغدادي الظاهري ، فكان يؤثر مذهبه و يجمع كتبه ، و يحتج بمقالاته ، و يأخذ بها لنفسه ، فإذا جلس مجلس الحكومة ، قضى بمذهب مالك بن أنس و أصحابه الذي عليه العمل في بلده و لم يعدل عنه " [1] ، و الدليل على ذلك أن ولاية هذا القاضي لقضاء الجماعة في حاضرة الخلافة قرطبة استمرت من (339 هـــ– 950 م / 355 هـــ /966 م) ، و هي مدة كافية لتغلغل المذاهب و انتشارها.

في هذه الفترة يظهر على خلاف المذهب الرسمي السائد و هو المذهب المالكي ، مذهب جديد ينسب إلى ابن مسرة و هو يجمع بين التصوف و الاعتزال . حيث كان عابدا ، زاهدا ، منزويا عن الناس في حجرة صغيرة في جبل يتعبد ، فتن به جماعة من الناس و كان يدعي التكلم على تصحيح الأعمال و محاسبة النفوس على حقيقة الصدق ، على غرار كلام ذي النون الأ خميمي و أبي سعيد الإسكافي و أبي يعقوب النهرجوري [2] ، من المعتزلة و الصوفية ، مما لم يفهمه الناس البسطاء فثاروا عليه مستنكرين كلامه.

يقول الحميدي " له طريقة في البلاغة و تدقيق الغوامض ، إشارات الصوفية ، و تواليف في المعاني ، نسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها و الله أعلم به" [3]

---

(1) النباهي ، المصدر السابق ، ص 101.

(2) محمد ابراهيم الفيومي ، تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب و الأندلس ، بيروت ، 1997 ، ص 274 – 284 .

(3) الحميدي الأزدي ، المصدر السابق ، ص 56.

مما يؤكد ما ذكرناه ، سابقا من عدم فهم الناس المصطلحات الصوفية كالحلول والاتحاد و الغناء و الحضرة و الخمر ، مما تدفعهم إلى الاعتقاد بخروجه عن ملة الإسلام ، و هذا ما أثار عليه الفقهاء الذين رموه بالتفسخ و الإلحاد ، و اتهموه بالزندقة و هي تهمة جاهزة يرمى بها الخصوم فحاصروا فكره و أشعلوا نار السلطة عليه [1] ، و أحرقت كتبه.[2]

أما ابن الآبار كتب يقول " و حكي عن ابن مرة أنه كان يتبع آثار النبي صلى الله عليه و سلم ، و لقد بني في الجبل بيتا طوله و عرضه على قياس بيت الرسول عليه الصلاة و السلام الذي بناه لزوجه مارية أم إبراهيم ." [3] و ضيقت الدولة عليه السبل و طاردته و لاحقته و " رغم قرارات إحراق كتب ابن م سرة ، والتضييق على مريديه ، إلا أن أفكاره ظلت حية في نفوس تلاميذه ، الواحد عن الآخر ".[4]

هذا و لقد اعتبر ابن مرة أول مؤسس للفكر الأندلسي القائم على مبادئ المعتزلة المتعلقة بالوحدة الإلهية و العدل الإلهي.

---

(1) دوزي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 13.

(2) محمد ابراهيم الفيومي ، المرجع السابق ، ص 275.

(3) التكملة لكتاب الصلة ، القاهرة – بغداد ، 1956 ، ج1 ، ص 256.

(4) بوداود عبيد ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع و التاسع الهجريين (13 – 15 م) . دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي ، دار الغرب ، وهران ، 2003 ، ص 50.

وفي هذا الصدد يأتي كتاب * الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي وجهه إلى الآفاق يحذر الناس من عقيدة ابن م سرة و جماعته و مما جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فان الله تعالى جده و عز ذكره جعل دين الإسلام أفضل الأديان ، فأظهره و أعلاه و لم يقبل من عباده غيره ، ...(وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...)[1]... فخوف و حذر و نهى ، عن تفرق الكلمة ، ... يحثها لازم الضلالة و داعية الهلكة و الشذوذ عن مذهب الجماعة من غير نظر نافذ في دين ولا رسوخ في علم ... ، و قالوا بالاعتزال عن العامة و شدوا أزره ، فآثروه ... ، و لولا أن سيف أمير المؤمنين من ورائهم و نظره محيط بهم ، و لما صار غيهم فاشيا و جهلهم شائعا ، ...و لا أهلك الله أمة من الأمم إلا بمثل ما تكشف هذه الطبقة الخبيثة من التبديل للسنة و الاعتداء في القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الأمين صلوات الله عليه و سلم ، هذا عند وروده عليك في الجامع قبلك و أنشره في أسماع رعيتك ، و تتبع هذه الطائفة بجميع عمالك و ابثث فيهم عيونك ، فمن قامت عليه البيّنات بذلك عندك ، فاكتب إلى أمير المؤمنين

---

* لم نجد تأريخا محددا لتوثيق هذا الكتاب ، حتى ليفي بروفنسال في تاريخ اسبانيا لم يذكر صدور هذا المنشور الطويل بل اكتفى بعبارة أن إصداره كان مع نهاية حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر. و بذلك يكون تاريخ صدوره يعود إلى ما بين سنة 345 – 350 هـ.أما محمد ماهر حمادة فقد أشار إلى أن مسرة توفي سنة 319 هـ /932 م الحميدي ، المصدر السابق ، ص 56.لكن تلاميذه استمروا في نشر تعاليمه مدة 20 سنة مما أثار حفيظة الفقهاء و العلماء المالكيين فرفعوا شكواهم إلى الخليفة الناصر لدين الله فكتب هذا المنشور و عممه على بلاد الأندلس. لذلك يرجح محمد ماهر حمادة تاريخ هذا الكتاب بـ 339 هـ / 951 م.

(1) سورة آل عمران ، الآية 85.

بأسمائهم و مواضعهم و أسماء الشهود عليهم ، ليعهد باستجلابهم إلى باب سدته ، و إياك أن تداهن في أهل الريبة ... فان فرطت في احد الأمرين أو كلاهما فقد برئ الهأمنك و أحل دمك فاعلمه و اعتمله إنشاء الله تعالى ".[1]

لقد توصل مجموعة من الباحثين إلى أن أتباع ابن مسرة من أهل الفكر الأندلسي[2] استطاعوا أن يبعثوا من جديد الفكر المسري الذي تأسست على غراره مدرسة ابن مرة و يرجع الفضل في عودة هذه المدرسة إلى نشاطها حسب رأي بالنثيا إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله الذي أضفى على عهده جوا من التسامح الفكري [3] ، لقد كان هذا الخليفة يمثل الخليفة العالم المستنير الناهض خير تمثيل ، و قد كان واحدا من أعلام العلم و الأدب ، و نموذجا للتفكير الحر و عاملا في دفع النهضة في العلم و الأدب في عصره و العصور التي تلت عصره دفعة قوية لم تنتكس بعدها ، بل ظلت بلاد الأندلس المنارة العالية المشعة لنور العرفان لكن هذا لا يعني أن الخليفةتوقف عن محاربة من خرج عن مذهب مالك ، حيث يظهر ذلك جليا حين قال " فمن خالف مذهب مالك بن انس بالفتوى أو غيره ، و بلغني خبره ، أنزلت به من النكال ما يستحق و جعلته شرادا." [4]

---

(1) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص 25 –29.

(2) أنخيل قنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص 330.

(3) نفس المرجع و الصفحة.

(4) ابن سهل أبو الأصبع عيسى : ثلاث وثائق في محاربة الأهواء و البدع في الأندلس ، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى ، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، القاهرة ، 1981 ، ص 83.

إن هذا الوقف الصارم ناتج عن موقف هذه الفرقة و غيرها من شرعية السلطة القائمة ، التي يطعنون فيها و في رموزها ، و ليس عائدا ذلك إلى فقه العبادات أو المعاملات – فلو اقتصرت هذه الفرق على هذه الأمور و لم تتطرق إلى علم الكلام ، و السياسة و السلطة لما تعرض لها أحد بسوء على ما نعتقد ، ولكنهم انتقلوا إلى المحظور، بالإضافة إلى السلطة القائمة واجهت هذه المدرسة خصومة و صداً من بعض رجالات الفكر مثل محمد بن يبقى ، و أبي بكر الزبيدي ، و ساء أمرها أكثر في عهد الحاجب المنصور.[1]

يكشف هذا النص عن علاقة الجانب الديني و العقدي بالظروف السياسية ، و كذلك حرص السلطة المركزية على وحدة الدولة الأموية ببلاد الأندلس من الناحية العقيدية.

كتب الباحث علي بن محمد مفسرا سبب التدخل الرسمي ، و انحياز الحكام من بني أمية في وقت مبكر إلى مذهب الإمام مالك ، جاء من قبيل حرص هؤلاء الحكام على اختصار مرحلة الخلاف من اجل القضاء على إمكانيات الصراع المذهبي. فوحدة البلاد لا تحقق حسب رأيهم إلا إذا كان انضواء معظم الفكر الديني تحت لواء المذهب المالكي بسلفيته و صرامته. "[2]

---

(1) بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 331 .و مع ذلك استطاع أتباع و مريدو هذه المدرسة الفكرية من الاستمرار و الانتشار و قد سماها المفكر الاسباني آسين بالا ثيوس بالمدرسة الميرية ، ميغيل كروز هيرناندیس ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 1093.السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ..، ص 314.

(2) علي بن محمد ، النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري ، مضامينه ، أشكاله ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1990 ، ص 75.

نعتقد أن المذهب المالكي ، لم يعرف التشدد و الصرامة إلا في الأندلس وفي أوقات محددة ، وإلا فان من عرف بالسلفية و التزمت الفكري هم أتباع مذهب الإمام احمد بن حنبل.

من خلال النص نستشف كثرة أتباع ابن مسرة ، الذين اخترقوا حصار السلطة الحاكمة و ساهموا بقدر كبير في استمرار و تجذر هذا المذهب الفكري ، والذي سيشكل إلى جانب مذاهب فكرية أخرى حجر الزاوية في تاريخ الفكر الجدلي و الفلسفي لمتصوفة بلاد الأندلس خلال القرون الوسطى.

5. كتب العلاقات الخارجية :

برزت قرطبة في عصر سيادة بني أمية على بلاد الأندلس كحاضرة لها وزنها، إذ احتلت الأندلس على إثرها مكانة الصدارة في العالمين الإسلامي والمسيحي ، مما جعلها مركز جذب لاستقطاب العديد من الجهات. من جهة أخرى فلقد كان خلفاء البيت الأموي بالأندلس على دراية كبيرة بقيمة المبادلات الخارجية و مدى أهميتها لبقاء سلطانهم . لدلك سعوا قدر الإمكان لتطوير هذه العلاقات مع الأطراف التي كان من الضروري أن يتعاملوا معها، خاصة إذا تعلق الأمر بالدول و القبائل التي ارتبطت معهم وديا في إطار التحالفات السياسية و العسكرية على وجه الخصوص بهدف تعزيز مكانتها و موقعها الجيو سياسيي في خارطة المحيط المحلي و الإقليمي و الدولي . و من أهم صور الاتصالات الخارجية للخلافة الأموية بالأندلس:

أ. كتاب حول العلاقات بأمراء القبائل المغربية :

- كتاب الهدية * لسنة 317هـ /930م : الهدية ظاهرة اجتماعية تعبر– بوسائل مادية– عن علاقة روحية تجسد المشاعر الإنسانية بين الناس، و تعبر كذلك عن مدى التقدير الذي يكنه المهد ى إلى المهدى إليه قصد تقوية و تعزيز أواصر الصداقة و التحالف بينهما ، علما بأن الأندلسيين كانوا يعتبرون الهداي ا كنوع من التحايا. كما يقول الشاعر ابن خفاجة**:

إِنَّ خَيْرَ الْهَدَايَا مَا جَرَى مَجْرَى التَّحَايَا وَ إِنَّ أَفْضَلَ سَفِيرٍ بَيْنَ صَدِيقَيْنِ[1]

و السلطان لا يستثنى من الهدية " و من الحق الواجب للملك أن تهدي إليه الخاصة و العامة" [2] وقد تضمنت نصوص خاصة بالكتابة السلطانية في الأندلس في هذا العصر ألوان من التعبير عن مضمون الهدية، و رصد للكثير من معانيها و قيمها حسب المناسبات و الأغراض. و كتاب الهدية لسنة 317 هـ/ 930 م

---

* عن الهدية الخاصة بالملك و رسومها و أنواعها ، ينظر ابن سماك العاملي: رونق التحبير المصدر السابق ص 144– ص 145.

** هو أبو إسحاق إبراهيم ابن أبي الفتح بن خفاجة . ولد سنة 450 ه/1058 م. توفي سنة 533 هـ/1137 م أديب و شاعر أندلسي تميز شعره بالوصف خاصة الطبيعة . كرم البستاني. ديوان ابن خفاجة . دار صادر بيروت، 1961ص 5، للمزيد ينظر ابن بسام، المصدر السابق ، ق3 ، ج 2 ، ص545.

(1) ابن بسام . الذخيرة ...، لمصدر السابق ، ج 2 ، ص545

(2) ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 144

الذي أرسله الخليفة عــبد الرحمن الناصر كجواب على الهدية [1] التي قدمها له الأمير الزناتي محمد بن خزر * خير شاهد على هذا النوع من الكتابة الخاصة بالعلاقات .

و مما جاء فيه ذهب ألا يهاديك من لبوسك إلا بما استعمله لنفسه في طرازه الخاص على اسمك، و هذا أمر لم يفعله من تقدم من الأعاظم بالمشرق و المغرب بأحد قرب و عظم محله ، فخصك من ذلك بعشر قطع مختلفة الأجناس مما استعمل لكسوته الخاصة من عتيق الخز العبيدي و غريبه و بديعه في التأليف والصنعة، مطرزة باسمك، لم يعمل قط مثلها في طرز بني العباس و لا غيرهم، وهذا لاما يبقى لك فخره و يخلد لك و لعقبك سناؤه و ذكره، ما بقيت لكم باقية ، وثواب الله خير عقبى."[2]

---

(1) ينظر نص هدية الأمير البربري محمد بن خزر، ابن حيان، المصدر السابق ، تحقيق شالميتا، ص 267– ص268. و لا ينحصر الرد على الهدية بهدية مثلها بل تمنح كلقب من الألقاب السلطانية الفخرية، مثال على ذلك عندما نال ابن شهيد لقب ذي الوزارتين تشريفا وتقييما للهدية المشهورة التي قدمها له، المقري، المصدر السابق، ج 1 ، ص 333 ، ابن خلدون المصدر السابق، ج 4، ص 138.

* هو الأمير محمد بن خزر بن صولات المغراوي .حامل لواء حلف الدولة الأموية بالعدوة ضد الفاطميين قرابة نصف قرن من الزمن ، حاربه بلقين بن زيري و هزمه فاضطر الأمير الزناتي إلى قتل نفسه حتى لا يقع في يد عدوه . و كان ذلك في ستة 360هـ/691 م. ابن عذاري. ج2 ، ص 243 ، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 25، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 141.

(2) ابن حيان ، المقتبس ، المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص 268.

جاء هذا الكتاب معبرا عن تنويه بالمكانة التي أخص بها هذا الخليفة الأمير محمد بن خزر في نفسه، ممتدحا و معليا من شأنه لدرجة المراتب السلطانية التي لم يبلغها أحد عنده ، من ذلك أنه أهداه ألبسة طرازه الخاص مطرزة باسمه ليس لها مثيل.

لقد كان كتاب الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله المرفوق بالهدية انعكاس بين لأبعاد العلاقات الخارجية للخلافة الأموية بالأندلس مع أمراء قبائل المغرب الإسلامي، و التي تندرج ضمن إستراتيجية سياسية أمنية دقيقة فرضتها حتمي ة تواجد الخطر الفاطمي المتربص بالخلافة الأموية بالأندلس، الأمر الذي دفع بهذه الأخيرة إلى اصطناع القبائل البربرية [1] و ضمهم إلى جانبها، بهدف جعلهم حاجزا سياسيا و عسكريا أمام امتداد النفوذ الفاطمي.

. لذلك عمل الخلفاء الأمويون في الأندلس على تبادل المجاملات و كثرة الاتصالات الودية بالقبائل البربرية المغربية ، و التي كانت تتوج في كثير من الأحيان بتقديم الهدايا السلطانية من كلا الطرفين [2] ، تأكيدا على تلك العلاقة وتمكينا لها ، و إذا كانت الهدية تعبير عن مدى التقدير المفتوح و تمتين روابط الصداقة و كذلك التحالفات العسكرية، فهي كذلك ظاهرة حضارية بما حملته من قيم إنسانية، ثقافية و جمالية روحية، بالإضافة إلى الجانب المادي لتلك الحضارة المتمثلة بالخصوص في وصف دقيق لأداة الهدية، و أنواعها ، و جمال صناعتها

---

(1) موسى لقبال، دوركتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، المرجع السابق، ص 282.

(2) أحمد مختار العبادي ، التاريخ العباسي و الفاطمي، المرجع السابق، ص 400.

كالتطريز و قيمتها المادية ... إلخ ، كما جاء في هذا النص (عتيق الخز العبيدي وغريبه و بديعه في التأليف و الصنعة، مطرزة ...) مما يضفي على نص الكتاب فائدة و قيمة توثيقية كبيرة في مجال صناعة الألبسة الفكرية المطرزة والأدوات التي كان السلاطين يستعملونها في ذلك العصر.

ب. كتاب حول العلاقة بالخلافة الفاطمية :

- **كتاب الطعن في النسب:**

إن مفهوم النسب يشمل معنى العرض و الشرف بالنسبة للفرد أو الجماعة . لذلك أعتبر الطعن في النسب كالطعن في الشرف. و هو موضوع حساس وخطير، يلجأ إليه عندما يتعلق الأمر بالهجاء الشخصي أو القبلي نتيجة لسوء العلاقة والعداوة شخصية كانت أم قبلية، و قد تكون وراءه مشاعر الغيرة و الحسد و كلها تصب في وعاء الهجاء اللاذع الذي يتحاشاه الخاص من الحكام و العام من الناس، الأمر الذي جعل الحكام لا يبخلون على الشعراء بالأموال الطائلة و الهدايا النفيسة خوفا من ألسنتهم و حذرا من هجائهم، حيث كان أهل الأندلس يدارون الشعراء خوفا من الهجاء[1] ، و الكتاب الذي نقدمه ضمن هذا السياق هو من الخليفة الأموي الحكم المنتصر بالله، أجاب به على رسالة بعثها له الخليفة الفاطمي العزيز بالله* ، حيث سبه و هجاه فيها.

---

(1) يوسف الطويل ، المرجع السابق، ص 114 ، و كان من أشهر الهجائيين في الأندلس، ابن جرمون المرسي ، و مؤمن بن سعيد، و السيميسر.

* العزيز بالله أبو منصور نزار . تولى الحكم بعد أبيه المعز لدين الله من 365–376هـ/ 975–996 م ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر و القاهرة . بيروت 1992، ج 4، ص 116.

و لقد بدأ الخليفة الأموي جواب كتابه بأبيات من الشعر يفتخر بها:

أَلَسْنَا بَنِي مَرْوَانَ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ ... بِنَا الحَالُ أَوْ دَارَتْ عَلَيْنَا الدَوَائِرُ

إِذَا وُلِدَ المَوْلُودُ مِنَّا تَهَلَّلَتْ ... لَهُ الأَرْضُ وَ اهْتَزَّتْ إِلَيْهِ المَنَابِرُ

ثم قال: " و بعد فقد عرفتنا فهجوتنا، و لو عرفناك لهجوناك، و السلام " [1]

يكتسي هذا الكتاب أهمية كبيرة، ذلك أن قيمته التوثيقية لا تتوقف عند المادة التاريخية التي تتضمن في أعماقها مسار العلاقات العدائية و الأحداث التاريخية التي اقترنت بها من خلفيات و أسباب تاريخية ، و تطور و ما تمخض من ذلك كله حيث طبعت العلاقات الأموية– الفاطمية بالطابع العدائي، بل كذلك في الجانب الآخر لدور خطاب الكتابة السلطانية الذي أخذ على عاتقه الخوض في معارك ساخنة، لا تقل عن المعارك في الميدان ، كان حد السيف فيها كلام جارح استعمله صاحبه للنيل من العدو، و التحقير به ، و الطعن في نسبه.[2]

إن الباحث في خلفيات النص يكشف عن الطعن الصريح في نسب الخليفة الفاطمي العزيز باللهو يصل إلى ماضي تاريخ صراع تقليدي قديم الأثر بين البيت الهاشمي الذي ينتمي إليه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

و البيت الأموي[3] و طبيعتها التي اتسمت بالعدائية. و ترجع جذور ذلك إلى

---

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، ج5 ، ص9، المقري، المصدر السابق ، ج5، ص 98

(2) حول نسب الفاطميين ينظر، ابن خلدون ، المقدمة، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، مصر و سوريا و بلاد العرب، القاهرة 1964، ص 57– 71

(3) تقي الدين عارف الدوري، تاريخ العرب المسلمين و حضارتهم في الأندلس، دراسة في المصادر و التاريخ و الحضارة، ليبيا،طرابلس، 1997، ص 180.

ما قبل ظهور الإسلام ، أي إلى العصر الجاهلي حول الزعامة على البيت الحرام[1] بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم. تحول النزاع على منصب الخلافة [2] و إن لم يكن بين الهاشميين و الأمويين بصورة مباشرة في فترة الخلافة الراشدة ، حيث اعتقدوا إنهم أبعدوا عن هذا المنصب . و بانتقال هذين البيتين من قريش إلى بلاد المغرب الإسلامي منذ القرن الثاني و الثالث الهجريين ، انتقلت معهما العداوة و أصبح لكل منهما أنصاره.[3]

لقد تنوعت الأساليب التي اتبعها عبد الرحمن الناصر، في مواجهة الخطر الفاطمي، كالقيام بالدعاية المغرضة، التجسس و بث العيون عليهم ، وإطلاق اللعن على الفاطميين على منابر بلاد الأندلس[4] كما كان يفعل الأمويون في المشرق من لعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ال منابر، كذلك عمل على إذكاء نار الفتن و الثورات البربرية و الإكثار من اصطناع زعماء البربر و شراء ذممهم.[5]

وقد قام عبد الرحمن الناصر بمحاولات عديدة للصلح و المهادنة ، لتخوفه من هجماتهم و تحول قلوب العامة نحوهم، و لكي يدرأ خطرهم إلا أن هذه

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ج 4، ص ص 365– 545– 773 ، ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص ص 248 –260

(2) مرمول محمد صالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، الجزائر، 1983، ص 306

(3) نفس المرجع و الصفحة.

(4) القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، تحقيق الحبيب ا لفقي، تونس، 1978، ص 162

(5) مرمول محمد صالح ، المرجع السابق ، ص 314.

المحاولات رفضت و باءت بالفشل.[1]

و يبدو أن رحيل الفاطميين عن بلاد المغرب الإسلامي سنة 361 هـ/972م[2] لم ينه العداء الموروث بين الجانبين ، فرغم بعد المسافات بين السلطتين، و ما نتج عنه من انفراج في الأوضاع الجيوسياسية خاصة في المغرب الأقصى ، غير أن كل دولة ظلت تضمر للأخرى الكراهية و الحقد و تتربص بها الفرص ، و ليس أدل على هذا من تلك الرسائل السلطانية المملوءة بألوان السب والشتم و الهجاء، التي تبادلها قادة هاتين الدولتين، مما أجج نار الحروب بينهما، حيث انتهت المعركة الكلامية بهذه الرسالة للمستنصر بالله القاسية في تعابيرها، الشديدة في وقعها ، حيث كتب ابن خلكان " فإشتد على نزار و أفحمه على الجواب."[3]

و من الجدير بالذكر أن قضية الطعن في نسب الفاطميين ليست بجديدة، فلقد تداولتها كتب التاريخ ومنها كتاب المقدمة لابن خلدون، حيث تناولها بالشرح المفصل، بين فيه صحة نسبهم وأنهم من سلالة الرسول صلى الله عليه و آله وسلم" و عصبية الفاطميين... بالحجاز في مكة وينبع المدينة من بني حسن و بني حسين و بني جعفر منتشرون في تلك البلاد و غالبون عليها و هم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم و إمارتهم و آرائهم، بيلغون آلافا من الكثرة. " [4]

وحسب رأينا فإن الخليفة في قذفه بنسب الفاطميين جاء من قبيل العداء

---

(1) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 158.

(2) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 149.

(3) ابن خلكان، المصدر السابق، ج 5، ص 372.

(4) ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 395–396، ص 245–259.

المذهبي و التنافس و تضارب المصالح بينهما، لأن أصل الفواطم معروف بين الخاص و العام ، و أصولهم متجذرة في تاريخ العرب قبل الإسلام ومعروفة في كتب أنساب العرب و الطبقات .[1]

اشتمل هذا الكتاب على قدر كبير من القيمة التوثيقية برموزها الدالة على القيم الأخلاقية و الاجتماعية التي ارتبط بها من انتماء و أصالة الأسر في المجتمع الإسلامي التي تشبثت به خوفا من الذوبان و فقدا ن الهوية. لأن النسب هو زمان ومكان الانتماء الذي تتحرك فيه الأفراد في المجتمع الإسلامي.

بالإضافة إلى ذلك ضم هذا الكتاب قوالب فنية متنوعة الصور، حيث امتزج فيها المنظوم بالمنثور، كما اشتمل على غرضين متناقضين المدح الذي خصصه للبيت المرواني في القصيدة [2]، مستهلا جوابه، وغرض الهجاء الذي طعن به نسب الفاطميين و جعله خاتمة لكتابه الذي قدمه في قالب صيغة التوقيع الذي يوافق مقام غرض الكتاب، قصد به هنا الدقة و الإيجاز من أجل إصابة معنى الهدف.

و الظاهر أن توظيف خطاب الكتابة السلطانية في مجال العلاقات الخارجية جاء من باب حتمية إستجابة فتح باب التواصل مع الآخر خارج حدود الدولة ، ومع ذلك لابد أن نضع في اعتبارنا محددات هذا التواصل من أوضاع وعوامل المتغيرات الظرفية التي تؤثر في أغلب الأحيان بشكل أو بآخر على تطبيع

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، حققها و ضبطها و شرحها مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، القاهرة ، 1955، ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت، 1958،ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، أبي الفوز محمد أمين البغدادي المشهور بالسويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب.

(2) الثعالبي، يتيمة الدهر، حيث نص القصيدة كاملة، ج 2، ص301

و استقرار هذه العلاقات لصالح الطرفين.

و إن كانت في الغالب الأعم تصطدم بالتوتر والاصطدام. و من جهة أخرى كشفت هذه النصوص عن مدى مرونة العلاقات في بعض الأحيان و تكيف الأمويين لمواجهة التغيرات من حيث التأثير والتأثر الذي امتد و تجاوز حدود الخلافة محليا و إقليميا.

أما بالنسبة لعلاقات الخلافة الأموية مع دول النصارى في الشمال، فبالرغم من أنه توجد إشارات على اتصالها مثل " ... وعقد الناصر لدين الله أمان شنيير...وسلم سنفريد و أولادهم معا لعامين كاملين " [1] و " ... تقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون و الأبراج القريبة من ثغور المسلمين" [2] ، فلا توجد حسب علمي شواهد من نصوص و مكاتبات لاتصالات الدولة الأموية بالأندلس مع ممالك نصارى الشمال ، ضمن المصادر العربية المستخدمة في هذه المذكرة ، حسب ما أمكنني الإطلاع عليه.

إن هذه المراسلات المتعلقة بالعلاقات ال خارجية للدولة الأموية بالأندلس ذات قيمة توثيقية كبيرة ، و فائدة عظيمة في رصد الأحداث و تأكيد القرائن التاريخية و السياسية و الحضارية لهذه المرحلة من تاريخ الأندلس الإسلامية.

---

(1) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص 455.

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 145.

خاتمـــة

بعد هذه الرحلة العلمية الشاقة و الممتعة يبدو واضحا وجليا المكانة الكبيرة والأهمية البالغة التي احتلتها الدولة الأموية في تاريخ بلاد الأندلس ، و هذا لا يعود إلى ما حققته من توسيع في الأراضي الاسبانية المسيحية فقط ، بل تعدته إلى تلك التطورات الحضارية و الانجازات الراقية في النظم الإدارية ، بحيث تركت أثرا عميقا في المجتمع الأندلسي من جهة ، و في المستوى التأسيسي الذي وافق نظام حكم و إدارة دولتها من جهة أخرى.

لقد عمل الحكام الأمويون منذ أن وطأت أقدامهم أرض الأندلس ، جاهدين على وضع أجهزة إدارية مواكبة لتنظيماتهم و إصلاحاتهم الداخلية و متماشية مع علاقاتهم الخارجية ، بدا ذلك واضحا في أساليب النظم التي رافقت خطة الكتابة السلطانية منذ عهد الإمارة ، ليكتمل نموها و تطورها في عصر الخلافة ، و هو موضوع البحث و الدراسة.

من خلال البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج بعد عرض ووصف وتحليل لجوانب متعددة تخص الكتابة الرسمية نقدمها على شكل نقاط :

1. لقد كانت الكتابة السلطانية وسيلة و غاية ، استخدمت من أجل تبليغ إرادة السلطة المركزية و من أجل إصلاح الأوضاع الداخلية و الخارجية منها.
2. جرى ترسيم الأطر التنظيمية و الإدارية لخطة الكتابة ، ضمن تصور نظم حكم الأمويين في عصري الإمارة و الخلافة رغم المسافة الزمنية.
3. اتخذ الأمويون من بعض البيوتات المشهورة (كما كان الشأن في العصر العباسي) أعوانا ووزراء و كتاب وورثوها في أبناءهم ، ضمن قناعة سياسية ، مما يكشف عن أبعاد إستراتيجية لوحدة الدولة و استقرار أمنها وسيادتها ، وتشددوا في تطبيق شروط اتخاذ الكتاب.

4. تمكنت الكتابة السلطانية من مواكبة التطور الحاصل في مناحي الحياة ، والنقلة الحضارية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس ، حيث اتضح ذلك من خلال أنماط الكتابة و أغ راضها و صيغ تقنياتها وتنوع موضوعاتها ، السياسية والاجتماعية ، الفكرية و الاقتصادية.

5. كان للحكام الأمويين في الأندلس دورا في تنظيم قواعد الكتابة السلطانية ، من خلال التنظيمات الإدارية التي وضعت تحت تصرف الكتاب فنمت و تكيفت ، وتطورت معالمها و رسومها ، من خلال التعديل و الإضافة ، حتى بلغت الذروة ، و من ثم احتلت المكانة الرفيعة في مؤسسات الحكم و الإدارة ، لذلك أحيطت بالعناية اللازمة و القدر الكبير ، تجسدت في تلك المظاهر من التفخيم و التعظيم ، و ما أطلقوا من ألقاب سلطانية على الكتاب ، و امتيازات عينية و مادية ، زادتها سموا وعلوا.

6. لقد كانت الكتابة السلطانية بعيدة عن الارتجال ، وردات الأفعال ، بل وضعت وفق تنظيم إداري لمؤسسات خطة الكتابة من خلال ديواني الرسائل والبريد ، وتنسيق العمل فيما بينهما من أجل ضبط السير الحسن للمكاتبات السلطانية وفق المنطق و الأصول.

7. إن من رسوم الكتابة الرسمية الأندلسية هي كثرة الشروط و صرامتها ، الواجب توفرها في الكتاب ، حيث لا يتصدى لهذه المهمة إلا من رجال النخبة المثقفة ذوي المستوى الرفيع في الكتابة ، حيث كان الأمويون يختارون كتابهم وفق شروط تتماشى وضرورات الحكم و السيادة.

8. لقد ترتب على اصطناع بيوتات للكتابة في ديواني الرسائل و البريد ، الإخلاص و التفاني في أن الخدمة ، و جعلتهم يطمئنون إلى قطاع هام في الدولة ،

يجنبهم الكثير من العراقيل التي تحول دون استمرار كيان أي دولة مهما كانت قوتها.

9. لقد كان لتوريث خطة الكتابة ، توريثهم كذلك رسوم خطة الكتابة السلطانية ، أب عن جد تجلت من خلاله بصمات و توقيعات الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، التي منحتهم التميز و التفوق بخصائصها، فكانت تلك الخصوصية في الواقع هي ذات الأندلس المستقلة التي نشأت منذ عصر الإمارة ليكتمل نضجها في عصر الخلافة الذهبي.

10. لقد انعكس التطور الحضاري على الكتابة السلطانية ، حيث اتسع أفق موضوعاتها ، و لم تعد تقتصر على القضايا و الأمور السياسية ، و إنما تعدتها إلى مجالات أخرى لا تقل خطورة عن الأولى.

11. كانت الكتابة السلطانية أداة لترهيب المنتزين عن السلطة ، و الشاقين لعصا الطاعة ، و ترغيب كبار رجال الدولة و قادة الجند و الولاة و عمال الكور من أجل الحفاظ على سير عمل مؤسسات الدولة و أمن المجتمع و استمرار السيادة.

12. في ظروف شديدة التعقيد ، و تغير الولاءات ، و بروز الفتن الداخلية ، والرغبة في التمرد على السلطة المركزية استمرت الكتابة السلطانية ، من خلال نصوص أوردتها المصادر المختلفة ، في نماذج مختلفة الموضوعات.

13. يلاحظ من خلال المصادر الت اريخية ضعف شخصية بعض الكتاب ، فبالرغم من مركزهم العالي و مكانتهم المهمة ، إلا أن هذا لم يسمح لهم بتجاوز حدود رسمتها الدولة لهم ، مما غيب رأيهم الصريح رغم حضورهم من خلال القلم ، في العديد من الشواهد و القضايا المصيرية للخلافة الأموية بالأندلس . لم يكونوا أحرارا بالمعنى المطلق لهذه الكلمة ، مثلما كان عليه رؤساء ديوان الإنشاء في

المشرق على عهد الدولة العباسية.

14. و بناءا عليه فان الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس ، لم تكن مجرد كتابة عابرة ، بل كانت كتابة ذات خلفية مؤسساتية ، إذ ظهر من خلالها تراث إداري و تنظيمي يتفق و ظروف الدولة ، ومتماشية مع الواقع والحقائق التي حفلت بها الخلافة و المجتمع في الأندلس خلال هذه الحقبة التاريخية.

في ختام دراسة هذا الموضوع و من خلال معاينة و تحليل بعض النصوص الخاصة بالكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس ، تم استجلاء وكشف القيمة التوثيقية كمصادر حية احتوت على مخزون معرفي غني وكبير ، لا يستهان به في تجديد حركة التدوين التاريخي لهذه الرقعة الجغرافية من العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى ، و هو ما زال بحاجة إلى المزيد من جهد الباحثين لتسليط الضوء على جوانب كثيرة تستحق الدراسة و البحث ، في دراسات مستقبلية.

الملاحق

ملحق رقم (1) : كتاب جواب الخليفة المستنصر بالله لسنة 361هـ/971 م :

مرض الوزير جعفر المصحفي مرضا شديدا فأوصى بكتاب إلى الخليفة المستنصر بالله إذا مات بتحقيق بعض المطالب لورثته، فرد عليه الخليفة على ظهر كتابه بخط يده يعده فيه بتحقيق ما أوصى به و يسأل الله عز وجل له الشفاء و العافية . جاء فيه : " قرأنا كتابك بما ذكرت من اشتداد حالك و وقع بأسك وارتفاع رجائك ، فعظم علينا ذلك و كثر غمنا به ، و أشفقنا منه ، و نرجو أن يأتي الله بخير ويعقب بعافية، فإن كان ما لا بد من كونه قريبا أو بعيدا، أو تخطانا ، فكل ما سألت و رغبت في نفسك و أهلك و من تتخلف ، فعلى أفضل الذي رغبته و أردته و أملته و رجوته ، فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا ، لما بلوناه من شكرك ومجهود حرمتك و محمود صحبتك، و إنا لم يرد علينا من قبلك و ناحيتك قط ما أغمنا و لا ما أنكرنا و لا سوء ثناء قط بشيء ، ظاهرا و لا باطنا، فإن تكن المصيبة فإنا لله و إنا إليه راجعون، و إن تكن العافية فالحمد لله رب العالمين على جديد أفضاله و جميل بلائه و على كل أحواله ، و السلام عليك و رحمة الله وبركاته.[1]

ملحق رقم (2): كتاب عهد الحاجب عبد المالك المظفر لسنة 396 هـ/ 1009 م للمعز ابن زيري ابن عطية المغراوي علي مدني فاس أهل المغرب سلمهم الله.

" بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

من الحاجب المظفر، سيف دولة الإسلام الخليفة هشام المؤيد بالله ، أمير

---

(1) ابن حيان ، المصدر السابق، تحقيق حجي، ص ص 69–70.

المؤمنين أطال الله بقاءه ، عبد الملك ابن المنصور ابن أبي عامر إلى كافة مدنيي فاس أهل المغرب سلمهم الله.

أما بعد ، أصلح الله شأنكم ، و سلم أنفسكم و أديانكم ، فالحمد لله علام الغيوب و غفار الذنوب ، و مقلب القلوب ، ذي البطش الشديد الفعال لما يريد ، لا راد لأمره ، و لا معقب لحكمه ، بل له الملك و الأمر، و بيده الخير و الشر، إياه نعبد و إياه نستعين ، و إذا قضى أمرا فـإنما يقول له كن فيكون ، صلى الله على محمد سيد المرسلين ، و السلام عليكم أجمعين.

و متنصلا من هنات دفعته إليها ضرورات ، و مستغفرا من سيئات حطتها عن توبته حسنات ، و التوبة محاءة للذنب، و الإستغفار منقذ من العتب ، و إذا أذن الله بشيء يسره ، و عسى أن تكرهوا شيئا و لكم فيه خير، و قد وعد من نفسه إستشعار الطاعة ، و لزوم الجادة ، و إعتقاد الإستقامة و حسن المعونة وخفة المؤونة ، فوليناه ما قبلهم ، وعهدنا أن يعمل بالعدل فيكم، و أن يرفع أحكام الجور عنكم ، و أن يعمر سبلكم ، و أن يقبل من محسنكم و يتجاوز عن مسيئكم إلا في حدود الله تبارك و تعالى ، و أشهدنا عليه بذلك و كفى بالله شهيدا ، و قد وجهنا الوزير محمد بن علي بن حدلم أكرمه الله ، و هو من ثقاتنا و وجوه رجالنا ليأخذ ميثاقه ، و يؤكد العهد فيه عليه بذلك ، و أمرناه بإشراككم فيه ، و نحن بأمركم معتنون ، و لأحوالكم مطلعون و أن يقضي على الأعلى للأدنى و لا يرتضي فيكم بشيء من الأذى ، فثقوا بدلك و اسكنوا إليه ، و ليمض القاضي أبو عبد الله أحكامه ، مشدودا ظهره بنا ، معقودا سلطانه بسلطاننا و لا تأخذه في الله لومة لائم ، فذلك طبنا به إذ وليناه، و أملنا فيه إذا قلدناه ، و الله المستعان ، وعليه التكلان، لا إله إلا هو، تقبلوا منا سلاما طيبا جزيلا و رحمة الله و بركاته ".

كتب في ذي القعدة من سنة ستة و تسعين و ثلاثمئة.[1]

ملحق رقم (3): كتاب الحاجب عبد الملك المظفر لأهل الخدمة من إنشاء كاتبه ابن برد الأكبر.

" وان من أعجب العجائب ما يجترئ عليه بعض أهل خدمتنا من نبذ عهودنا إليهم بعد توكيدها و حل عقودنا عليهم بعد تشديدها ، ساهين عما يتعرضون له من النقمة و لا يحذرون وقوع المحذور و لا يتوقعون حلول التغيير، و قد ولّه أفئدتهم جهل الواجب ، و ران على قلوبهم ما أضاعوه من الحق فلم يرجوا لله وقارا. و قد قال بعض السلف الصالح: إن من إجلال الله إجلال السلطان عادلا كان أو جائرا. و لا أحسب الذي غرهم بنا ، و جرأهم علينا، إلا ما وهب الله تعالى لنا من الحلم مع المقدرة، و الكظم عند الحفيظة . و ذلك و إن كان سجية غالبة ، و خليفة لازمة، فربّ شنع تحت مخيل النعماء و غصص في شهي الغذاء و شرق في نمي الماء ، و بين أيديكم معشر الخدمة و لا أخص بندائي صغيرا و لا كبيرا، ولا أعني بعيدا دون قريب ، و لا أنبه غائبا دون شاهد ونصب أعينكم ، وحشو أسماعكم عهد المنصور رضي الله عنه لم يقدم زمانه فينسى، و لا أتت دونه الدهور فيبلى، ثابت عن جماعتكم ، ولازم لكفاءتكم ، من خاص وعام ، ودان و شاحط ، صره التوبيخ باستكتاب الجهلة ، و استعانة الضعفة و استكفاء العجزة ممن قلت معرفته ، و اتضعت همته ، فلم يبلغ أن يحكم الخط فيقيم حروفه ، و يراع ي المداد فيجيد صنعته ، و يميز الرقص فيحسن اختياره و عجزه الحزم النافذ و الحكم الصادع ، بـأن تكون صدور كتب الاعتراضات و عنواناتها و تواريخها ، و الإعداد في رؤوس رسومها، بخطوط

---

(1) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 43 –44.

أيدي القواد و العمال ، من كان منهم كاتبا فبيده ، و من لم يكتب فبخط كاتب له معروف ، وأن تكون تسمية طبقات الأجناد فيها قائمة الخطوط ، بينة الحروف ، وفي تضاعيفه آلية نحن أو لى من أبرها ، ووفى بها ، على أنه إن ورد لأحد من الخدمة بعد وصول ذلك العهد إليه كتاب اعتراض أو عمل في رق رديء بمداد دنيء ، أو خط خفي فيه لحن أو كتاب على بشر في عدد أو رأس رسم ما لم يخف أو يقع حشو أو يعتذر منه ، ليبطلن سعي كاتبه فيما كتب وليعا لجن بعقوبة العزل و إغرام المال الثابت عنده في ذلك الفنداق ...و في فصل منها : و إنّ قوما من الحضرة قد عادوا لما نهوا عنه ، فكتبوا الخط الدقيق في دني الرق ، دقة من هممهم ودناءة في اختيارهم ، و جهلا بأن الخط جاه الكتاب ، وسلك الكلام به، ينظم منثوره ، و تفصل شذوره ، و نبله من نبل صاحبه ، وهجنته لاحقة بكاتبه ، ما اقترفوه من العصيان ، و أقدموا عليه من خلف السلطان ، و أنا أعطي الله عهدا لئن ارتفع إليّ بعد بلوغ عهدي هذا أقصى حدود المملكة ، وانتهائه أبعد أقطار الطاعة كتاب على الصفات المذمومة و الأحوال المسخوطة ، من رق أو مداد أو خط ، لأوفينّ لصاحبه بما قدّم إليه من الوعيد إن شاء الله ، فليحذر من حضر منهم أو غاب أن يخالف ما حددناه أو يجاوز ما شرعناه" [1]

ملحق رقم (4) : مرسوم هشام المؤيد لسنة 399هـ/1009 م الخاص بجعل عبد الرحمن بن منصور بن أبي عامر وليا لعهده و هو من إنشاء كاتب الرسائل أحمد بن برد الأكبر.

جاء فيه : " هذا ما عهد أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله – أطال الله بقاءه إلى الناس عامة ، و عاهد الله عليه من نفسه خاصة ، و أعطى به صفقة يمينه ،

(1) ابن بسام ، المصدر السابق، ق 1، م 1، ص ص 92–94.

بيعة تامة ، بعد أن أمعن النظر ، وأطال الاستخارة ، و أهمه ما جعله الله له من إمامة المسلمين ، و عصب به من إمرة المؤمنين ، و أتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، و خاف نزول القضاء بما لا يصرف و خشي إن هجم محتوم ذلك عليه ، و نزل مقدوره به ، و لم يرفع لهذه الأمة علما تأوي إليه ، ولم يجرها ملجأ تنعطف عليه أن يكون بلقاء الله تعالى مفرطا فيها ، ساهيا عن أداء الحق إليها ، وتقصي عند ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش و غيرها ، ممن يستحق أن يسند الأمر إليه ، و يعوّل في القيام به عليه ، ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وورعه ، بعد اطراح الهوادة و التبرؤ من الهوى ، و التحري للحق ، والتزلف إلى الله تعالى بما يرضيه ، و إن قطع الأواصر و أسخط الأقارب، عالما أن لا شفاعة عنده أعلى من العمل الصالح و موقنا أن لا وسيلة إليه أزكى من الدين الخالص، فلم يجد أحدا هو أجدر أن يقلده عهده ، و يفوض أمر الخلافة إليه بعده ، في فضل نفسه و شرف مركبه ، و علو منصبه ، مع تقواه و عفافه ، و معرفته و إشرافه ، و حزمه و ثقافته ، من المأمون الغيب ، الناصح الحبيب ال نازح عن كل عيب ، ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، وفقه الله.

و في فصل منه : مع إن أمير المؤمنين – أيده الله– بما طالعه من مكنون العلم ، و وعاه من مخزون الأثر، أمل أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمر بن العاص بتحقيق ما أسنده أبو هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ". فلما استولت له به الأخبار ، و تقابلت عنده فيه الآثار، و لم يجد عنده مذهبا ، ولا إلى غيره معدلا ، خرج إليه عن تدبير الأمور في حياته ، و فوض إليه ا لنظر في أمر الخلافة بعد وفاته . و جعل إليه الاختيار لهذه الأمة بولاية عهده فيها ... واشهد عليه من أوقع اسمه في هذا الكتاب. وهو – أعزه الله– جائز الأمر ، ماضي القول

و الفعل بمحض من ولي عهده المأمون ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور– وفقه الله– و قبوله لما قلده ، و التزامه بما التزمه" [1]

(1) ابن بسام، المصدر السابق، ق 1، ج 1، ص ص 91–92 ذكر نص هذا الكتاب ، ابن عذاري ، ج3 ، ص ص 87–88 ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ج 2 ، ص 86–87 مع اختلاف بسيط.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: القران الكريم ، رواية ورش.

ثانيا: المخطوطات

1. الحموي الحنفي، تقي الدين أبو بكر بن حجة: قهوة الإنشاء، مخطوطة، تاريخ النسخ 840هـ/ 1462 م، رقم 1898، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر.

2. المقدسي، مرعي بن يوسف الحنبلي : بديع الإنشاء و الصفات في المكاتبات والمراسلات، مخطوطة رقم 1901، تاريخ النسخ 1250م، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر.

ثالثا: المصادر المطبوعة

3. ابن الأَبلوَّ القضاعي البلنسي: (ت 658هـ/1260م) ، الحلة السيراء. تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ط2، 1985.

4. „ „ „ : اعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1380هـ/1961م.

5. „ „ „ : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مكتبة المثنى ببغداد، 1375هـ/ 1956 م.

6. ابن بلقين، عبد الله، (ت بعد 483هـ/1090م) كتاب التبيان، تحقيق أمين التوفيق الطيبي، الرباط 1998.

7. ابن الأثير، (ت 630هـ/1233م) الكامل في التاريخ، بيروت ط 5، 1400هـ/ 1980م.

8. ابن الأثير ، ضياء الدين، (ت 637هـ/1239م) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه و حققه و علق عليه أحمد الحوفي، بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ط 1، 1379هـ/1959م.

9. ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف بن محمد (ت 807هـ/1397م) نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت ط 1، 1967م.

10. „ „ „ ، مستودع العلامة و مستبدع العلامة،تحقيق محمد تركي التنوسي و محمد بن تاويت التطواني، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي، تحت إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث، المغرب.

11. ابن الأرزق ، أبو عبد الله : (ت 895هـ/1490م) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق و تعليق علي سامي النشار، دار الحرية للنشر، بغداد، 1357هـ/ 1977 م.

12. الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم، (ت حوالي 350هـ/961م) المسالك والممالك. تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة شفيق محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، القاهرة، 1381هـ/1961م.

13. الاصفهاني أبو الفرج، (ت 356هـ/967م) كتاب الأغاني، دار الثقافة، بيروت ، (د.ت)

14. ابن بشكوال، أبو القاسم : (ت 578هـ/1182م) كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966م.

15. البلاذري، أحمد بن يحيى : (ت 279هـ/ 892م) فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، (د.ت).

16. البكري أبو عبيد : (ت 487هـ/1094م) كتاب المسالك و الممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.

17. ابن تغري بردي، جمال الدين: (ت 875هـ/1470م) النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر و القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م.

18. التوحيدي، علي بن محمد : (ت بعد 400هـ/1010م) رسالة في علم الكتابة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م.

19. الثعالبي عبد الملك بن محمد : (ت 429هـ/1038م) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ط 2، 1375هـ/1956م).

20. الجهشياري ، أبو عبد الله محم د بن عبدوس : (ت331هـ/941م) كتاب الوزراء و الكتاب . تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ط2، 1401هـ/1980م.

21. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن محمد : (ت 456هـ/1064م) جمهرة أنساب العرب، تحت إشراف محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

22. „ „ „ : رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط2، 1987م.

23. الحميدي الأزدي : (ت 488هـ/1095م) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417هـ/1997م.

24. الحميري، محمد بن عبد المنعم (توفي أواخر القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د . إحسان عباس، بيروت 1975م.

25. ابن حوقل أبو القاسم : (ت 380هـ/990م) كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.(د.ت).

26. ابن حيان، بن خلف القرطبي: (ت 469هـ/1076م) المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الأولى السفر الثاني من كتاب المقتبس (180-206هـ/796 هـ- 822 م) تحقيق و تعليق محمود علي المكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض،(د.ت).

27. „ „ „ : القطعة الثانية (232-267هـ/ 846-880م) تحقيق محمود علي المكي، دار الكتاب العربي، بيروت 1393هـ/1973م.

28. „ „ „ : القطعة الثالثة: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس (275-300هـ/ 888-912م) تحقيق محمود علي المكي، دار الكتاب العربي، بيروت 1393هـ/1973م.

29. „ „ „ : القطعة الرابعة: المقتبس لابن حيان القرطبي ، "الجزء الخامس" (300-330هـ/912-931م) نشر و تحقيق بيدرو شالميتا و آخرين، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد ، 1979م.

30. ابن حيان ، بن خلف القرطبي : القطعة الخامسة : المقتبس في أخبار بلد الأندلس (360–364هـ/970–975م) نشر و تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت ، 1965 م.

32. ابن خاقان، الفتح بن محمد : قلائد العقيان، مكتبة السيد محمد عبد الوهاب بك، القاهرة ،(د.ت).

33. الخشني، محمد بن حارث : (ت 360هـ/970م) قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

34. ابن الخطيب ، لسان الدين: (776هـ/1374م) أعمال الإعلام في بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط 2، 1956م.

35. „ „ „ : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ط2، 1393هـ/1973م.

36. „ „ „ : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، و نشر وتعليق احمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية الدار البيضاء،(د.ت).

37. ابن خلدون، عبد الرحمان : (ت 808هـ/1405م) كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1399هـ/1979م.

38. ابن خلدون، عبد الرحمان : المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1413هـ/1993م.

39. ابن خلدون، يحيى أبو زكريا : (ت 780هـ/ 1378 م) بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول، تحقيق د . عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

40. الزبيدي ، أبو بكر ، توفي 379 هـ /989 م ، طبقات النحويين و اللغويين ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، (د ت).

41. ابن أبي زرع الفاسي : (ت في القرن 8هـ/ 14م) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، الرباط، 1973م.

42. ابن سعيد المغربي : (ت 685هـ/1287م) المغرب في حلى المغرب، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

43. ابن السماك العام لي: (حوالي 750هـ/1349م) رونق التحبير في حكم السياسة و التدبير، تحقيق سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1424هـ/2004م.

44. „ „ „ : الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، دراسة وتحقيق محمود على المكي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 1424 هـ/2004 م.

45. ابن سهل أبو الأصبغ عيس ى: (ت 486هـ/1093م) ثلاث وثائق في محاربة الأهواء و البدع في الأندلس، دراسة و تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي للإعلام، 1980م .

46. السيد البطليوسي محمد بن عبد الله : (ت 521هـ/1127م) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق محمد باسل عيون الود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ/ 1999 م.

47. السيوطي، جلال الدين، (ت 911هـ/1505م) تاريخ الخلفاء، دار الجيل، بيروت ط3، 1417هـ/1997م.

48. الشنتريني، ابن بسام : (ت 542هـ/1147م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 2000.

49. ابن شهيد الأندلسي: (ت 426هـ/1034م) رسالة التوابع و الزوابع، تحقيق وتعليق بطر البستاني، دار صادر، بيروت 1387هـ/1967م.

50. الصولي، أبو بكر بن محمد : (ت 335هـ/947م) أدب الكتاب، شرح وتعليق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م.

51. الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة : (ت 598هـ/1202م) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

52. ابن أبي طالب، الإمام علي : نهج البلاغة، تحقيق و شرح محمد بن أبي الحديد، بيروت، 1983.

53. ابن طباطبا، محمد بن علي : (ت 709هـ/1309م) الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، حلب، ط1، 1418هـ/1997م.

54. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م) تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة ،(دت).

55. ابن عبد الحكم عبد الرحمان: (ت 257هـ/871م) فتوح افريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1964.

56. ابن عذاري أبو العباس أحمد : (كان حيا 712هـ/1334م) البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، دار الثقافة، بيروت،(د ت).

57. العذري، أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي : (ت 478هـ/1085م) كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ، 1965م.

58. العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله : (ت 395هـ/1005م) كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق علي محمد البجاوي و آخرين، القاهرة ط2، 1971م.

59. ابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد: (ت 328هـ/941م) العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين و آخرين، القاهرة ،ط2، 1381هـ/1962م.

60. ابن عياض، الفضل بن موسى : (ت 544هـ/1149م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمد، دار الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، (د ت).

61. العزفي ، أبو العباس أحمد (ت 633 هـ /1236 م) اثبات ما ليس منه بُدٌ لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار و الدرهم و الصاع و المد ، تخريج و دراسة محمد الشريف . منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 1999 م.

62. ابن فرحون ، إبراهيم بن نور الدين: (ت 799هـ/1397م) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة و تحقيق مأمون بن محيى الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

63. أبو الفرج ، قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي: (ت 320هـ/932م) نبذ من كتاب الخراج و صنعة الكتابة، وضع مقدمته و هوامشه و فهارسه محمد مخزوم، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م.

64. „ „ „ : كتاب نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت 1416هـ/1995م.

65. ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد : (ت 290هـ/902م) مختصر كتاب البلدان، طبع ليدن، بريل 1302هـ/1885م.

66. القاضي النعمان بن محمد : (ت 363هـ/973م) المجالس و المسايرات، تحقيق حبيب الفقي و آخرين، الجامعة التونسية، تونس 1978م.

67. ابن قتيبة الدينوري، أبو عبد الله بن مسلم : (ت 286هـ/889م) الإمامة والسياسة، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.

68. „ „ „ : كتاب عيون الأخبار، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، 1343هـ/1965م.

69. „ „ „ : أدب الكاتب، دار صادر، بيروت، طبع ليدن 1200هـ/1900م.

70. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : (ت 671هـ/1283م) الجامع لأحكام القر آن،(تفسير القرطبي) مطبعة دار الكتب، القاهرة 1368هـ/1949 م.

71. ابن القوطية : (ت367هـ/977م) تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1410هـ/1989م.

72. القيرواني، أبو عبد الله محمد (ت 110هـ/1698م) المؤنس في أخبار افريقية و تونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، ط2، 1387هـ/1967م.

73. القيسي، أبو نصر الفتح بن خاقان : (ت 529هـ/1134م) مطمح الأنفس و مرح التأنس في ملح أهل الأندلس (تاريخ الوزراء و الكتاب والشعراء في الأندلس)، تحقيق و تعليق مديحة الشرقاوي، بورسعيد، ط1، 1422هـ/2001 م.

74. ابن القطان، الحسن بن علي: (ت 628هـ/1230م) نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1990م.

75. القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي (ت 821هـ/1481م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة ،(د ت).

76. ابن كردبوس أبو مروان عبد الملك : (ت بعد سنة 573هـ/1177م) ، تاريخ الأندلس ووصفه لابن شباط محمد بن علي بن محمد (ت 681هـ/1294م) ، صلة السمط وسمة المرط، نصان جديدان، ت حقيق أحمد مختار العبادي، المجلة المصرية، عدد 13، سنة 1965–1966م.

77. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد : (ت 450هـ/1058م) الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1405هـ/1985م.

78. مجهول. أخبار مجموعة (ذكر فتح الأندلس) تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

79. مجهول. ذكر بلاد الأندلس. تحقيق لويس مولينا، مدريد، 1983م.

80. مجهول، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ا لدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1399هـ/1979م.

81. مجهول، منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لمؤلف مغربي مجهول في القرن 11هـ، تحقيق داود علي الفاضل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م.

82. المراكشي، عبد الواحد: (ت 625هـ/1228م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محم ود سعيد العريان، محمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط7، 1978م.

83. المقري التلمساني أحمد: (ت 1041هـ/1631م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق و ضبط محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت ، (دت).

84. „ „ „ : أزهار الرياض في أخبلو عياض، تحقيق مصطفى السقا إبراهيم و آخرين، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة 1358هـ/ 1939 م.

85. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: (ت 845هـ/1441م) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، دار التحرير للطبع و النشر، عن طبعة بولاق، القاهرة، 1270هـ/1892 م.

86. النباهي الأندلسي أبو الحسن : (ت 792هـ/1391م) تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا، تحقيق مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.

87. ابن النديم، محمد بن إسحاق : (ت 380هـ/998 م) الفهرست، تحقيق مصطفى الشويحي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م.

88. النويري، شهاب الدين أحمد: (ت 732هـ/1147م) نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية، القاهرة ، (د ت).

89. ياقوت الحموي، شهاب ا لدين البغدادي : (ت 623هـ/1225م) معجم البلدان، دار بيروت للطباعة و النشر، دار صادر، بيروت، 1404هـ/1984م.

90. „ „ „ : معجم الأدباء، نشر بعناية أحمد فريد رفاعة بك، دار المأمون، القاهرة ، (د ت).

رابعا: المراجـــــع

91. أحمد أمين: ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 5، 1388هـ/ 1969 م.

92. أحمد بن عبد الباقي : معالم الحضارة الإسلامية في القرن الثالث هجري، بيروت، ط1، 1991 م.

93. أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، العصر العباسي الأول، القاهرة، ط1، 1356هـ/1937 م.

94. أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1971م.

95. أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، ط2، 1983م.

96. أسعد علي و فكتور الكك: جذور العربية، فروع الحياة، دار الطباعة والنشر، دمشق، ط2، 1401هـ/1981م.

97. أنخيل قنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (دت).

98. بركات مصطفى: الألقاب و الوظائف، دراسة في تطور الألقاب و الوظائف من خلال الآثار و الوثائق و المخطوطات (1517هـ/1924م)، دار غريب، القاهرة، (د ت).

99. البشري عبد الله الصالح : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316-422هـ/928-1030م) مجمع البحوث و إحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1418هـ/1997م.

100. البقلي محمد قنديل : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

101. البهنسي عفيف: معجم مصطلحات الخط العربي و الخطاطين، مكتبة لبنان للناشرين، بيروت ، ط1، 1995 م.

102.البهنسي عفيف : الخط العربي، أصوله، نهضته، انتشاره، مكتبة الفكر، دمشق، 1404هـ/1984م.

103. بوزياني الدراجي : نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.

104. توات الطاهر محمد : أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

105. جبران محمد مسعود : فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب (المضامين و الخصائص، الأسلوب) دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2004م.

106. جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت).

107. جيدة عبد الحميد: صناعة الكتابة عند العرب، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

108. حتي فليب : تاريخ العرب، دار الكشاف ل لنشر و الطباعة و التوزيع، بيروت، ط4، 1965م.

109. حسن الشيخ عبد الواحد: صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الأثير، مكتبة و مطبعة القاهرة، ط1، 1419هـ/ 1999 م.

110. الحلوجي عبد الستار : المخطوط العربي، مكتبة مصباح، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2 ، 1409هـ/1989 م.

111. حمادة محمد ماهر : الوثائق السياسية و الإدارية في الأندلس و شمالي إفريقيا، دراسة و نصوص، 64-897هـ/683-1492م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1406هـ/1986م.

112. الخفاجي محمد عبد المنعم: الأدب الأندلسي، التطور و التجديد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

113. خلف سالم عبد الله : نظم حكم الأمويين و رسومهم في الأندلس، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1424هـ/2003م.

114. خماش نجدة : الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1400هـ/1980م.

115. رينهرت دوزي : المسلمون في اسبانيا الإسلامية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994.

116. الزركلي خير الدين: الإعلام، دار العلم للملايين، ط8، 1989 م.

117. سالم السيد عبد العزيز : تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس (من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، دار النهضة العربية، بيروت، 1408هـ/1988 م.

118. „ „ „ : تاريخ الدولة العربية، تاريخ العرب من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1974 م.

119. „ „ „ : تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة الأسطول الأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1969م.

120. „ „ „ : تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، المكتبة الانكلو-مصرية، القاهرة، ط2، 1986م.

121. سالم السيد عبد العزيز : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

122. „ „ „ : تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس، مؤس سة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985م.

123.سالم السيد عبد العزيز و مختار أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1969م.

124. سحر السيد عبد العزيز سالم : بحوث مشرقية و مغربية في التاريخ و الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

125. الشامي فاطمة قدورة : تطور تاريخ العرب السياسي و الحضاري (من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي) دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997م.

126. شبارو عصام محمد : الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91–897ه/710–1492م) دار النهضة العربية، ط 1، 1423ه/2002م.

127. الشكعة مصطفى: الأدب الأندلسي، موضوعاته و فنونه، دار العلم للملايين، بيروت، 1974م.

128. شلبي أحمد : موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية (الأندلس الإسلامية و انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا عن طريقها، المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، من طلع الإسلام حتى الوقت الحاضر، السنوسية مبادئها)، مكتبة النهضة، القاهرة، ط7، 1984 م.

129. الشمري غازي : دراسات في النظم الإسلامية، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس، ط1، 1424هـ/2002م.

130. الصابات خليل: تاريخ الطباعة في المشرق، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1966م.

131. صبحي صالح : النظم الإسلامية نشأتها و تطورها، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1388هـ/1968م.

132. الصوفي خالد: تاريخ العرب في اسبانيا، نهاية الخلافة الأموية بالأندلس، مكتبة دار الشرق، دمشق، ط1، 1963م.

133. ضيف شوقي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط3 ، (دت).

134. العبادي أحمد مختار: في التاريخ العباسي و الفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م.

135. „ „ „ : في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.

136. عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط6، 1981م.

137. عبيد داود: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع هجري/ 13–15م، دراسة في التاريخ السوسيو– ثقافي، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2003.

138. علي بن محمد : النثر الأندلسي خلال القرن 5هـ، مضامينه، أشكاله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

139. علي محمد كرد : الإسلام و الحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر، القاهرة، ط3، 1968م.

140. عنان محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال، دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1418هـ/1957م.

141. „ „ „ : دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية و الدولة العامرية، مكتبة الخانجي، القاهرة ، (د ت).

142. غانم محمد صغير : التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م.

143. فضل الله محمد رجب : عمليات الكتابة الوظيفية و تطبيقها و تعليمها وتقويمها، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1423هـ/2003م.

144. الفيومي محمد إبراهيم : تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

145. القاسمي ظافر: نظام الحكم في الشريعة و التاريخ الإسلامي (الكتاب الأول الحياة الدستورية) دار النفائس، بيروت، ط4، 1403هـ/1982م.

146. قزيحة رياض : الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، ط 1، 1418هـ/1998م.

147. الكتاني عبد الحي : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار إحياء التراث العربي، (د ت).

148. لقبال موسى : دور الكتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979م.

149. مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب و الأندلس، دار الرشاد، القاه رة، ط8، 1426هـ/2005م.

150. „ „ „ : فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية، دار العصر الحديث و دار المناهل، بيروت، ط 1، 1423هـ/2002م.

151. „ „ „ : أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1407هـ/1987م.

152. مبارك زكي : النثر الفني في القرن الرابع هجري، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة ، (د ت).

153. مرمول محمد صالح : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

154. مسعد سامية مصطفى: العلاقات بين المغرب و الأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/912-1008م) الناشر عن الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، ط1، 2000م.

155. مصطفى شاكر : موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها، دار العلم للملايين، ط1، 1993م.

156. المقدسي أنيس : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1968م.

157. ميتز ادم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية عبد الهادي أو ريدة ، الدار التونسية للنشر، تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1405هـ/1986م.

158. الميلي مبارك بن محمد : تاريخ الجزائر القديم و الحديث، تقديم و تصحيح محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1396هـ/1976م.

159. الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، توثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م.

خامسا: الرسائل و الأطروحات الجامعية

160. بوباية عبد القادر : البربر في الأندلس و موقفهم من فتنة القرن الخامس هجري (11م) 300-422هـ/912-1031م، أطروحة دكتورة دولة، غير مطبوعة، تحت إشراف د . غازي الشمري، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 1423هـ/2002م.

161. صادق قاسم : الحركة الفكرية في الأندلس خلال عهد الحكم (350-366هـ/ 961-976م) جامعة وهران، تحت إشراف د . غازي الشمري قسم التاريخ، 2004-2005م، رسالة ماجستير غير مطبوعة.

162. جباري سامية : أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس، من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة (92هـ/897 م) رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية و آدابها، 1999-2000.

163. العربي بن حجار ميلود : تطور الخطوط العربية في العصور الإسلامية، رسالة ماجستيرغير مطبوعة، جامعة وهران ، قسم علم المكتبات تحت إشراف د . غازي الشمري 2002-2003.

سادسا: المقـــــالات

164. الجيوسي سلمى الخضراء : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس (مجموعة بحوث)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999.

– دومينيك ايرفوا: علماء الأندلس.

– كلود عداس: التصوف الأندلسي و بروز ابن العربي.

– مارغريتا لوبيز غوميز : المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، ترجمة أكرم ذا النون.

– مكي محمود علي : تاريخ الأندلس السياسي، دراسة شاملة (92-897هـ/711-1492م)

– ميغل كروز هيرنادين: الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية.

165. سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو أبي عبيدة، الأصول الأسرية الأولى لبني جهور أصحاب قرطبة في عصر الطوائف، المجلة المصرية، العدد 29، القاهرة 1997م.

سابعا: الموسوعات و المعاجم

166. دائرة المعارف الإسلامية : تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع الدولية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد و آخرون، القاهرة، ط1، 1933م.

167. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، (دت).

168. سهيل إدريس و جبور عبد النور : المنهل الوسيط، دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1987م.

169. الفيروز أبادي، مجد الدين : القاموس المحيط، القاهرة، ط 2، 1371هـ/1952م.

170. ابن منظور أبو الفصل جمال الدين (ت 711هـ/1364م) لسان العرب المحيط، قدمه العلامة الشيخ العلايلي، إعداد و تصنيف يوسف خياط، دراسات العرب، بيروت، (د ت).

171. المعلم بطرس البستاني : قاموس محيط المحيط، مكتبة ل بنان الناشرون، بيروت، ط6، 1997م.

172. المعجم الوجي ز الميسر، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط 1، 1404هـ/1993م.

الفهـــــرس

مقدمـــــــــــة أ

الفصل التمهيدي : ملمح تاريخي حول الكتابة في عصر الإمارة الأموية بالأندلس

1. **مفهوم و تعريف مصطلح الكتابة و أدواتها** 30

أ. دلالة المصطلح 31

ب.الأدوات 41

2. الكتابة السلطانية في الأندلس في عهد الإمارة الأموية 45

أ. دور الأمير عبد الرحمن الداخل في تطور الكتابة بالأندلس 46

ب. الإجراءات الإدارية في عهد عبد الرحمن الأوسط 49

3. أشهر الأسر في الكتابة السلطانية 51

الفصل الأول : الكتابة في عهد الخلافة الأموية في الأندلس

1. خطة الكتابة ، ضرورتها و أهميتها و الدواوين المساعدة 60

أ. خطة الكتابة ، ضرورتها و أهيتها 60

ب. الدواوين المساعدة لها 64

ب–1. ديوان الرسائل أو ديوان الإنشاء 64

ب–2. ديوان البريد 78

2. شروط اختيار الكتاب 91

3. مهام الكاتب و رسوم الكتابة 104

أ. رسوم تعيين الكاتب 113

ب. رسوم الكتاب السلطاني 113

الفصل الثاني : صيغ الكتابة السلطانية و أنماطها في عصر الخلافة

1. البيانات الإعلامية " المعممات " 126

أ. كتاب إعلان لقب الخلافة الأموية للأندلس 126

ب. كتاب الخليفة الحكم المستنصر بالله 129

ج.كتاب الحاجب عبد الملك المظفر 134

2. رسائل التولية في الخطط الديوانية 138

أ. كتاب تعيين القاضي محمد بن سليم 138

ب. كتاب تعيين أصبغ بن محمد بن فطيس " على نصف كورة رية " 141

ج. كتاب تولية أبي العيش " النظر في قبيلة قطانة " 142

3. الكتب الإخوانية 146

4. كتب عرض الحال " التقرير" 148

5. كتب الترهيب و الوعيد 153

الفصل الثالث : عينات من الكتابة الرسمية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس

1.الكتب السياسية و العسكرية 165

أ. كتاب في الأمان 165

ب. رسائل البيعة 167

ج. وصية استخلاف الحاجب المنصور بن أبي عامر 169

د. كتاب في الجهاد 171

ه. كتاب الخليفة المرتضى إلى زاوي بن زيري صاحب غرناطة 175

2. الكتب الإدارية 181

أ. رسالة في العزل عن العمل 181

ب. كتب الترقية 183

ج. كتاب في منح الألقاب السلطانية 184

3. كتب القضايا الإقتصادية و الإجتماعية 187

أ.الدعوة للقيام بصلاة الإستسقاء 187

ب. كتاب في تبرءة الذمة 188

ج.كتاب في اسقاط سدس مغرم الحشد 190

4. الكتب في المجال الثقافي و الفكري 194

أ.كتاب حول تكريم العلماء 194

ب. كتاب التعريض و التحذير من العقائد الأخرى 196

5. كتب العلاقات الخارجية 203

أ. كتاب حول العلاقات بأمراء القبائل المغربية 204

ب. كتاب حول العلاقات بالخلافة الفاطمية 207

خاتمـــــــــة 214

الملاحـــــــق 219

قائمة المصادر و المراجع 226

الفهرس العام 249

ملخص

يتضمن موضوع هذا البحث النظم الإسلامية في الأندلس الكتابة نموذجا من سنة 316 – 422 هـــ الموافق لـــ 929 – 1031 م ، حيث شهدت الكتابة في هذه الفترة مكانة رفيعة في مؤسسات الحكم و ذلك أنها استخدمت كوسيلة من أجل تبليغ السلطة و إصلاح الأوضاع لأنها تمثل جزء كبير في النظم الإسلامية الأندلسية.

الكلمات المفتاحية : – النظم الإسلامية ، الكتابة ، الأندلس ، عصر الخلافة ، بني أمية.

Résumé

L'objet de la présence recherche traite les systèmes islamiques andalous de l'écriture de l'année 316 à 422 de l'hégire correspondant au 929 à 1031 .durant cette période , l'écriture a été d'une importance colossale dans les institutions du pouvoir. Elle fut utilisée comme un moyen de communication et de réforme et représenta une grande partie des systèmes islamiques andalous.

Mot – clés : Systèmes Islamiques . Ecriture . Andalousie . L'ère califat . Oumaouites.

Abstract

The subject of this research concerns the Islamic andalusian systems of the writing between 316 to 422 hegira corresponding to 929 to 1031 .during this period , the writing has become especially a significant part of power institutions. It was used as a communication and reform mean and it represented a large part of the Islamic andalusian systems.

Keywords : Islamic Systems , Writing , Andalusia , The caliphate epoch , Oumaouites.